بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



البيعة والخلافة في الإسلام

الدورة الثانية

الجزء الأول

العيون
10. 11. 12 صفر الخير 1415 هـ
20. 21. 22 يوليوز 1994 م

البيعة والخلافة في الإسلام

الدورة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله

صدق الله العظيم

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



البيعة والخلافة في الإسلام

الدورة الثانية

الجزء الأول

العيون

12.11.10 صفر الخير 1415هـ

22.21.20 يوليوز 1994


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الذين يبايعونك
إنما يبايعون الله يد
الله فوق أيديهم فمن
نكث فإنما ينكث على
نفسه ومن أوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه
أجرا عظيما

صدق الله العظيم



إنّ البيْعة أخذ وعطاء، والتزام مُتبادل، يُعبّر عن تعلق القاعدة بالقمّة، والقمّة بالقاعدة على حدّ سواء.

من خطاب
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
نصره الله وأيده
يوم 6 نونبر 1981 بمناسبة ذكرى
المسيرة الخضراء المظفرة



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.

الشجرة العلوية الشريفة

تنتمي الأسرة الملكية المغربية إلى النسب النبوي الشريف ونسبها من أهم الأنساب الشريفة بالمغرب. وصاحب هذه الترجمة أطال الله أيامه هو صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بن محمد الخامس بن يوسف بن الحسن الأول بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف بن علي الشريف دفين بباب هيلانة (أيلان) من مراكش ابن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف دفين سجلماسة ابن الحسن بن محمد بن حسن الداخل ابن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

• أقسم بالله العلي العظيم أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء، مكافحا عن وحدة وطني، من البوغاز إلى الصحراء.

• أقسم بالله العلي العظيم، أن ألقن هذا القسم أسرتي وعشيرتي، في سري وعلانيتي، والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي.

قسم المسيرة بخط يد مبدع المسيرة الخضراء ومحرر الصحراء

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.



الموضوعات الرئيسية
للجزء الأول من الكتاب

الموضوعات الرئيسية
للجزء الأول من الكتاب

■ تقديم

للسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

■ القسم الأول

* الكلمة الملكية السامية

التي وجهها مولانا أمير المومنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله إلى السادة المشاركين في أشغال الدورة الثانية لندوة البيعة والخلافة في الإسلام بمدينة العيون.

* الكلمات التي ألقيت في الجلسة الافتتاحية

■ القسم الثاني :

* البحوث المقدمة للندوة (الجزء الأول)

● فهرس الجزء الأول من الكتاب



تقديم

للسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

تقديم

بسم الله الرحمان الرحيم،

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد، فبمشيئة الله وعونه وتوفيقه، انعقدت الدورة الثانية لندوة البيعة والخلافة في الإسلام تحت الرعاية الملكية السامية لمولانا أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله وأعز نصره، وأدام له السداد والتوفيق، والنصر والفتح المبين، وذلك بمدينة العيون عاصمة الصحراء المغربية المسترجعة أيام 11، 12، صفر الخير 1415 (21 ـ 22 يوليوز 1994).

وتخليدا لأعمال هذه الدورة ولما ألقي فيها من كلمات وبحوث ومداخلات قيمة شارك بها صفوة من علماء الإسلام ورجال الفكر من داخل المغرب وخارجه، ورؤساء القبائل الصحراوية، ولما كان لها من أثر طيب ووقع حسن في نفوس جميع المشاركين والحاضرين، وعلى رأس الكلمات الكلمة الملكية السامية التي وجهها إلى الندوة صاحب الجلالة أيده الله وأعز أمره، فقد عملت الوزارة على جمعها وإخراجها في كتاب.

وهو هذا الكتاب الذي نقدمه بين يدي القارىء والذي يسجل وقفة تاريخية أخرى متميزة لعلماء الإسلام، ذلك أنهم في خضم التيارات والإيديولوجيات التي تطغى على الفكر السياسي المعاصر ومتاهات الحيرة التي يعاني منها الإنسان وهو يحلل نظريات هذه الفلسفات الوضعية في نظام الحكم، يقف العلماء ليتحدثوا للعالم عن النظام الذي جاء به الإسلام، والقائم على البيعة والخلافة، وليشرحوا أسس هذا النظام وطبيعة العلاقة بين الخليفة الإمام والرعية، وحقوق الإمام والتزاماته، وحقوق الرعية

وواجباتها، والقواعد التي وضعها الشرع لضمان الاستقرار والاستمرار والاطمئنان، والعدل والمساواة والكرامة والحرية والشورى، والتوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، ومصلحة الدين والدنيا، ويتابعوا تطبيق هذا النظام من خلال تاريخ دول الإسلام وتاريخ المغرب منذ عهد إدريس الأول إلى عهد الحسن الثاني، وبما يزيد على اثني عشر قرنا من الزمان.

ويسجل هذا الكتاب أيضا شهادة أداها العلماء أمام الله تعالى بأن الصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب، وأن البيعة التي في عنق أبناء الصحراء لجلالة الملك الحسن الثاني عهد لا يحل لمسلم منهم نكثه أو نقضه «**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما**»، وأنهم يلزمهم بمقتضى البيعة التي في أعناقهم ما يلزم جميع جهات المغرب، وأن المسألة مسألة دين قبل أن تكون مسألة أرض أو سياسة، وأن من احتاط لدينه فقد برئت ذمته، وأن النبيﷺ يقول: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له» وأن كل من ينازع المغرب في صحرائه أو يشكك في قيمة رابطة البيعة التي تربط الصحراء بعاهلها إنما ينازع في شرع الله ويشكك في المبادىء الشرعية التي جاء بها الإسلام.

وقد اختار العلماء مدينة العيون قلب الصحراء المغربية ملتقى لهم في هذه الدورة الثانية كما هو الشأن بالنسبة للندوة الأولى التي انعقدت بدورها تحت الرعاية الملكية السامية في شتنبر 1985، ليؤكدوا للجميع مرة أخرى أن مغربية الصحراء أمانة دينية في عنق الأمة الإسلامية بأسرها، وأن أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني قد قام بما أوجبه الله عليه وأدى الأمانة وأوفى بالعهد، ودافع عن مبدأ البيعة ورسخه، وأن الدماء الزكية التي تدفقت على رمال الصحراء صيانة لهذا المبدأ هي دماء الشهادة في سبيل الله وحماية لدين الله، وأن جنود القوات المسلحة الملكية قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه عندما جادوا بأرواحهم الطاهرة من أجل استنقاذ الصحراء من أيدي الاستعمار البغيض وعملائه من المرتزقة ومن لف لفهم، وأن الله تعالى سيوفيهم أجورهم ويبوئهم مقعد

صدق مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وإنا لنغتنم مناسبة انعقاد هذه الدورة الثانية لندوة البيعة والخلافة في الإسلام، والشعب المغربي من أقصاه إلى أقصاه في غمرة الاحتفال بذكرى وطنية عزيزة، تتمثل في عيد الشباب المجيد، الذي يخلد ذكرى ميلاد أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك الحسن الثاني المحفوظ بالسبع المثاني، والذي هو بحق، عيد البعث الإسلامي لما يتحقق فيه كل سنة من مآثر دينية جليلة، ومنجزات دنيوية عظيمة، ادخرها الله لجلالته، وتحقق لهذا الشعب المغربي الوفي الكريم مزيدا من الطموح والآمال والتقدم والازدهار، لنجدد تهنئتنا لجلالته بهذه المناسبة الغالية العزيزة، ولنعرب لسدته العالية بالله عن خالص شكرنا وامتناننا على رعاية هذه الدورة الثانية من ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، ولنقدم إلى جنابه الشريف ومقامه المنيف هذا الكتاب القيم الذي يشتمل على أعمال هذه الندوة، والحافل بالبحوث والكلمات الصادقة التي تعبر عن الإخلاص والولاء، والوفاء والتعلق بالعرش العلوي المجيد.

ونسأل الله العلي القدير أن يبارك في عمر مولانا أمير المومنين، ويحفظه ذخرا للبلاد والعباد ويقمع به أهل البغي والعناد ويبقيه للإسلام حاميا وللحق ناصرا وبالله منصورا ومنتصرا، ويحفظه في ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد الأمير مولاي رشيد، وسائر أفراد أسرته الكريمة، ويجعل طبع هذا الكتاب في سجل أعماله الصالحة، وحسناته الخالدة، ومآثره الحميدة وينفع به العلماء ورجال الفكر في الأمة الإسلامية، إنه سبحانه ولي الهداية والتوفيق، سميع مجيب، ونعم المولى ونعم البصير.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري



القسم الأول



الرسالة الملكية السامية

التي وجهها

مولانا أمير المومنين

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

إلى ندوة البيعة والخلافة في الإسلام



فضيلة الأستاذ عبد الهادي بوطالب مستشار صاحب الجلالة أثناء تلاوته للرسالة الملكية السامية
الموجهة إلى السادة المشاركين في الدورة الثانية لندوة البيعة والخلافة

الرسالة الملكية السامية
التي وجهها
مولانا أمير المومنين
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله
إلى ندوة البيعة والخلافة في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة :

يسعدنا أن تنعقد في صحرائنا المسترجعة الدورة الثانية لندوة البيعة والخلافة في الإسلام، وأن ينتظم جمعها الكريم من علماء وأساتذة باحثين، ووجوه خيرة من رعايانا الأوفياء المخلصين من قبائل الصحراء المغربية المتشبثة ببيعتها وولائها، وأن يحضرها ضيوف كرام نرحب بهم أجمل ترحيب، وأن يتم انعقادها في مدينة مغربية عزيزة علينا جميعا، هي مدينة العيون، عاصمة الصحراء المغربية، والقلب النابض لمدنها المجاهدة، وأقاليمها الوفية الخاصة التي أخذت دائما حظا وافرا من

اهتمامنا وعنايتنا، يحدونا الحرص الدائم على تحقيق تنميتها وازدهارها، مما جعلها تأخذ مكانة متميزة بين عواصم مملكتنا السعيدة.

ومن بوادر الخير والاستبشار، أن تنعقد هذه الندوة العلمية في موضوع ديني ودنيوي هام، يعتبر أساسا لنظام الحكم في الإسلام، في الوقت الذي تجتاز قضيتنا الوطنية المصيرية مرحلة حاسمة، تتمثل في الاستفتاء التأكيدي المنتظر، الذي سيثبت مرة أخرى - بمشيئة الله وعونه، وبما لا يدع أي شك أو عناد - أن أقاليمنا الصحراوية المسترجعة، مازالت كما كانت في الماضي على العهد بها، وفية للبيعة التي كانت دائما في عنق أجدادها وآبائها، متمسكة بولائها وإخلاصها لمقدساتها.

حضرات السادة :

إن مما نعتز به ونحمد الله عليه، أن نظام الحكم في هذا البلد العزيز تأسس على مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف، وقام على قواعده المتينة، مما جعل منه بلدا آمنا ينعم بالطمأنينة والاستقرار، ويسعد بالأمن والاستمرار. ومن جملة تلك المبادئ، وفي مقدمتها: مبدأ البيعة الشرعية، والخلافة الإسلامية.

وكيف لا وعقد البيعة في الإسلام عهد وثيق، وميثاق عظيم يجمع بين الراعي والرعية، ويؤصل الرابطة بينهما، ويقوي العلاقة الشرعية والآصرة الدينية التي تقتضي حقوقا متبادلة،

تستوجب من الملك راعي الأمة الحفاظ على مصالح الدين والدنيا، والدفاع عن حوزة البلاد، وضمان وحدتها وتماسكها، واجتماع شملها والتئام كلمتها، وتستوجب من الرعية الحفاظ على البيعة والولاء لها والوفاء بها، والتزام السمع والطاعة لمن ولاه الله مقاليدها، عملا بقول الله تعالى: ﴿**يا أيها اللذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم**﴾ وقول النبيﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

إن انعقاد هذه الدورة الثانية لندوة البيعة والخلافة تحت رعايتنا السامية، لهي مناسبة طيبة، وفرصة ثمينة تتاح فيها الفرصة لبلورة هذا الأساس الديني الحكيم، والنظام الشرعي المستقيم، وما يتفرد به هذا النظام من خصائص ومميزات، وما له من فوائد وثمرات، أولاها بالذكر وأجدرها بالتأمل ما يؤدي إليه من استقرار سياسي، وازدهار اقتصادي واجتماعي. وما ذلك إلا لكون هذا النظام القائم على البيعة نظاما مشخصا لإمارة المؤمنين، وجامعا بين سلطة الدنيا والدين، مما تفيض آثاره على استتباب الأمن، وتوطيد السلم الاجتماعية، وجمع الشمل، والتئام الكلمة بين كافة الفئات والهيآت الاجتماعية والسياسية، وتمكين الوطن من النهوض، والسير خطوات مباركة إلى الأمام لتحقيق المزيد من التقدم والرخاء والاطمئنان.

وإن هذه المبادىء والقواعد الجامعة بين الأصالة الضاربة في أعماق التاريخ، وبين الحداثة المتلائمة مع الأنظمة الديمقراطية

الحديثة، لهي التي حرصنا على صياغتها في نص الدستور، بما جعل منه وثيقة تحفظ على الأمة قيمها الدينية، وحقوقها الدنيوية، وتنظم السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، تنظيما يراعي الأسس التي تقوم عليها دولتنا، والتقاليد التي حافظ عليها شعبنا في هدي ديننا الحكيم، ونظامه القويم.

وستكون بحوثكم وعروضكم القيمة عن هذا الموضوع الإسلامي فرصة لتعميق التعريف بهذا النظام وتأصيل حكمه ومؤسسته الشرعية، وإلقاء المزيد من الأضواء عليه لإبراز تلك المزايا التي يتميز بها، والتي تجعله صالحا لكل زمان، متكيفا مع جميع الظروف والأحوال، قابلا للتعايش والتكامل مع سائر الأنظمة التي اهتدت إلى إقامتها خبرة بني الإنسان، في هذا الميدان.

حضرات السادة :

لقد شاء القدر أن تتعرض بلادنا لفترة استعمارية عابرة عانت منها في عهد الحماية التي بسطت سلطتها ونفوذها على شمال المغرب وجنوبه، وعلى شرقه وغربه، فقيض الله لتلك الفترة ملكا مؤمنا مجاهدا، وقائدا متبصرا، وربانا ماهرا هو والدنا المنعم جلالة المغفور له محمد الخامس رضي الله عنه وطيب ثراه، وجعل في الجنة مع الصالحين مقامه ومثواه.

كما شاء الله أن نتولى مقاليد الأمور بهذا البلد الكريم بعد انتقال والدنا إلى الرفيق الأعلى، لمواصلة الجهاد الأكبر مستهدفين

تنمية الوطن والنهوض به، وتحرير ما تبقى من أجزائه، وبناء المغرب الحديث بناء قويا متينا، جاعلين في مقدمات اهتماماتنا، وحرصنا الكبير استكمال الوحدة الترابية، واسترجاع أقاليمنا الصحراوية. ولم ندخر في ذلك وسعا إلى أن تم تتويج ذلك الجهاد بصدور قرار محكمة العدل الدولية، وتنظيم المسيرة الخضراء المظفرة التي تحقق بها وبفضل الله عودة الأقاليم الصحراوية إلى السيادة المغربية بصورة تامة، وكيفية نهائية، مما تأكد معه القول المأثور: «**ما ضاع حق وراءه طالب**».

ومنذ ذلك الحين ونحن نكافح ونناضل، ونقف في وجه الدعوة الانفصالية التي تتزعمها فئة قليلة، وقع التغرير بها، فخرجت عن الإجماع وخلعت يد الطاعة، وتنكرت للبيعة، فخسرت الخسران المبين، وانطبق عليها قول النبيﷺ: «من خلع يدا من طاعة لقي الله لاحجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية».

وإن مما يثلج الصدر، ويبعث على الانشراح أن نرى مجموعات عديدة من أبنائنا الصحراويين، وقد خرجت من صفوف تلك الفئة الباغية التي تنكرت لبيعتها وعهدها والوفاء لآبائها، جاءت جميعها إلى أرض الوطن مستجيبة لدعوتنا ونداء وطنها، تجدد لملكها الولاء والبيعة، وتسهم بجهودها في بناء الوطن في ظل الوحدة الوطنية التي تعد من أعز المكاسب التي حققناها، وأغلى المنجزات التي أدركناها.

وهاهم المغاربة الصحراويون ولله الحمد ينعمون جميعا في كنفنا بموفور الرضا وموصول الرعاية، ويتمتعون بما يتيحه لزوم جانب الجماعة من اطمئنان وراحة بال. وقد أسعد الله العائدين منهم بهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وأحسن إليهم بردهم إلى النهج القويم، إذ وحدة المغرب الترابية وحقوقه في الصحراء، وسبتة، ومليلية، والجزر المجاورة لا يجادل فيها إلا مكابر، ولا ينكرها إلا من عمي وضل سواء السبيل.

إننا سنظل ضامنين لهذه الوحدة، ساهرين على هذه الحقوق لا يثنينا وشعبنا عنها إنكار المنكرين، ولا ينال من عزمنا في حمايتها مكر الماكرين. فلا يسع الجميع إلا لزوم الجماعة والإخلاص لوحدة وطنه ونصرة ملكه، فإن الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾ صدق الله العظيم.

حضرات السادة :

إننا نتمنى لندوتكم التوفيق، وندعو الله أن يحقق بها توعية بمزايا النظام الذي يقوم عليه الحكم في الإسلام، والأسرار التي أودعها الله عز وجل في ميثاق البيعة، والمكانة العظيمة التي أولاها

لهذا العهد بقوله سبحانه: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما**﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

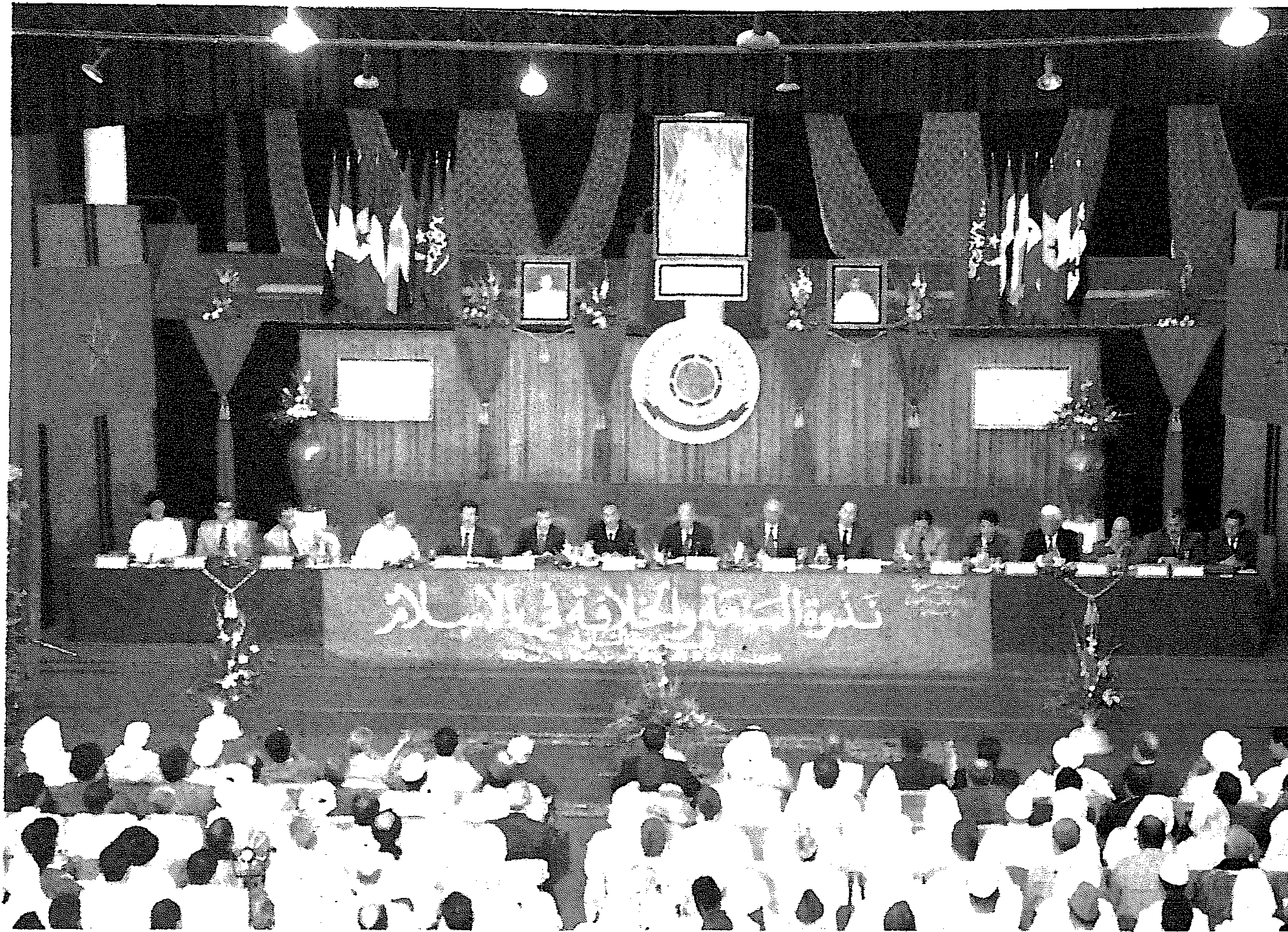


الكلمات التي ألقيت

في

الجلسة الافتتاحية لندوة البيعة والخلافة

في الإسلام



صورة للجلسة الافتتاحية للندوة



كلمة الافتتاح

للسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

في الجلسة الافتتاحية لندوة البيعة والخلافة

في الإسلام المنعقدة بالعيون

بتاريخ 11 ـ 12 صفر الخير 1415هـ

21 ـ 22 يوليوز 1994م



السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
أثناء إلقائه لكلمته في الجلسة الافتتاحية للندوة

كلمة الافتتاح

للسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حضرات السيدات والسادة :

تنعقد هذه الدورة من ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، والشعب المغربي يحتفل بعيد الشباب المجيد، ذكرى ميلاد صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده.

وإن علماء المملكة، ورجال الفكر فيها من حضر في هذه الندوة، ومن لم يحضر يعتبرونه عيد ميلاد البعث الإسلامي في هذا البلد الأمين لكثرة ما أنشأ هذا الملك من معاهد الإسلام، وما أحيى من تراثه، وما رفع من ألويته، وما بنى من مساجد ومدارس، وما أسس من كراس علمية، وما ازدهر على يده من علوم شرعية، وما شهد العلماء في أيامه من عز وعلو مكانة، وما رعايته السامية لهذه الندوة، وتوجيهه لهذه الرسالة السامية التي قرأها علينا

مستشاره، الأستاذ الكبير عبد الهادي بوطالب إلا وجه من وجوه ما سميناه بميلاد البعث الإسلامي في عهده أمد الله في عمره وأيده بنصر من عنده.

حضرات السيدات والسادة :

تنعقد هذه الندوة في موضوع البيعة والخلافة في الإسلام، وكأن المشاركين فيها من علماء، ودعاة، ورجال فكر، ورجال سياسة ونضال وكفاح وطني يشغلهم هاجس واحد هو التأمل في مغربية الصحراء كأبلغ تطبيق عملي، وأحسن تجسيد فعلي لبقاء عقد البيعة فاعلا في الزمان والمكان، ومؤثرا في الأحداث، وبارزا في الميدان رغم توالي الدهور وتعاقب الأحقاب والقرون، مما يدل على أن نظام الحكم الذي جاء به الإسلام لا يقوى قوته أي نظام، وناهيكم بمحكمة العدل الدولية، وقد وجدت نفسها مضطرة إلى الاعتراف بأن سكان الصحراء تربطهم بجلالة ملك المغرب رابطة البيعة.

هذا، وإن مهمة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء هي بيان ما في كتاب الله وسنة رسولهﷺ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ وها هي بحوث العلماء المقدمة إلى هذه الندوة صريحة في أن البيعة من الدين، وأنها عهد لا تحل خيانته وميثاق لا يجوز نقضه، وعقد بين الراعي والرعية لا يملك أحد منهما الإخلال بأحد من شروطه. وأن المرء مسؤول عن هذا العهد أمام الله تعالى، وأنه يحاسب



صورة تبرز بعض الشخصيات العلمية من البلدان الإسلامية
وهم يتابعون أشغال الجلسة الافتتاحية للندوة

عليه، وأن من مات وقد خان عهد البيعة أو نقضه أو رفض أن يدخل في البيعة أصلا فخلع يده من الطاعة الواجبة لأمير المؤمنين، مات ميتة كفار الجاهلية أي مات على غير دين الإسلام.

كما أن بحوث العلماء في هذه الندوة أوردت وثائق وحججا ودلائل لا تترك شكا أو لججا على مغربية الصحراء: فهذه ظهائر من ملوك هذه الدولة العلوية الشريفة، وهذه رسائل من أمراء الصحراء وعمالها ووجوهها إلى ملوكهم، وهذه وفود لا تنقطع لتجديد البيعة، وهذا سلاح ومؤن من ملك المغرب إلى رعاياه من قبائل الصحراء لدعم جهادهم ضد المستعمر...

كل ذلك أبرزه العلماء جزاهم الله خيرا بحججه ووثائقه ومراجعه في البحوث التي ستناقشها هذه الندوة.

وهي كلها تدور على خمسة محاور :

1) البيعة والخلافة في الإسلام : مفهومها وأحكامهما.

2) البيعة في الإسلام أساس في إقامة الدولة الإسلامية.

3) البيعة والخلافة عبر تاريخ الدولة المغربية ودورها في استثمار واستقرار وحدة المغرب.

4) بيعة المغاربة للدولة العلوية الشريفة قبس من البيعة النبوية الشريفة.

5) دور علماء الصحراء في تثبيت الوحدة الوطنية.

ومع أهمية هذه المحاور والبحوث فسنحرص على أن لا تكون الندوة مدرسية جافة أو أكاديمية صرفة، بل سيشارك في المناقشات، والمداخلات الجمهور الحاضر من أبناء صحرائنا ليكون الحوار بناء واللقاء تاما بين العلماء وسائر المواطنين.

حضرات السيدات والسادة :

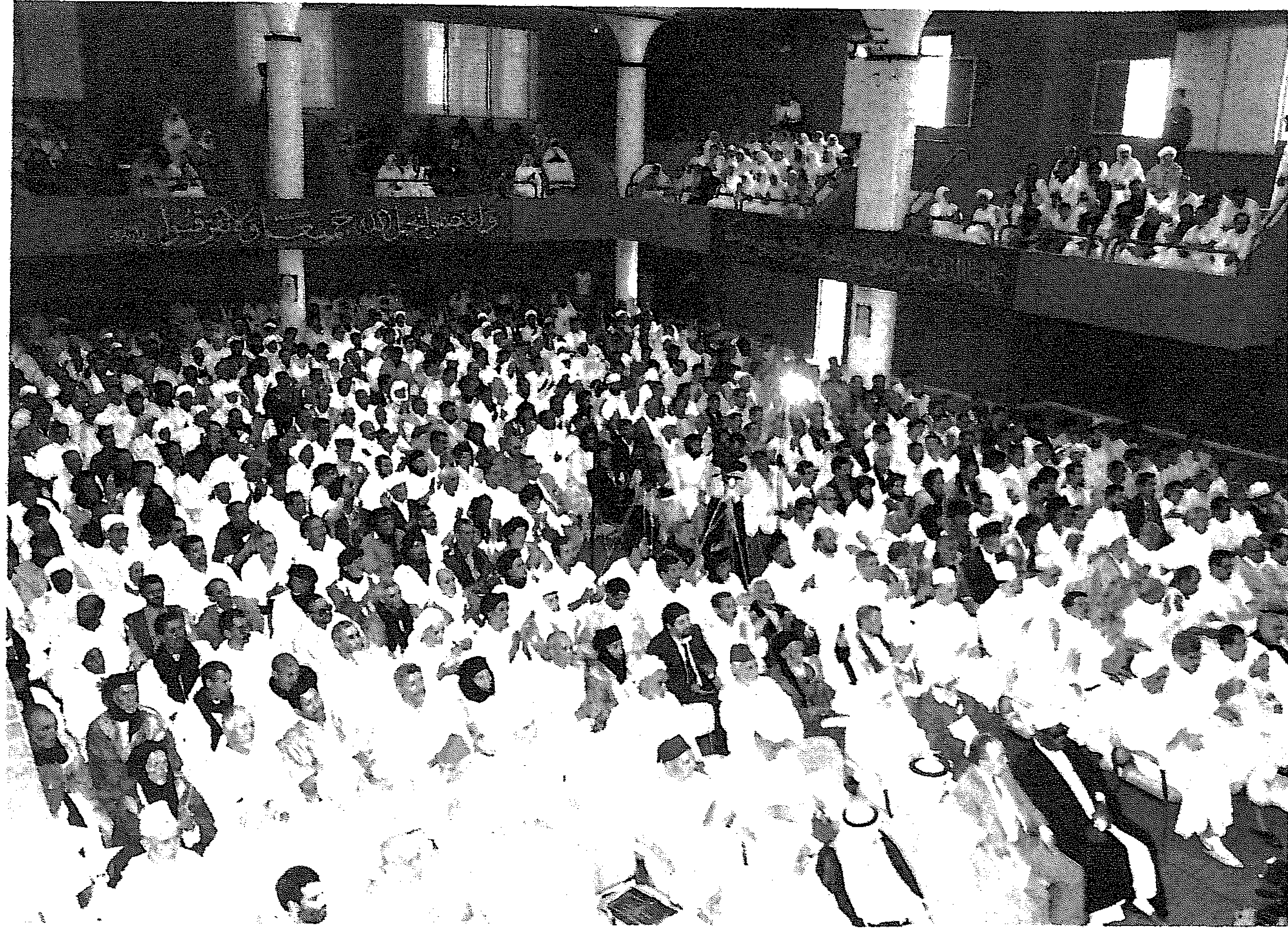
إن قضية مغربية الصحراء ليست عندنا قضية وطنية فحسب تسترخص الدماء في سبيلها، وتهون جميع التضحيات من أجلها، بل هي أيضا قضية شرعية تعلق بها حق الله تعالى بما يدخل في عموم قوله تعالى: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما﴾**.

والطابع الشرعي لقضيتنا الوطنية لا يؤثر فيه شيء مهما كان، وهذا ينبغي أن تعلمه الفئة الباغية من الانفصاليين الذين غرتهم الأماني، وظنوا أنهم ما نعتهم قرارات هذه المنظمة أو تلك، فإننا من طنجة إلى الكويرة:

ليس منا من يخون دينه.

وليس منا من يخون وطنه.

وليس منا من يخون ملكه.



صورة تبرز الحضور الكريم من العلماء من داخل المغرب وخارجه والمدعوين من مدينة العيون والأقاليم الصحراوية أثناء تتبعهم لفقرات الجلسة الافتتاحية للندوة

وقد عبر الشعب في الصحراء عن هذا بالنثر والشعر والألوان والألحان، والأهازيج والزغاريد، والرايات واللافتات، والمآدب والحفلات لمن أراد أن يلقي السمع وهو بصير. فإذا كانت هذه الفئة الباغية، والعصابة الضالة من شذاذ الآفاق، ومن معهم من حساد هذه الدولة يعلقون الأمل على خرافة من الخرافات، أو منظمة من المنظمات لقطع ما أمر الله به أن يوصل. فإننا نحن هنا نعلق الأمل على إيمان شعب الصحراء، وتمسكه بقيمه الدينية والوطنية، ذلك الإيمان الذي عبر عنه هذا الشعب في الاستفتاء الدائم الخالد، الاستفتاء التلقائي اليومي، استفتاء الشارع، استفتاء الرجال والنساء الشرفاء الأبرياء الذين لا يجدون في الأوراق والصناديق واللوائح والأرقام ما يشفي غليلهم، ويعبر عن قوة إيمانهم، استفتاء الشعب الخالد الذي به انتزع حريته من براثن الاستعمار، واسترجع حقوقه المهضومة ضدا على الحديد والنار، استفتاء العبارة الخالدة (عاش الملك).

وفوق ذلك نتحداهم ونتحدى كل منكر وكل مكابر، ونتحدى كل طامع أو ماكر، ونقبل على الاستفتاء الذي دعا إليه ملكنا وقائد مسيرتنا بحماس وثقة واعتزاز وشموخ ﴿**ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم، وعد الله، لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾. صدق الله العظيم. الروم 4.

حضرات السيدات والسادة :

كما رأينا بعض الناس في بعض البلاد مازالوا يحملون راية الاتحاد السوفياتي القديم رغم سقوطه، ويعبدون لينين رغم إفلاسه، فكذلك نرى اليوم أناسا آخرين مازالوا على عداوتهم للمغرب في استرجاع صحرائه رغم تغير الخريطة الجيوسياسية للعالم، والتي كانت تبرر المواقف السلبية لبعض الدول فيما سبق.

ولكن هذا التأخير في التوقيت عند هؤلاء مازالت مع الأسف تنضاف إليه توجهات غير حضارية عند بعض الجهات الاستعمارية تهدف إلى تقزيب وتفتيت الدول التي لها كيان، ولها كرامة، ولها أصول، ولها حضارة، والتي يمكن في أجل قريب أن تصبح ندا يزاحم بالأكتاف، ويقف مرفوع الرأس في صفوف الدول التي لها اعتبار.

وإن الضمير الوطني الحي النابض في العروق مع الدم والمتحرك مع الأنفاس، والمشع مع نور البصر والمتدفق مع التكبير والتهليل في الصلاة والدعاء والذكر، يهديكم أخواتي وإخواني سكان الصحراء لتكونوا كما هو العهد بكم دائما:

مع الوحدة، وضد الفرقة،

ومع الكرامة، وضد الذل،

ومع الوفاء، وضد الخيانة،

ومع قوة وطنكم، وضد إضعافه،

ومع ملككم الحسن الثاني وضد خصومه، والله مع الجميع وهو حسبنا ونعم الوكيل: **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم﴾** آل عمران 174 صدق الله العظيم.

حضرات السيدات والسادة :

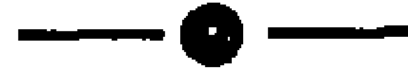
أعبر عن امتناني لصاحب الجلالة حفظه الله على رعايته لهذه الندوة، وعنايته بالمشاركين فيها.

كما أشكر علماء وسكان مدينة العيون على ترحيبهم بالمشاركين فيها، وأشكر السيد والي صاحب الجلالة على ولاية العيون السيد حسن وشن، وأثني على العمل المخلص الذي أسهم به إسهاما فعالا في توفير الظروف الملائمة لانعقادها.

وأشكر القوات المسلحة الملكية الظافرة التي أبت إلا أن تكرم العلماء، وتقيم لهم حفلا خاصا. وأرحب بضيوفنا الأجلاء من علماء الدول العربية والافريقية الذين شرفونا بحضورهم. كما أرحب بالإخوة رئيس مجلس النواب المحترم، والسادة زعماء الأحزاب السياسية الوطنية المحترمين، من حضر منهم شخصيا، ومن أرسل من يمثله، وأشكر أصحاب المعالي الوزراء، وأصحاب السعادة السفراء، وجميع الإخوة الذين أبوا إلا أن يشاركونا هذه الجلسة الافتتاحية البهيجة رغم مسؤولياتهم الكثيرة.

نسأل الله تعالى أن يبارك في هذا العمل، ويحفظ مولانا أمير المؤمنين، ويطيل عمره، ويقر عينه بسمو ولي عهده، الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السيعد، الأمير مولاي رشيد، وسائر أفراد أسرته العلوية الشريفة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.





كلمة

السيد رئيس المجلس العلمي الإقليمي

لمدينة العيون والأقاليم المجاورة

كلمة
السيد رئيس المجلس العلمي الإقليمي
لمدينة العيون والأقاليم المجاورة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

- معالي مستشار صاحب الجلالة،
- السيد رئيس مجلس النواب،
- معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية العلامة الدكتور مولاي عبد الكبير العلوي المدغري،
- السادة الوزراء،
- السيد والي عمالتي العيون وبوجدور،
- السيد الجنرال قائد منطقة الساقية الحمراء للقوات المسلحة الملكية،
- السيد رئيس المجلس البلدي،
- السيد رئيس المجلس الإقليمي،
- السادة العلماء،
- السادة النواب والأعيان وكافة المنتخبين،
- أيها الحضور الكريم،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد : فإن انعقاد الدورة الثانية من أحكام البيعة والخلافة في الإسلام، تحت الرعاية السامية لأمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني بمدينة الجهاد والتضحية والوفاء للبيعة مدينة العيون، هو أكبر تشريف لهذه الجهة، وأغلى أمنية تحققت عندنا جميعا بفضل العناية الخاصة التي يوليها سيدنا دام ،لاه لجميع أفراد هذه الأمة المخلصين، وبالأخص أبناء الصحراء المغربية الذين عمتهم الفرحة، وكساهم السرور بهذا الملتقى الفريد من نوعه.

إذ ضم على أرض الصمود والتضحية والإباء وبلد الثبات على المبدإ والوفاء قمما من أعلام الفكر، وعباقرة من أرباب القلم. شرفوا هذه الندوة المباركة بحضورهم السار، لما لهم من مكانة علمية وسمعة طيبة، وإنتاج رفيع، ومقام سام، وصدر رحب، وحكمة بالغة استطاعوا بها حفظهم الله أن ينتزعوا إعجاب من احتك بهم، وانتفع بما لهم من عطآت علمية سخروها لهداية البشرية حسب الواجب شرعا، ملتزمين في قيامهم بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومن المعلوم أن أنظار العالم مشدودة إلى هذا التجمع الديني العلمي، ترقب عن كثب ما سيسفر عنه من إنتاج فكري لأهمية موضوعه، ودقة محاوره، وتعطش الراغبين في معرفة ما سيعالج به علماؤنا هذه المواضيع الحساسة التي سيتطرقون إليها في عروضهم المفيدة، وتدخلاتهم الهادفة، واستنتاجاتهم الصائبة بحول الله.

ولا شك أن هذا العمل الرائد الذي قام به العلامة الجليل، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية سيغني الخزانات العلمية بابتكارات خلاقة في موضوع الحكم في الإسلام، وما تتسم به الإدارة الإسلامية من مرونة وتكيف حسب التجدد المستمر، وما تمتاز به من واجب الطاعة لولي الأمر حفاظا على تلاحم صفوف الأمة، وجمع شملها، وصيانة وحدتها ترابيا وبشريا.

وللبيعة في الإسلام طابع خاص، وتوجهات متميزة تسهر على ضبط سلوك الرعية مع الراعي، والعكس صحيح، وهذا الجانب على السادة العلماء توضيحه لمن يجهله، أو يتجاهله من المسلمين وغيرهم.

«فإن البيعة كما قال سيدنا في كتابه ذاكرة ملك ــ شيء لا يمكن التلاعب به، وأنا – يقول سيدنا – مرتبط بالتزاماتي تجاه رعاياي، كما أن هؤلاء مرتبطون بالتزاماتهم تجاهي، فإني في نفس الوقت خديمهم، وملكهم وهو أمر يصعب فهمه في الغرب» انتهى كلام سيدنا.

لقد حافظ هذا الجناح الغربي من بلاد الإسلام على ما درج عليه السلف الصالح من التمسك بواجب الطاعة، والحفاظ على ما تدعو له البيعة لأمير المومنين من الانقياد، وعدم الاعتراض تمشيا مع ما قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز، وما ثبت عن رسول الله ﷺ في هذا المضمار. قال جل من قائل:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم﴾.

قال العلماء في تفسير هذه الآية، المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء.

هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم.

ففي صحيح مسلم، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني» لقد قرن الله طاعته بطاعة نبيه، وقرن النبي طاعته بطاعة الأمير، ليطبع حياة الإدارة الإسلامية النظام الواعد، إذ هو الباب الوحيد الذي يدخل منه لحسن تدبير شؤون الأمة، وهو الطريق اللاحب الذي تسلكه الأمم لتصل إلى مدارج الرقي، ومقامات الكمال.

لقد انصهر المجتمع المغربي المدني بطبعه مع التعليمات الإسلامية، وسار مع سبيل السلف في الحفاظ على مقومات الإدارة الإسلامية متمسكا أشد ما يكون التمسك بالثوابت المقدسة، ومتكيفا مع مستجدات العصر التي لا تعرف التوقف.

ومن تتبع تاريخ أمتنا المغربية المشرف يعلم علم اليقين، أنها عاضة بالنواجد على أصالتها، معتزة بما ترك لها أمجادها من بناء حضاري ماثل للعيان.

ولقد ضربت أمتنا المغربية الرقم القياسي في البناء والتشييد ورفع راية الإسلام خفاقة في كثير من ربوع العالم، بقيادة العرش العلوي المجيد، الذي نشر الإسلام، وصان القيم، وحرر

الشعوب، ووحد الصفوف، ودافع عن حقوق الإنسان، ووجه النصائح الغالية لفصائل المجتمع الإسلامي.

ومن ذلك قول سيدنا دام علاه ناصحا وموجها لمعاشر المسلمين قال:

«لقد شرفنا الحق سبحانه بأمر عظيم عندما كلفنا بهداية أنفسنا، وهداية الإنسانية، ودعانا إلى أن نتمسك بالخلق الكريم، والسلوك القويم حتى يصبح كل مسلم إنسانا كاملا في نفسه واسوة حسنة لعموم البشرية. وعندما أراد أن يجعل أمتنا خير أمة أخرجت للناس، لم يجعل خيريتها مشتقة من سمو في العرق والجنس والسلالة، إذ لا فضل في الإسلام لآدمي على آدمي إلا بالتقوى وكلكم من آدم وآدم من تراب.

كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام. وإنما جعل خيرية أمتنا قائمة على مقدار ما تبذله من جهود صادقة في إصلاح شؤون البلاد والعباد، وتطهير الأرض من الفساد».

هذا نموذج من نصائح أمير المومنين للأمة الإسلامية حسبما في الرسالة الموجهة إليها بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، والتي إن عملت الأمة بما جاء في صلب هذه الرسالة القيمة الموما إليها ستسترجع غابر مجدها، وتعيد سالف عزها، وتستأنف من جديد مسيرتها في البناء والتشييد، وما ذلك على همم قادة الإسلام وشعوبه بعزيز.

إن أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني، يدعو للخير، ويوجه إليه، وينشر السلم، ويسهر على سيادة القانون، وتعميم العدالة.

كرس جهده دام علاه في جلب المنافع للإنسانية، ودفع المضار عن جميع فصائلها جاعلا نصب عينيه الأثر القائل: الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

أيها السادة، أيتها السيدات :

مما يثلج الصدر وترتاح له النفس، هذه الخطوات العملاقة التي قطعتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتطبيقها الحرفي لتوجيهات أمير المومنين في نشر الإسلام، وإحياء تراثه، وإبراز قيمه.

فكان العلامة الدكتور مولاي عبد الكبير العلوي المدغري، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية مثالا يحتذى به في القيام بالعمل المنوط به أحسن قيام.

أيها السادة :

لقد أسمع أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني دام علاه، صوت الإسلام، ونشر عقيدته على حقيقتها في كثير من أقطار هذه الكرة الأرضية، كما استقطب لهذه المناسبات الدينية والوطنية أعلاما من شتى بلاد العالم لجمع شمل آصرة علماء الإسلام لما في وحدة الرأي، وتوافق

التوجه من قوة يحتاج الإسلام لها، وليعلم الكل أن للإسلام حضورا في جميع مجالات الحياة، ولا يمكن تقوقعه في جانب معين فهو دين ودنيا، ويسر وعدم عسر، لا تزمت فيه ولا تحجر.

أيها السادة، أيتها السيدات، إخواني، أخواتي :

لا شك أنكم عشتم الفرحة التي عمت سكان هذه الجهة بمناسبة عيد الشباب، والذي ينعقد هذا الملتقى في ظله، ولاحظتم مدى تأثر الجميع وسروره بانعقاد هذه الندوة المباركة في مدينة العيون المجاهدة.

ذلك أنه ما إن جاء نبأ هذا اللقاء السار الذي يتناول موضوع: البيعة والخلافة في الإسلام، حتى انطلق سكان هذه الجهة الجنوبية من العلماء والمنتخبين والأعيان والممثلين للمشاركة العملية في هذه التظاهرة الدينية التي تنعقد تحت الرعاية السامية لأمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني.

لما لأبناء هذه الجهة كغيرهم من سكان المملكة المغربية من إخلاص للعرش العلوي المجيد، وتشبث بالبيعة الشرعية التي تركتها الآباء للأحفاد لهذه الدوحة النبوية الشريفة.

ومن حسن الصدف، وهذه النقطة لابد من التنبيه عليها هي أن هذه البقعة المباركة الموجود بها حالا قصر المؤتمرات هي نفس البقعة التي أقام بها سكان هذه الجهة أكبر احتفال شاهده تاريخ هذه المنطقة سنة 1956 بمناسبة رجوع المغفور له جلالة الملك

محمد الخامس من منفاه السحيق ووارث سره ملكنا المفدى الحسن الثاني، والأسرة المالكة حاملا معه طيب الله ثراه، وثيقة استقلال المغرب.

ولم يقدر الاستعمار الإسباني الذي كان جاثما بكلكله على هذه الجهة آنذاك أن يرد السكان عن احتفالهم بعيد الاستقلال، وتجديد بيعتهم للمغفور له محمد الخامس، تغمده الله برحمته.

وفعلا انطلقت الوفود من هذه المنطقة حتى مثلت في ذلك التاريخ أمام جلالة الملك محمد الخامس رضوان الله عليه لتجديد البيعة لمقامه العالي بالله، ولقد ساعدني الحظ إذ كنت من بين الوافدين المجددين للبيعة، باسم سكان هذه الجهة.

ولا أطيل في ذكر جهاد أبناء هذه المنطقة الذي خاضوه بقيادة العرش العلوي المجيد ضد الوجود الاستعماري، فالكل يعلم مدى إخلاص الجميع وتضحيته وتشبثه بالبيعة للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه أمير المومنين الملك الحسن الثاني حتى توج الله هذه المسيرة النضالية الطويلة المشوار بمسيرة فتح القرآنية، التي حررت الصحراء، وجعلتها ولله الحمد جنة خضراء بحكمة وحنكة أمير المومنين، وحامي حمى الوطن والدين، جلالة الملك الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني، فتغير وجه الحياة في هذه الأقاليم، وعاش السكان في أمن وأمان، وسلامة واطمئنان، وتقدم وازدهار كاملين بفضل العناية التي يوليها سيدنا لجميع سكان المملكة، وبالأخص أبناء هذه الجهة الجنوبية الذين شملهم

نعيم الحرية والانضمام إلى الوطن الأب مؤخرا، فأولاهم سيدنا بعناية خاصة، وعطف مولوي كريم دام عزه وعلاه.

أيها السادة، أيتها السيدات :

لقد شرفتم بحضوركم هذا الملتقى التاريخي، وأبيتم إلا أن تشاركوا في عمله الهادف، وتجشم الكثير من علماء الدول الشقيقة والصديقة متاعب السفر حرصا على المشاركة المفيدة في هذه الندوة المباركة.

ولا يفوتني باسم علماء هذه الجهة، وجميع سكانها إلا أن أرحب بضيوفنا الكرام، فإنهم بين أهلهم وذويهم، ووطنهم الثاني المملكة المغربية.

فمرحبا بالسادة العلماء، وبجميع المشاركين لنا في هذه الندوة، وأرجو لكم مقاما سعيدا بين أهليكم وذويكم.

ولقد تشرفت مدينة العيون المجاهدة، وأبناء هذه الجهة بصفة عامة، بهذا الحضور المشرف.

وفي الأخير، فإننا نلتمس من رئيس الندوة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، إبلاغ سيدنا تجديد بيعة السكان الذين أخلصوا لله ولرسوله، ولوارث سر جده الأكرم، أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني أمد الله في عمره، وخلد في الصالحات ذكره، وأقر عينه بولي عهده الأمجد، سمو الأمير مولاي سيدي محمد، وبصنوه الرشيد، سمو الأمير مولاي رشيد، وبجميع أفراد الأمراء والأميرات، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



كلمة

رئيس المجلس الإقليمي لمدينة العيون

السيد إبراهيم الدويهي

كلمة
رئيس المجلس الإقليمي لمدينة العيون
السيد إبراهيم الدويهي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

- السيد رئيس الندوة، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور مولاي عبد الكبير العلوي المدغري،
- السادة الوزراء،
- السادة مستشارو صاحب الجلالة،
- السادة والي وعمال صاحب الجلالة،
- السادة الضيوف المحترمون، والعلماء الكرام،
- أيها الحضور،

إنه لشرف كبير يخص به اليوم مولانا المنصور بالله جلالة الملك الحسن الثاني مدينة العيون، قلب الصحراء النابض بالخير والعطاء، لتحتضن هذا الجمع المبارك من صفوة العلماء الأجلاء والفقهاء الأتقياء، مغاربة وأشقاء، جاؤوا تجمعهم كلمة واحدة، التباحث في أمور الأمة الإسلامية، ومضامين ارتباطه بالإمام لتطبيق شرعة الله لصالح البلاد والعباد.

كلمة رئيس المجلس الإقليمي لمدينة العيون السيد إبراهيم الدويهي

فأصالة عن نفسي ونيابة عن سكان إقليم العيون، أتقدم إليكم بأسمى عبارات الترحيب، وعظيم الإمتنان على مشاركتكم في هذه الندوة الثانية، حول: مفهوم البيعة والخلافة في الإسلام، والتي تنعقد بموازاة مع احتفالات الشعب المغربي بعيد الشباب المجيد، متمنيا لكم إقامة طيبة بين ذويكم وأهليكم، آملا تكرار مثل هذه اللقاءات التي تشد الآصرة والتآزر بين أعضاء المجتمع الإسلامي.

إن ارتباط أهل الصحراء المغربية، وتشبثهم وبيعتهم اللامشروطة للسلاطين والملوك المغاربة متجذرة في التاريخ، انطلاقا من ولاية المولى إدريس الأكبر، إلى ولاية أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله، وستبقى خالدة ما بقي الدهر، بل إن أبناء الأقاليم الجنوبية يعتبرونها جزءاً لا يتجزأ من عقيدتهم الإسلامية، ولم يثبت تاريخيا أن زعيما روحيا أو سياسيا استطاع إمرة المواطنين أو إسماع صوته بهذه الربوع دون الاستناد على تولية رسمية، أو ظهير تعيين من سلطان المغرب.

وبالمقابل، فقد التزم ملوك المغرب بعهد البيعة في حماية الرعايا، وصيانة حقوقهم وحرياتهم. هؤلاء الذين اعتبروا الملوك ملجأهم وملاذهم الوحيد، سواء حينما بدأت الأطماع الاستعمارية تلوح على المنطقة، أو عندما يضطر السكان في مواسيم الجفاف إلى التنقل نحو الشمال بحثا عن الرزق، ومراعي الماشية، حيث كانت تخصص لهم أراضي سميت بأراضي الكَيش، لازالت تحمل نفس الإسلام إلى يومنا هذا، ليمارسوا فيها نشاطهم واقتصادهم تظلهم وتقيهم حماية السلطان.

فالهجرة كانت دوما نحو الشمال، ولم يسجل التاريخ أي توجه نحو جهة أخرى ولعل هذا الالتحام والالتفات وراء خليفة المسلمين، وإيمان المغاربة واعتناقهم للبيعة، هو الذي حال دون النيل من وحدة المغرب، ومقاومة التسابق والتهافت الأجنبي، ومحاولاته لتقسيم التراب الوطني، وتوزيع مجاله إلى مناطق ذات نفوذ إسباني في الشمال محاذاة للشواطىء الإسبانية، وفي الجنوب أمام جزر الكناري، ومنطقة وسط فرنسية تكون امتدادا للجزائر المستعمرة.

وما المسيرة الخضراء إلا إحدى صور هذا الالتحام القوي بين القمة والقاعدة، ومعاهدتهما المستديمة على الوقوف صفا متراصا أمام الأعادي، وإعطائهم دروسا في العقيدة والوطنية والتضحية، وبنفس الوئام والتعاضد، والمبايعة لأمير المومنين، نضرب موعدا آخر مع التاريخ، ونتعاهد على تحرير سبتة ومليلية آخر معقل للاستعمار.

لقد استطاع المغرب أن يغني قاموس القانون الدولي بإدخال مفهوم البيعة، حينما أصدرت محكمة لاهاي فتواها التاريخية، وهي تنظر في مطلب المغرب العادل بخصوص صحراءه، وأقرت بأنها لم تكن أرضا خلاء قاحلة، وإنما كانت هناك علاقة بيعة دائمة بين أهلها، والملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب.

وأغتنم هذه المناسبة المواتية لأتقدم باسم سكان العيون جميعهم شيبا وشبابا، ذكورا وإناثا، إلى السدة العالية بالله،

بعد تقديم فروض الطاعة والولاء، بتجديد البيعة التي لمت شمل المغرب على مدى الأحقاب، والتعبير عن مدى استعدادنا المطلق للحفاظ على مقوماتها وشروطها وفق ما سنته وشرعته عقيدتنا الإسلامية السمحة، حتى نحقق الآمال والأماني لأمتنا الغراء، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.





كلمة
السيد مولاي اعلي الدويهي
باسم قبيلة الرقيبات

كلمة
السيد مولاي اعلي ادويهي
باسم قبيلة الرقيبات

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

السيد رئيس الندوة معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية،
السادة الوزراء،
السادة مستشارو صاحب الجلالة،
السادة والي وعمال صاحب الجلالة،
السادة الضيوف والعلماء الأجلاء،
السادة والسيدات،
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

يشرفني أصالة عن نفسي، ونيابة عن أبناء قبائل الرقيبات الشرفاء، أن أرحب بكم غاية الترحيب، في مدينة عيون الساقية الحمراء الصامدة، التي تتشرف اليوم باحتضان ندوتكم الثانية «البيعة والخلافة في الإسلام» التي تنظمها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تحت الرعاية السامية لأمير المؤمنين جلالة

كلمة السيد مولاي اعلي الدويهي
باسم قبيلة الرقيبات

الملك الحسن الثاني أدام الله عزه وعلاه، والتي تأتي كتتمة لندوتكم الأولى التي انعقدت سنة 1985 والتي حققت نجاحا كبيرا، وتركت صدى طيبا في نفوسنا شأننا في ذلك شأن أبناء الأمة الإسلامية جمعاء. ولقد تتبعنا ـ نحن أبناء الرقيبات ـ آنذاك عروضكم القيمة، ومواضيعكم الشيقة، فزادتنا يقينا بقوة رصيد أمتنا الإسلامية من العلماء، الذين نعتز بإسهاماتهم الجليلة في جلاء الحقائق، وحماية الأمة الإسلامية من كل ما من شأنه أن ينال من كيانها.

وإنه لمن يمن الطالع أن يتصادف انعقاد ندوتكم الثانية، مع مناسبة الذكرى الخامسة والستين لميلاد مولانا المنصور بالله جلالة الملك الحسن الثاني أيد الله ملكه وأعز سلطانه، التي يعتبرها أبناء الرقيبات خاصة، وأبناء القبائل الأخرى في الشمال والجنوب ــ عامة مناسبة وطنية يستحضرون فيها أمجاد وبطولات الدولة المغربية بقيادة الملوك العلويين الأبرار، الذين بذلوا كل غال ونفيس من أجل الذب عن حياض الإسلام، والدفاع عن حوزة الوطن. كما يعبرون فيها بتلقائية وعفوية عن استمرارهم في الالتفاف حول العرش العلوي المجيد، والجالس عليه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، الذي قيضه الله لهذا الشعب الأبي، ليصحح الخلل التاريخي، الذي حدث في مسيرة التاريخ، نتيجة الأطماع الاستعمارية في بلادنا، والتي حاولت أن تعيق القبائل الصحراوية عن الوفاء بالتزاماتها العقائدية، والوطنية، المتمثلة في التمسك بالدين الإسلامي الحنيف، والوحدة

الترابية، والبيعة الرضوانية، وإذا كانت بيعتنا نحن قبائل الرقيبات - كما يعلم الجميع - ثابتة بالنسب، فإنها تأكدت بجهادنا ودفاعنا عن المقدسات في كل المعارك التي خضناها، إلى جانب إخواننا أبناء القبائل الأخرى - ضد الاستعمار الغاشم، دون أن ننسى تجندنا في صفوف جيش التحرير، إلى جانب إخواننا من القبائل الأخرى شمال المملكة، وجنوبها بقيادة ولي العهد آنذاك، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وانتصارنا على الاستعمار في كل المعارك التي خضناها، تلكم المعارك التي ما كان للمملكة المغربية، والعروبة، والإسلام، أن يخرجوا منها مرفوعي الرأس، لو لم تكن مبنية على الإيمان بالله عز وجل، والالتحام المتين بين العرش العلوي المجيد، والشعب المغربي الأصيل.

ولقد سجل التاريخ إلى جانب هذه المعارك انتفاضة أبناء قبائل الرقيبات، وإخوانهم أبناء القبائل الأخرى في الصحراء المغربية، استنكارا لتطاول الاستعمار الفرنسي الغاشم على رمز وحدة البلاد جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، وامتناعهم عن لباس الزينة، وأعياد الأضحى، وتقصير الصلاة تضامنا مع ملكهم وأسرته الشريفة، كما سجل التاريخ احتفالهم بعودة بطل العروبة والإسلام طيب الله ثراه من منفاه، ورفعهم للأعلام الوطنية أمام أنظار ضباط الاستعمار الإسباني الغاشم، ومثولهم بين يدي جلالة المغفور له محمد الخامس تغمده الله برحمته، وأسكنه فصيح جناته، لتجديد البيعة، ومبايعة جلالة الملك

الحسن الثاني قبل وبعد حدث المسيرة الخضراء المظفرة.

وإننا لنغتنم هذه المناسبة التاريخية الخالدة لتجديد بيعتنا وولائنا لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، المصون بالقرآن والسبع المثاني، وتجندنا الكامل واللامشروط وراء جلالته للدفاع عن حوزة هذا الوطن، ومؤكدين على أننا سندافع بكل ما أوتينا من قوة لرفع الحصار عن المغلوبين على أمرهم من أبنائنا المحتجزين في تندوف وضواحيها، وسنحشد ـ كما كنا ـ قوانا وراء جلالة الملك لحماية المكتسبات، والدفاع عن القيم والمقومات والمقدسات، حتى نفوت الفرصة على أعداء هذا البلد الذين ساءهم أن يلتئم شمله، وحز في نفوسهم أن يكون الانتصار حليفه.

وفي الختام، وباسم قبائل الرقيبات، ألتمس من السيد رئيس الندوة، أن ينوب عنا في رفع أسمى فروض الطاعة والولاء، وموفور الوفاء والإخلاص، إلى حضرة عاهلنا المفدى جلالة الملك الحسن الثاني، راجين من المولى عز وجل أن يبقيه لنا حصنا حصينا، وحارسا أمينا، وأن يصون به شريعة الإسلام، وأن يجمع به وعلى يديه شمل العرب والمسلمين، وأن يقر عينه بولي عهده المحبوب، الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد، المولى الرشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة.

إنه سميع مجيب





كلمة

السيد بنداود محمد فاضل

باسم قبيلة تكنا

كلمة
السيد بنداود محمد فاضل
باسم قبيلة تكنا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

- السيد رئيس الندوة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور مولاي عبد الكبير العلوي المدغري،
- السادة الوزراء الأوفياء،
- السادة مستشارو صاحب الجلالة الأفاضل،
- السادة والي وعمال صاحب الجلالة المحترمون،
- السادة الضيوف والعلماء الكرام،
- حضرات السادة والسيدات الأماجد،

باسم قبائل تكنا المجاهدة، نرحب بالسادة العلماء الأجلاء، وبمستشاري صاحب الجلالة الحسن الثاني العظيم، وبالسادة الوزراء الأوفياء، وبجميع الضيوف الكرام، الذين أتوا من مختلف الدول الشقيقة والصديقة، ليشارك الجميع في إحياء هذه الندوة المباركة، تحت عنوان البيعة والخلافة في الإسلام، ولتتمازج أفكار الجميع في جو ملئه الود والإخاء، وما اختيار مدينة العيون لهذا

كلمة السيد بنداود محمد فاضل
باسم قبيلة تكنا

الملتقى التاريخي الكبير، إلا التفاتة مولوية كريمة، عن مدى العناية والتشريف الكامل الذي ما فتىء يوليه صاحب الجلالة نصره الله وأيده لسكان الأقاليم الجنوبية من وطننا العزيز.

أيها السادة الأفاضل، لقد جاهدث قبائل تكنا من أجل تعزيز البيعة التي كانت ولا تزال، تمثل الرباط المتين، الذي يجمع بين الملك الشرعي للبلاد وجميع القبائل المتعايشة على أرض الوطن من طنجة إلى لكويرة، ويتجلى ذلك في محاربتها الاستعمارين الفرنسي بالشمال، والاسباني بجنوب المملكة، وذلك من خلال المعارك المتعددة، التي كان يشنها جيش التحرير والمقاومة من حين لآخر، وفي مختلف جهات المملكة، دفاعا عن مغربية الصحراء والوحدة الترابية، لأن هذه القبائل كما ثبت لدى محكمة لاهاي الدولية، كانت لها روابط شرعية، بالملوك الذين تعاقبوا على الحكم بالمغرب، من مولاي إدريس الأكبر إلى يومنا هذا.

أيها السادة الأفاضل :

إن القبائل الصحراوية على العموم، وقبائل تكنا على الخصوص، تؤكد لكم وللعالم أجمع، أن الصحراء ببيعتها منذ الأزل مغربية، وستبقى مغربية وإلى الأبد، لأن الحتمية التاريخية لابد أن تسود، طال الزمان أم قصر، مصداقا للمقولة الشهيرة (ما ضاع حق من ورائه طالب) (ومن سار على الدرب وصل).

فصحراؤنا أيها السادة الكرام، مغربية منذ أن كان المغرب، مغربا عرقيا، وسلاليا، وتاريخيا، واجتماعيا، وعرفا، وسلوكا،

كلمة السيد بنداود محمد فاضل
باسم قبيلة تكنا

لذا، فإننا نشهدكم ونشهد الدنيا، نحن قبائل تكنا، وجميع القبائل الجنوبية، أننا على العهد باقون، وبالبيعة والإخلاص ملتزمون، وحول العرش العلوي المنيف ما حيينا ملتفون، مصداقا لقوله تعالى في محكم كتابه **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾** ومصداقا لقولهﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية».

لهذا وذاك فبيعتنا أيها السادة الأماجد، ستبقى نافذة لله وعلى الله، وإلى الله، كما سنظل أوفياء لشعارنا الخالد، الله –الوطن – الملك.

وفي الختام، فإن هذه القبائل تطلب وبحرارة من السيد رئيس الندوة، أن يرفع إلى السدة العالية بالله آيات الولاء والطاعة، مع دعواتنا الصالحة، لأمير المؤمنين، جلالة الملك الحسن الثاني، دام له النصر والتمكين.

كما نسأله سبحانه وتعالى وهو خير مسؤول أن يحفظ هذا البلد الأمين، مرفوع الاكناف، وموحد الأطراف، من طنجة إلى الكويرة.

وأن يعز الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.





كلمة

السيد لمباركي بوشرايا

باسم قبيلة العروسيين

كلمة
السيد لمباركي بوشرايا
باسم قبيلة العروسيين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

السيد رئيس الندوة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية :

ـ الدكتور مولاي عبد الكبير العلوي المدغري.
السادة الوزراء،
السادة مستشارو صاحب الجلالة،
السادة والي وعمال صاحب الجلالة،
السادة الضيوف الكرام والعلماء الأجلاء،
حضرات السادة والسيدات،

تغتنم قبيلة العروسيين انعقاد الندوة الثانية، للبيعة والخلافة في الإسلام، في هذه المدينة العزيزة من ربوع وطننا الغالي المغرب، بعد أن احتضنت مؤتمرها الأول، سنة 1987 لتعبر عن امتنانها العظيم، لمولانا المنصور بالله، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، الذي شرف مدينة العيون لهذه الحظوة، وهذا التكريم المتميزين.

كلمة السيد لمباركي بوثرايا
باسم قبيلة العروسيين

وإذ نرحب بالسادة الضيوف الكرام، وبالسادة العلماء الأجلاء، في هذه الأيام الغراء، التي تظللها نفحات إسلامية طيبة، بتواجدكم، وإحيائكم مظاهر إحدى المعالم البارزة في تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء، والمغربية خاصة ألا وهي عقد البيعة، بين من استخلفه الله في الأرض والأمة عامة، لنتمنى لكم مقاما طيبا بين ظهرانينا، وتوفيقا وسدادا بإذن الله، في مسعاكم المقدم، وإسهاماتكم القيمة.

وإذا كانت البيعة أمانة وأخذا وعطاء، تعاهد الأمة بمقتضاها الملك على السمع والطاعة، والولاء والتفويض، والملك يعاهدها على الرعاية والسهر الدائم على مصالحها، والذوذ عن كيانها، والمحافظة على شرفها حتى لا تداس ولا تهان، فإن قبائل الصحراء قد بايعت ملوك وسلاطين المغرب على الدوام، ومن بينها قبيلة العروسيين الشرفاء، إيمانا منها بمصداقية الالتحام والالتفات وراء الإمام، لكسر محاولات الهيمنة المتعددة، التي شهدها المغرب عقب الحقب التاريخية، وتكريسا لواقع لا يرتفع، يتمثل في تواجد القبيلة جماعات وفرادى في كل رقعة من المملكة المغربية، من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، وإسهامها في أزيد من ثلاثين معركة، من أجل الدفاع عن حوزة البلاد، وتأكيد هويتها المغربية الإسلامية على امتداد العصور، خاصة المعارك الواقعة في الفترة الممتدة منذ أواخر القرن الثامن عشر، إلى منتصف القرن الحالي، إبان الكفاح في سبيل تحقيق الحرية والاستقلال.

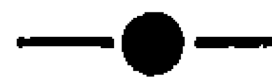
كلمة السيد لمباركي بوثرايا
باسم قبيلة العروسيين

ولم تتوان يوما في التعبير عن ولائها وإخلاصها للعرش العلوي المجيد، فهبت تدعو إلى الهجرة والامتناع عن ذبح أضحية العيد غداة نفي المغفور له محمد الخامس، وربط أبناؤها صلات متعددة ومتنوعة مع أعضاء المقاومة، لتنسيق عمل الكفاح، وتأسيس فرق عسكرية لمقاومة المستعمر، والمشاركة مع بقية القبائل في تطويق المحتل الإسباني، ومحاصرته في مدن طرفاية والعيون والداخلة.

ولقد كان مؤتمر أم الشكاك فرصة أخرى لتجديد الولاء بالانخراط في الوفد المتكون من كافة القبائل الصحراوية، التي هبت لتقديم البيعة إلى المغفور له محمد الخامس، وإثبات البقاء على العهد الذي قطعه الأجداد والأسلاف على أنفسهم.

واليوم وفي هذا المقام، تشهد قبيلة العروسيين على نفسها بضمان الحفاظ على عهد السلف، وأداء رسالة العرش، وحمل الأمانة، ورفع راية الدولة وألوية جهادها وعملها المتواصل، من أجل نصرة القضايا المصيرية، والذود عن حوزة الوطن، بكل وفاء وتفان وتضحية، تحت القيادة الرشيدة، للعاهل المفدى الملك الحسن الثاني دام له العز والنصر والتمكين.

والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته.





كلمة السيد بوسيف محمد

باسم قبيلة أولاد أدليم

كلمة السيد بوسيف محمد
باسم قبيلة أولاد أدليم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

في غمرة احتفالات الشعب المغربي بذكرى عيد الشباب المجيد، أبى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده إلا أن يشرف رعاياه الأوفياء، بموافقة جلالته على تنظيم ندوة البيعة والخلافة في الإسلام بمدينة العيون، وهذه الالتفاتة المولوية الكريمة، تعتبر أصدق تعبير عن المكانة الخاصة، التي يوليها جلالته لهذه المناطق الغالية من مملكتنا الشريفة، وإننا نحن أفراد قبيلة أولاد أدليم، ومعنا جميع أبناء القبائل الصحراوية، لنغتنم هذه الفرصة السعيدة للإشادة بهذه المبادرة الملكية السامية، التي أثلجت صدور أبناء الصحراء الأوفياء، للبيعة التي ورثوها أبا عن جد، والتي صانتها كل القبائل بدفاعهم، واستماتتهم من أجل وحدة الوطن وعزته تحت ظل القيادة الحكيمة للعرش المغربي المجاهد، فكانت لعموم القبائل الصحراوية، ومن ضمنهم قبيلة أولاد أدليم مشاركة فعالة في معارك ضارية، ضد فلول القوات الإسبانية والفرنسية، التي حاولت النيل من وحدة هذا الوطن،

كلمة السيد بوسيف محمد
باسم قبيلة أولاد أدليم

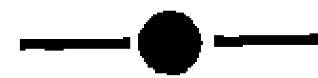
فسقط شهـداء في سبيل وحـدة المغـرب، فما بقيت قبيلـة إلا وسجلت في صفوف أفرادها شهـداء أبرارا، ورجـالا ضحوا بكل غال ونفيس من أجل عزة الوطن ووحـدة ترابه، في ملحمة وطنية امتـزجت فيهـا دمـاء أبنـاء الشمال والجنـوب، في كل المعـارك الجهادية ضد الاستعمار الصليبي.

وقد توجت هذه التضحيات بتحقيق الـوحدة الترابية بالمملكة، بفضل المسيرة الحسنيـة الخضراء المظفـرة، وبفضل تضحيـات مبدعها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.

فمـرحبـا بضيـوفنا الكـرام، وكل المشـاركين في هـذه النـدوة التاريخية الهامة، وأهلا بكم في هذه الربوع من وطننا العزيز.

وإن قبيلة أولاد أدليم لتنتهـز هذه المنـاسبة الكـريمة، لتلتمس منكم تبليغ السـدة العاليـة بـالله، تعلقهـا المتين بأهداب العـرش العلوي المجيد، وتجديد ولائها وإخـلاصها لصاحب الجلالة الملك الحسن الثـاني نصره اللـه وأيـده راجين من المولى عـز وجل أن يحفظه في ولي عهده الأمير الجليل سيـدي محمد، وصنوه السعيد مـولاي رشيد، وكـافة أفـراد الأسرة الملكيـة الشريفة، إنـه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته





كلمة

السيدة حسنا ماء العينين

باسم قبائل الشرفاء

اولاد بن السباع فيلالة توبالت·

وأهل الشيخ ماء العينين

كلمة
السيدة حسنا ماء العينين
باسم قبائل الشرفاء
اولاد بن السباع فيلالة توبالت
وأهل الشيخ ماء العينين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبة

سيدي : رئيس الندوة، معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية،

السادة : الوزراء المحترمون،

السادة : مستشارو صاحب الجلالة المحترمون،

السيد : والي صاحب الجلالة على ولاية العيون - بوجدور المحترم،

السادة : العمال المحترمون،

السادة : العلماء ضيوف المملكة الكرام،

السادة : العلماء أرباب الفكر والقلم بربوع مملكتنا الحبيبة

السادة : ممثلي السكان المنتخبون والأعيان والوجهاء،

كلمة السيدة حسنا ماء العينين
باسم قبائل الشرفاء

أيها الحضور الكرام :

باسم الإخلاص والوفاء، باسم صيانة العهد الذي ورثناه أبا عن جد، باسم المحبة والولاء، وتقديم فروض الطاعة والبيعة المستقاة من تعاليم ديننا الحنيف، وتقاليدنا المغربية الأصيلة، باسم كل هذه الأمور وما تحمله من معاني القدسية.

يشرفني في هذا اليوم الأغر، الذي يلتقي فيه مرة أخرى علماء المملكة، ونخبة مفكريها وقادتها السياسيين والدينيين، بتوسطهم ضيوفنا الكرام من علماء الأمة الإسلامية، لينتظم بذلك عقد الفكر وقلادة العز، مرسومة على جيد المملكة الحبيبة، ولتستوفي قضية البيعة والخلافة في الإسلام ما تستحقه من الدرس العميق، والتحليل الدقيق البناء، هذه البيعة التي تزين أعناقنا كمغاربة، والتي هي مصدر عزنا وسؤددنا.

سيدي الرئيس :

أيها السادة والسيدات :

إن ما يغمرني اليوم من شعور بالسعادة والحبور، مصدره مثولي بين أيديكم لألقي كلمتي هاته، نيابة عن قبائل الشرفاء، أبناء رسول الله ﷺ:

قبيلة أولاد بن السباع، قبيلة فيلالة، قبيلة توبالت، وقبيلة أهل الشيخ ماء العينين، إن هذه القبائل إذ تعتز وتفخر بأنها أنجبت علماء أجلاء، وزعماء مجاهدين أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن الوحدة الدينية والسياسية للمملكة، وخلدهم التاريخ كشهداء

حق، وكشهـود حقيقة على بيعـة جميع قبائل الصحـراء المغربيـة لملوك الدوحـة العلوية الشريفة، فلقد وثقـوا لهذه البيعة وكقضاة كما دافعـوا عنهـا أيضا كجنـود حملـوا إلى جـانب القلم الملتـزم السلاح الصارم، لمحاربة المستعمر عنـدما جاء غازيا متسلطا على وحدة الوطن وسيادته، يـومها كان لهذه القبائل قصب السبق في استنهاض همم أبناء الصحراء الأبطـال، وتوحيد كلمتهم، وصقل عزائمهم من أجـل تلبية داعي الجهاد فكـان يوم اللقـاء التاريخي العظيم، الذي اجتمعت فيه جميع قبائل الصحراء المغربية، قادتها، علمائها، وجهائها وأعيانها، بهذه الربـوع الغالية من المملكة، هذه الربوع التي كانت بالأمس تبـايع العرش العلوي المجيد بمعمارها المغربي الأصيل، وبنتاج علمائها الأفذاذ، الذي تضمنته مؤلفاتهم الغزيرة، والتي تبايعـه اليوم بما حققته المسيرة الخضراء المظفرة، وما تـلاها من مسيرات البنـاء والعمران، وتـوفير أسباب العيش الكـريم لجميع أبنـاء الصحـــراء المغـربيـة، الأرض التي حـاول المستعمـر عبثا طمس هـويتهـا الإسلاميـة المغـربية المتجـذرة في التاريخ.

نعم، لقـد اجتمعت كل قبـائل الصحراء في مطلـع هذا القـرن، وبـالضبط في السنة التـي يطلق عليها عنـدنـا في الصحراء عـام «لركـاب»، حيث توجه قـادة القبائـل وأعيانهـا لتجديـد البيعـة إلـى المولـى عبـد الحفيـظ قـدس الله روحـه، وجعـل الجـنة مثواه، فاستقبلهـم جلالتـه بمدينـة مراكـش الحمراء حيـث أكرم وفادتهـم، وأنعـم عليهـم جميعا بظهائـر ملكيـة شريفة، لازلـنا

نحتفظ بها في خزائننا كدرر ثمينة تذكرنا بأواصر المحبة والولاء، التي ربطها سلفنا الصالح بملوك الدوحة العلوية الشريفة.

وبعدما توالت المعارك الضارية، التي خاضها أبناء الجنوب الذين لم يتقاعسوا يوما، ولم يتوانوا عن الجهاد في سبيل الله، وفي سبيل الحفاظ على وحدة الوطن واستقلاله، فكانت معارك المقاومة الأولى، التي امتزجت فيها دماء المغاربة من الصحراء، ومن الريف، ومن الأطلس، مسطرة بذلك ملحمة تاريخية رائعة، انتقلت بعدها البلاد إلى مرحلة المقاومة، مقاومة الاستعمارين الفرنسيين والاسباني على حد سواء.

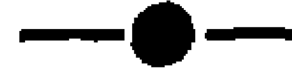
سيدي الرئيس، أيها السادة والسيدات :

لا يسعنا ونحن في هذا الموقف الجليل، إلا أن نذكر للتاريخ ولذاكرة المجد التليد، ذلك الموعد الخالد، الذي كان لجميع قبائل الصحراء المغربية بمؤتمر أم اشكاك، هذا المؤتمر الذي انطلقت منه وفود القبائل الصحراوية، لتبايع المقاوم الأول، جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه وخلد في الجنة مثواه، عندما عاد مظفرا من منفاه وبجانبه ولي عهده أنذاك، مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيد ملكه لتنطلق بعدها وبأمر منهما شرارة المقاومة وجيش التحرير مضرمة نار الحرب، تحت أقدام الاسبان فيستشهد مرة أخرى أبطال الوغى من أبناء هذا الوطن: من الريف، من الأطلس ومن الصحراء المغربية، وكأن التاريخ يعيد نفسه.

وإننا إذ نترحم اليوم على أرواح شهدائنا الأبرار، لنجدد لهم العهد ولجميع شهداء الوحدة، الذين سقطوا في ساحة الشرف، أننا سنبقى محتفظين بأواصر البيعة للعرش العلوي المجيد، مدافعين عن وحدة البلاد وسيادتها، باذلين في سبيل ذلك النفس والنفيس، ولن تفوتنا اليوم مناسبة هذا اللقاء العظيم، دون أن نلتمس منكم سيدي رئيس الندوة، أن ترفعوا إلى السدة العالية بالله، آيات ولائنا وإخلاصنا وتشبثنا بالعرش العلوي المجيد.

عاش جلالة الملك الحسن الثاني، وليبقى المغرب موحدا شامخا يتحدى، والجنة والخلود لشهدائنا الأبرار.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.





كلمة

السيد حسن الدرهم

باسم قبائل آيت باعمران

كلمة
السيد حسن الدرهم
باسم قبائل آيت باعمران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

مساهمة من أفراد قبيلة آيت باعمران لإعطاء نموذج لتجسيد مفهوم البيعة من أجل إثراء محاور هذه الندوة، التي تحظى مدينة العيون للمرة الثانية بشرف احتضان أشغالها، والتي يزيدها حضور هذه الثلة من الفقهاء والعلماء الأجلاء تألقا وهبة، ويجعل منها محطة تاريخية في البيعة للدوحة العلوية، تتجه إليها الأنظار من مختلف الربوع والأقطار.

فإن قبائل آيت باعمران تستغلها فرصة سانحة، لتجديد العهد والبيعة للعرش العلوي المجيد، وإن فترات المحن والاستعمار مازادتها إلا تعلقا واحتكاكا بهذا العرش، الذي كان دائما السند والمعين في الأزمات والشدائد، وإن تاريخ هذه القبيلة، لخير دليل ومرجع لتلاحم أفراد القبيلة على مر العصور مع الملوك العلويين.

كلمة السيد حسن الدرهم
باسم قبائل آيت باعمران

ومن أهم المواقف والأحداث التي تصدى لها أفراد قبيلة آيت باعمران والعرش، كانت بمناسبة صدور مرسوم التجنيس سنة 1947 من طرف الإدارة الإسبانية، والذي يقضي بتجريد سكان آيت باعمران من جنسيتهم المغربية، واعتبارهم من الإسبان بالتجنس، فاعتبرها السكان مسا بمقدساتهم ودينهم، فشهدت وقتذاك المنطقة عدة انتفاضات ومواجهات مع الإقامة الإسبانية، اعتقل على إثرها عدة مناهضين لهذه السياسة، كما رفض الأهالي رفع الرايات الإسبانية في كل المناسبات، الشيء الذي أثار حفيظة الإقامة الإسبانية، وعمدت إلى سلسلة من الاعتقالات والإبعاد في صفوف المقاومة والأعيان.

وبلغ هذا التلاحم أوجه غداة المؤامرة، التي انتهت بنفي المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه من طرف الحماية الفرنسية، حيث نزلت هذه الفاجعة كالصاعقة على السكان الذين عبروا عن مساندتهم للملك الشرعي بتلاوة اللطيف، وعدم ذبح أضحية العيد، والإكثار من الشعائر الدينية إلى حين عودة الملك.

وبعد عودة المغفور له محمد الخامس تم تشكيل النواة الأولى لجيش التحرير، التي شارك فيها ممثلون عن كل أفراد القبائل. من الشمال والجنوب، واختبرت وحداتها في أكبر عملية ناجحة، في تاريخ جيش التحرير، وكان ذلك في معركة آيت باعمران، صبيحة يوم السبت 23 نونبر 1957.

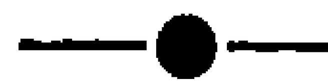
كلمة السيد حسن الدرهم
باسم قبائل آيت باعمران

وقد عرفت المنطقة عدة مواجهات بين أفراد جيش التحرير والإدارة الإسبانية، استماتة ودفاعا عن حوزة الوطن، وقد أبلى فيها أفراد قبيلة أيت باعمران البلاء الحسن إلى جانب إخوانهم من مختلف القبائل الصحراوية، وقبائل سوس، وزمور وغيرهم.

ونظرا لما يحظى به أفراد قبيلة آيت باعمران من عناية فائقة، كسائر القبائل الصحراوية المغربية الأخرى، من لدن الملوك العلويين، فقد خصها المولى الحسن الأول بزيارتين، في كل من سنة 1881 و1885 كما حظيت بشرف استقبال جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، سنة 1971 عقب حصول سيدي إفني على استقلاله، وعودته إلى ربوع المملكة السعيدة.

وهكذا أيها السادة، مافتئ أفراد قبيلة آيت باعمران على مر تاريخهم أن يبدوا تشبثهم بأهداب العرش العلوي المجيد، مجددين بيعتهم على غرار أجدادهم في كل المناسبات والمواقف، مظهرين للعالم مرة أخرى إن احتاج إلى دليل أن في أعناقهم بيعة للعرش العلوي، مصداقا لقول رسول الله ﷺ «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية».

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته





كلمة

فضيلة الأستاذ محمد خاشي

باسم قبيلة أولاد تدرارين الأنصار

كلمة
فضيلة الأستاذ محمد خاشي
باسم قبيلة أولاد تدرارين الأنصار

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

يسعدني ويسرني أن أتناول الكلمة في هذا اللقاء الوطني الديني المبارك، لأرحب بكافة المشاركين في الندوة الثانية للبيعة والخلافة، وفي مقدمتهم العلماء الأجلاء الوافدين علينا من خارج الوطن.

إنني سيدي الرئيس أيها السادة : أفتخر واعتز بأن تكون مداخلتي باسم حفدة أولئك الذين بايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة والرضوان، باسم أولئك الذين بفضلهم سن نظام البيعة في الإسلام، باسم أبناء الأنصار الذين بهم أظهر الله دينه، وأعز نبيه، وأنجز موعده له، أبناء الأنصار الذين كانوا أول من شد على يد رسول الله ﷺ مبايعين على السمع والطاعة في العسر واليسر، في المنشط والمكره، في السر والعلن، وافين له بما دعاهم إليه، مانعيه ممن خالفه، وأعتز أن أتدخل باسم أبناء أنصار المغرب الذين حافظوا على بيعتهم لملوك المغرب، منذ تأسيس دولة

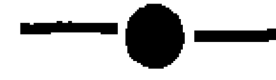
المغـرب، مشاركين إلى جـانب إخـوانهم أبنـاء قبائل الصحـراء في نصرة الملوك، والدفاع عن الثغور، وحماية الحدود.

هذه البيعة التي اتخذت صبغـة خاصة متميزة بظهـور الدولة العلـويـة الشريفـة، حيث أصبـح أعيـان الصحـراء وشيـوخهـا يتوافدون على عواصم الملك، من أجل تجديد البيعة وطبع الظهائر، وتوطيد العهد على الولاء والطاعة والإخلاص للعرش.

إنني سعيد أيها السادة سعيد بأن أرحب بكم من جديد باسم قبيلة أولاد تيدرارين الأنصار، الذين كانوا سباقين، شأنهم في ذلك شأن كل أبناء الصحراء، إلى مقـاطعة سلطة الاستعمار، بعد نفي رمز الوحدة الوطنية، جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثـراه، مقـاطعته بـرفض أداء ضريبـة العشر، وبتكنيس الأعـلام، وبقصر الصلاة، وبـالكف عن ذبح أضحية العيد. وكانـوا سباقين إلى استقبال محمد الخامس بعد عـودته مهنئين مباركين مبايعين. وظلت وحدتنا جزءا من عقيـدتنا، وبيعتنا شطر إيماننا لنسهم في إسماع صوت الوطن الداعي إلى وحدة الوطن، من على منبر هيئة الأمم وبـلاهاي حيث تـوجد محكمة الأمـم، كانت ظهـائر بيعتنا حاضرة وأدلتنـا ساطعـة، ظهائر وأدلـة أغنى بها أبنـاء الأنصار. ملف الـوطن لتحكم محكمة العـدل بعدالـة قضية وحدة الـوطن وبزيف أطـروحة الانفصال والانعـزالية وخيانـة الوطن. حتى لا أحتكر الكلام، أشهدكم أيها السـادة الكرام، أننا نحن الأنصار في صحراء المغرب، نقول لجلالة الملك ما قاله سعد بن معاذ لرسول اللـه ﷺ يوم بـدر، نقول لجلالـة الملك: لقد آمنـا بك، وصدقـاك،

وشهدنا أنك ابن الرسول، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذي بعث جدك المصطفى بالرسالة لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا كل الاستحقاقات غدا إنا لصبر في الحر صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك.

شكرا لكم، والسلام عليكم.





كلمة

السيد زعدبوه محمد فاضل

باسم قبائل الجنوب

كلمة
السيد زعدبوه محمد فاضل
باسم قبائل الجنوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

- السيد مستشار صاحب الجلالة الأستاذ عبد الهادي بوطالب،
- السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور مولاي عبد الكبير العلوي المدغري (رئيس الندوة)،
- السيد رئيس مجلس النواب الدكتور جلال السعيد،
- السادة الوزراء،
- السادة السفراء،
- السيد والي وعمال صاحب الجلالة،
- السيد الجنرال قائد القطاع العسكري للساقية الحمراء،
- حضرات السادة العلماء،
- حضرات السيدات، والسادة،

إنه لشرف عظيم، أتناول فيه الكلمة لأرحب باسمي الخاص، ونيابة عن قبائل الجنوب بجميع المشاركين في هذه الندوة المباركة،

كلمة السيد زعدبوه محمد فاضل
باسم قبائل الجنوب

التي تفضل مولانا نصره الله برعايته السامية، فاختار مدينة العيون أن تكون ملتقى ندوة البيعة والخلافة في الإسلام.

نظرا لما تحمله من معان ورموز تاريخية، تعبر بكل صدق وإخلاص عن مدى تمسك أبناء المغرب بأهداب العرش العلوي المجيد، لافرق في ذلك بين الشمال والجنوب.

أيها السادة، إن تشريف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله لمدينة العيون، لاحتضان أشغال الحلقة الثانية لهذه الندوة، لدليل لا يحتاج إلى تأكيد على المكانة الخاصة، والعناية الفائقة التي تحظى بها، وما أولاه ويوليه حفظه الله لهذه الأقاليم من كرم العناية، وجميل الرعاية، هو وعي من نصرة الله بالروابط التاريخية المتينة التي تربط أبناء هذه المنطقة بالسدة العالية بالله، والمتمثلة في البيعة التي لا انفصام لها، تلك البيعة القائمة على الشريعة الإسلامية، والمفعمة بالمحبة والإخلاص والوفاء، والتلاحم المتين بين ملوك الدوحة العلوية الشريفة ورعاياهم الأوفياء.

أيها السادة الكرام :

لقد ساهم أبناء قبائل الجنوب، ولازالوا يساهمون في بناء نسيج تاريخ مغربنا الزاخر بأجمل صور البطولات والأمجاد، مطبوعة بمداد للفخر والإعجاب، حيث بذلوا تضحيات تلو التضحيات بشهامة وإخلاص، دفاعا عن المقدسات الوطنية التي

كلمة السيد زعدبوه محمد فاضل
باسم قبائل الجنوب

تشكل شعار المغرب الخالد، اعتزازا بمغربيتهم، وتمسكا بالقيم والثوابت الحضارية النابعة من أصالتهم وإيمانهم.

وما المعارك التي خاضتها قبائل الجنوب، شأنها في ذلك شأن القبائل الصحراوية الأخرى، والشمالية على السواء، ومشاركة الجميع في الملاحم والمؤتمرات العديدة، كمؤتمر أم اشكاك مثلا والذي أسفر عن اتفاق القبائل كلها لتقوم بتجديد البيعة، وتقديم أسمى آيات فروض الطاعة والولاء، إلا برهانا ساطعا عن مدى تشبث سكان هذه الأقاليم المتين بأهداب العرش العلوي المجيد، وتأكيدهم دوما على ولائهم وبيعتهم لأمير المومنين أعز الله أمره، وخلد في الصالحات ذكره.

أيها السادة :

إن قبائل الجنوب بكافة شرائحها ومكوناتها لتنتهز هذه المناسبة العزيزة، لتجدد ولاءها وإخلاصها للعرش العلوي المجيد، كما تؤكد تجندها الدائم وراء عاهل البلاد، ونلتمس من معالي مستشار صاحب الجلالة أن ينوب عنا في رفع آيات الولاء والإخلاص، إلى السدة العالية بالله حفظه الله، مولانا أمير المومنين بالسبع المثاني، وأبقاه ذخرا وملاذا لهذا البلد الأمين، وحفظ ولي عهده المحبوب، صاحب السمو الملكي سيدي محمد، وصنوه الأمجد الأمير مولاي رشيد، وباقي الأسرة الملكية الشريفة، إنه سميع مجيب.

﴿وقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



كلمة

فضيلة الأستاذ محمد سالم الليلي

باسم أسرة المقاومة وجيش التحرير

كلمة
فضيلة الأستاذ محمد سالم الليلي
باسم أسرة المقاومة وجيش التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

إنه لفخر كبير وشرف عظيم أن تنعقد ندوة البيعة والخلافة في الإسلام في مدينة العيون الوحدوية، وفي شهر احتفل فيه المغاربة قاطبة بذكرى ميلاد أمير المؤمنين، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.

إن ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، تعتبر مناسبة سانحة لتجديد البيعة لصاحب الجلالة، وللعرش العلوي المجاهد، ومناسبة لأسرة المقاومة وجيش التحرير، لاستحضار ماضي الجهاد في سبيل عزة الوطن وكرامته ووحدته، ومناسبة كذلك للتذكير بما قدمه أبناء شعبنا في الصحراء المغربية من تضحيات، ومن تسابق من أجل الاستشهاد في سبيل عزة المغرب ووحدة ترابه، والدفاع عن ثغوره، فما كادت أولى خلايا جيش التحرير تتأسس حتى بدأت القبائل، كل القبائل ترسل خيرة رجالها للانضمام إلى مقاطعات جيش التحرير المغربي، فكانت جميع قبائل الصحراء المغربية في خنادق وحدوية مع أبناء الشمال، ضد

كلمة فضيلة الأستاذ محمد سالم الليلي
باسم أسرة المقاومة وجيش التحرير

فلول المعتدين المستعمرين: إسبان، وفرنسيين. في ملحمة امتزجت فيها دماء مغاربة في معارك سجلت بمداد الفخر والاعتزاز، في سجل تاريخنا الحافل بالأمجاد والبطولات. نذكر من بين هذه المعارك البطولية: أم العشار مركالة، السويحات، الداورة، رغيوة، الفوار، تملالت، طانطان، تويزكي، لمسيد، بوجدور، الشاطىء، لغراد خوينتفا، العيون. تافودارت طريق السدرة، العركوب، اكركر، أو سرد، وادي الشياف، الطوارق تشلا، روضة سيدي أحمد العروصي، السمارة، رغيوة، وادي الصفا وغيرها كثير، إذ ما بقيت بقعة من صحرائنا الحبيبة إلا وارتوت بدم الشهداء.

هذه التضحيات لم تذهب سدى، بل توجت باسترجاع أقاليمنا الجنوبية، بفضل المسيرة الحسنية الخضراء المظفرة، وبفضل جهاد مبدعها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.

فمرحبا بضيوفنا الكرام الأعزاء، في حاضرة الصحراء المغربية، مدينة العيون العزيزة، وننتهزها فرصة لنلتمس منكم تبليغ السدة العالية بالله، ولاءنا وإخلاصنا لأمير المؤمنين، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده، وتعلق أسرة المقاومة وجيش التحرير الدائم بأهداب العرش العلوي المجيد، وندعوه جل وعلا أن يمطر شآبيب رحمته على الملك المجاهد المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، وأن يحفظ صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، ويقر عينه بسمو ولي عهده الأمير سيدي محمد، وصنوه السعيد مولاي الرشيد، وباقي أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنه سميع مجيب.

والسلام.



كلمة
الآنسة بوزيدي الزهرة
باسم المرأة المشاركة في الندوة

كلمة
الآنسة بوزيدي الزهرة
باسم المرأة المشاركة في الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

يشرفني أصالة عن نفسي، ونيابة عن المرأة الصحراوية أن آخذ الكلمة في هذا الجمع الكريم مرحبة بالسادة المشاركين في أشغال الندوة الثانية تحت موضوع: «البيعة والخلافة في الإسلام» التي أبى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأعز ملكه، إلا أن يخص مدينة العيون بهذا التكريم للمرة الثانية، بعد الندوة الأولى المنعقدة عام 1985.

حضرات السيدات، والسادة :

إن المرأة الصحراوية لمنونة لصاحب الجلالة بحضورها اليوم لإسماع كلمتها في أشغال هذه الندوة المباركة. وليست هذه المكرمة أولى المكرومات التي يخصها بها صاحب الجلالة، في مثل هذه المقامات، والتي جعلت منها ودوما عنصرا فعالا كامل العضوية في المجتمع المغربي، كيف لا؟ وهي التي بايعت الملوك

كلمة الآنسة بوزيدي الزهرة
باسم المرأة المشاركة في الندوة

العلـويين الأشراف الميـامين، واسـترسلت في بيعتهـا وتشبثت بها، وقـدمت لأجل ذلك كل غـالي ونفيس للوفـاء بعهـدهـا والتزامهـا بـروابط البيعـة التي في عنقها، فـأقسمت ألا تحيد عن تعهـدهـا فأبـرت به، حتى ولـو اقتضى الأمر أن تهب نفسهـا فداء لـذلك، فقاومت بشتى الطـرق والإمكانات والوسـائل، الاستعمار الغاشم الذي حـاول إسكات صـوتها عبر سنين إلى أن تحررت من ربقة الاستعمار، بفضل مبدع المسيرة الخضراء، وموحد البلاد، وحامي الحدود وبـاني السـدود، صـاحب الجلالـة الملك الحسن الثـاني محرر المرأة، والساهر على حقوقها، والضامن لرفعتها.

إن بيعة المرأة الصحـراوية للعرش العلـوي المجيد بيعة أبـدية كانت ولا تزال نبراسا تستمد منه روح كفاحها ونضالها من أجل تحرير الوطن، والرفع من مستواه، اقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، وتربويا...

إن المرأة الصحراوية، لتعتبر نفسـها مجنـدة وراء قائدها الملهم جلالـة الملك الحسن الثـاني نصره الله، للتصـدي للأطماع كيفما كان شكلها وطبيعتها، وفية لروح قسم المسيرة الخضراء.

وهـا هي اليوم تجدد بيعتهـا وولاءهـا للسدة العـاليـة باللـه، معربة عن تشبثها وإخلاصها للعرش العلوي المجيد.

وإنها لمناسبـة نغتنمها، لنتمنى لكـم أيها العلماء الأجلاء، أيها الحضور الكريم، مقـاما طيبا بين ظهرانينـا بحاضرة العيون، كما نتمنى لأشغـالكم كامل التـوفيق والنجـاح، ملتمسات من السيـد رئيس الندوة، أن يرفع إلى أمير المؤمنين آيـات ولائنا وإخلاصنا، ضـارعات إلى اللـه عز وجـل، أن يحفظ صاحب الجلالـة من كل

مكروه، وأن يمد في عمره، ويقر عينه بولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد مولاي رشيد، وكافة الأسرة الملكية الشريفة.

فسر بنا إلى الأمام، فنحن وراءك يا جلالة الملك، وببيعتك في عنقنا، سالكين في ذلك نهج أسلافنا الكرام، متبعين لأمر الله، وسنة نبيه الكريم. قال تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوته أجرا عظيما**﴾. صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.





كلمة

فضيلة الدكتور الأحمدي أبو النور

وزير الأوقاف سابقا بجمهورية مصر العربية

باسم الوفود المشاركة

كلمة
فضيلة الدكتور الأحمدي أبو النور
وزير الأوقاف سابقا بجمهورية مصر العربية

باسم الوفود المشاركة

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الحفل الكريم، رعاية سامية، وقيادة رائدة، وحضورا أماثل، سلام الله عليكم ورحمته بركاته. وبعد، فلماذا جئنا هنا؟ أوجئنا لنحضر هذه الندوة الثانية للبيعة والخلافة في الإسلام؟ أم لنضيف شهود تلاحم الشعب المغربي العظيم، شماله وجنوبه، مدنه وصحاريه؟ أم جئنا لنهنئكم ملكا وشعبا بهذا التآزر، والتضافر والإيمان العميق، وتجديد العهد الوثيق، بين أفراد هذا الشعب، اسمحوا لي أن أقول: رغم ضآلة الوقت الذي قضيناه هنا، منذ أتينا من آفاقنا، فلقد عشنا الصورة الصحيحة والوضيئة للمغرب، مدنه وصحاريه.

كنا هنا بالأمس، وقبل الأمس كنا نقرأ عن قضية الصحراء. وكنا نتصور أن الصحراء ليس بها إلا أولئك الخارجون على الجماعة، وإذا بنا نرى في الصحراء شعبا عربيا إسلاميا، محافظا

على عروبته، وعلى إسلامه رجاله ونسائه، شيبه وشبانه.

اسمحوا لي أن أفاخر أولا بهذه اللهجة العربية الصميمة، بهذا الأسلوب العربي المتألق فصاحة وبلاغة، نصاعة وإشراقة ديباجة، وحضور فكر، وتعلق ذكر الله، وللعرش العلوي، وللشعب المغربي. أجئنا إذن لنشارك أعمال هذه الندوة فحسب؟ أم لنشهد لكم مغتبطين، ونهنئكم بتأكيد البيعة التي تضرب بعمقها في أعماق التاريخ. ليست إذن بيعة وليدة اليوم، وليست ـ إذن ـ بيعة مواجهة لحدث ما، وإنما هي بيعة تتأصل بكتاب الله، وسنة رسوله، وتتآزر بعرش علوي ينتسب إلى البيت النبوي، وتتضافر بقبائل هذه الصحراء التي عشنا قبائلها: العروسيين، وأولاد دليم، والشرفاء، والأنصار وغيرهم وغيرهم، أولئك الذين جعلونا نعيش المجتمع الأول الذي بايع الرسولﷺ بمهاجريه وأنصاره، بكل قبائله، وبكل أفراده، وكانت هذه البيعات التي ابتدأت ببيعة العقبة الأولى، ثم ببيعة العقبة الثانية، ثم ببيعة الرضوان، هي التي أسست لدولة الإسلام، حتى خفق علمها ما بين المشارق والمغارب.

ها نحن، أو ها أنتم أولاد تعيدون هذه الذكريات الطيبة، وترونا أن هناك تلاحما بينكم، وبين الشعب المغربي كله، وأن هذه الوحدة أمر تلقائي، وليست أمرا مفروضا.

اسمحوا لي أن أقول : إن هذه البيعة بيعة تقوم على تقوى من الله ورضوان، بيعة لا يكون فيها انتقاص من حق لأحد ذي حق.

وإنما هي تبادل في الالتزام وفي العطاء. واسمحوا لي أن أقرأ لكم هذه الكلمة النفيسة الثمينة، التي ترونها شعار هذه الندوة، والتي تحدث بها الملك المفدى الحسن الثاني أيده الله ونصره: «إن البيعة أخذ وعطاء، والتزام متبادل، تعبر عن تعلق القاعدة بالقمة، وتعلق القمة بالقاعدة». أو ليس هذا تعبيرا عن قوله ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا لمن يارسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

يعني لأئمة المسلمين الذين تعطونهم بيعتكم، وتفوضونهم أمركم، وهم لن ينوا عن أن يرعوا مصالحكم وشؤونكم، ويبادلوكم حبا بحب، وفداء بفداء، وولاء بولاء.

فهنيئا لكم هذه البيعة، وهنيئا ما أنتم فيه من عقدة ومن آصرة. هذه إذن ليست مجرد ندوة، وإنما هو استفتاء شعبي عام، لم تشاءوا أيها الإخوة في المغرب العزيز والشقيق، أن تستأثروا بشهود وضاءته وتألقه، وإنما آثرتم أن نشارككم هذه البهجة وهذه الفرحة، وهذه الأفراح التي تترى بتسجيل هذا الحدث. وكأني بمحكمة العدل الدولية، أين هي اليوم؟ وكأني بالأمم المتحدة، أين هي اليوم؟ لتشهد هذا الحدث العملاق في تاريخ المغرب. ليس هنا شمال ولا جنوب، وليس هنا إلا شعب واحد يحتويه الشمال والجنوب، ويعيش أبناء الجنوب في الشمال، ويعيش أبناء الشمال في الجنوب.

وهـا هي ذي المشروعـات التي رأيناهـا هنـا: مشروع مصنع الفوسفاط، ومشروع تعذيب المياه المالحة، وهذه المشاريع وغيرها التي تقـوم في هـذه المنطقـة ليسـت إلا لأصحـاب هـذه المنطقـة، وليست إلا تـرجمة عما ينبغي أن يكون دائما من رعـاية ملكيـة سامية، لأهل هـذه المنطقة، ولكل أصحاب الأرض، التي راعني أن تتحـدثوا بهذه الطـلاقـة، وأن تعبروا عن البيعة كما عبر بـالأمس سعـد بن عبادة، وأنتم يقـول قائدكم، مـوجها كـلامه لصـاحب العـرش المفـدى: والله لـو استعـرضت بنـا هـذا المحيط الأطلسي لاستعرضنـاه معك، ما تخلف منـا أحد. أي تعبير، أي تعبير عن الولاء وعن الفداء مثل هذا التعبير، إلا أن يكون صدى لما كان من سعد بن عبادة.

هنيئا لكم هذه الرعايـة الملكية السامية لكل شبر في الصحراء. واسمحـوا لي أن أقول : هـذا التألق، وهذه الفـدائية، وهـذا الحب المتبادل، جعلنـا نقول: ليس فقط في عنق كـل مسلم في الصحراء، أن يؤكد مضمون البيعـة عند الاستفتاء، ولكنني أستسمحكم حين أقـول: إن في عنق كل مسلم أن يـؤازر مسيرتكم، وأن يبـاهي ببيعتكم. اسمحـوا لي أن أقـول: إن كل مسلم في عنقـه أن يبـايع بيعتكم، وأن يجاهـد مـؤازرا لجهادكم، حتى يبقـى المغرب كلـه، شماله وجنوبـه قطرا واحدا، لا خارج فيـه ولا جان، وحتى ينعم الجميع بما أراه متألقـا هذا اليـوم، حتى ينعم الجميع بـالوحـدة الترابيـة للشعـب المغـربي، وللتـراب المغـربي من طنجـة إلى لكويـرة.

اسمحوا لي أن أقول : إن هـذا الاجتماع المتألق اليوم، يعمق في نفوسنـا آمالا كبيرة وعـريضة وعميقـة، في أن يستنقذ صـاحب العرش المفـدى سبتة ومليليـة، وأن يعيدهـا للشعب المغربي كما كانت، لما عهد عنـده من حنكة ومن حكمة، ما دمتـم مؤازرينه في مسيرته، ونسـأل الله تبارك وتعـالى أن يؤازر مسـيرته معكم، وأن يرعاه بقدر رعايته لكم، وأن يضافر جهودكم معا.

اسمحـوا لي أن أقـول : ليس هـذا اليوم إلا شهـادة على هـذا التلاحم بين شعب المغرب، شماله وجنـوبه. اسمحوا لنا أن نقدم لكم التهانيء العميقـة والحارة بهذا التألق الفريد، وبهذه الـوحدة التلقائيـة. اسمحوا لي أن نرسلهـا إلى الأمم المتحدة، شـاكرين لها موقفهـا بالأمـس، وإلى محكمة العدل الـدولية، مـؤكديـن لها ما شهدت به بالأمس؛ أن هذا الذي حكمت به هو شعار المغرب كله، بل هـو شعار العـالم الإسـلامي كلـه، تهنئة حـرى من الأعماق. ودعاء إلى الله منا جميعا أن يؤازر الله مسيرة أمير المومنين الملك الحسن الثـاني. وأن يسعدكم دائما بولائكـم له، ووفائكـم معه، وأن يقـر عينه بـولي عهده صـاحب السمو الملكي، الأمير سيـدي محمـد، وصنوه مـولاي رشـيد. وأن يـؤازر جهودكم الجبـارة والمتـدفقـة، وأن يعقـد أعمـق الأواصـر بينكم وبين الشعـوب العربيـة والإسلاميـة، وأن يـؤازر حركـة الملك مع جميـع ملوك ورؤساء العالـم الإسلامي، تهنئـة من الأعمـاق. والسـلام عليكم ورحمة الله.



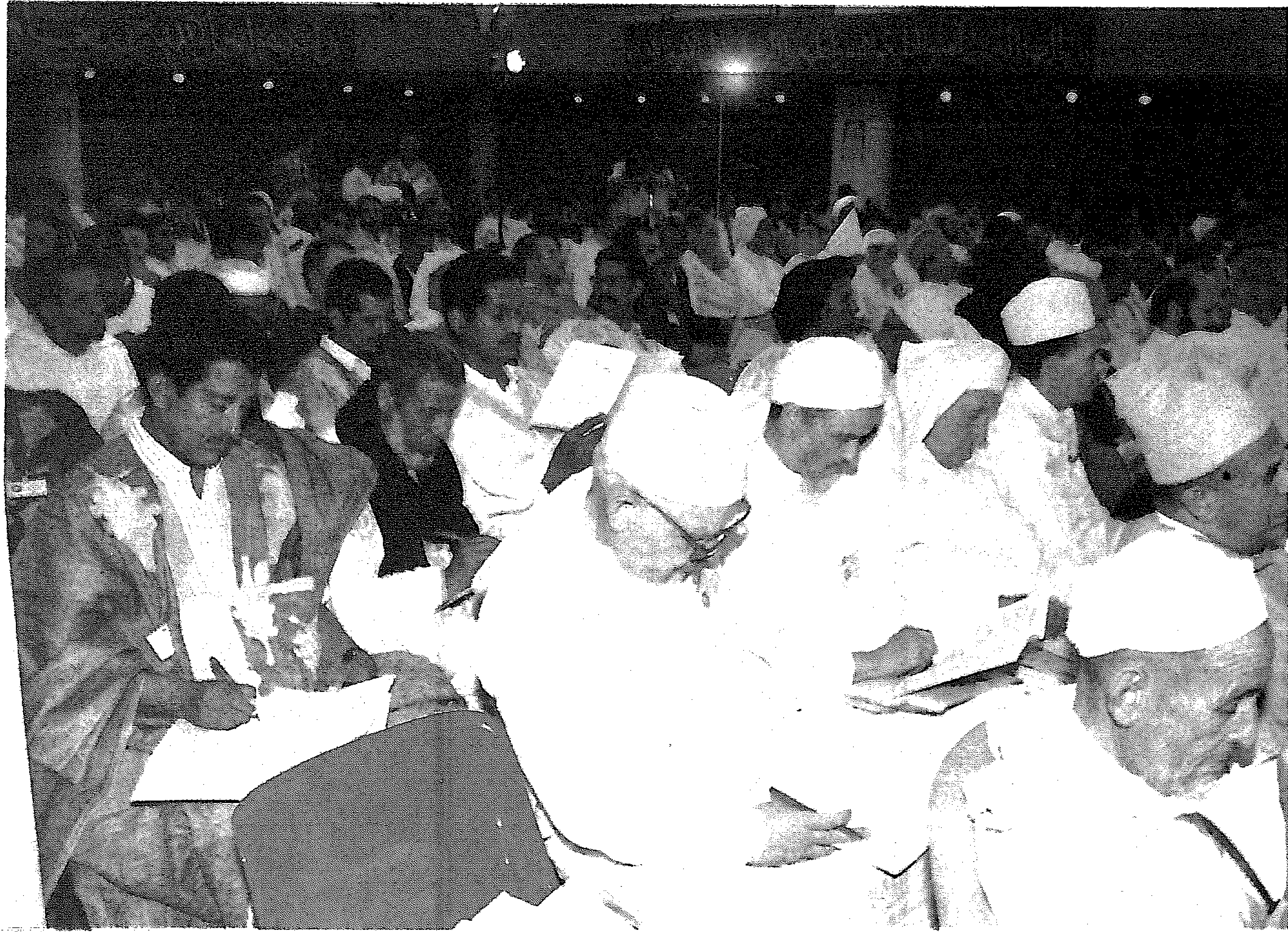
القسم الثاني



البحوث

المقدمة للدورة الثانية للندوة

- الجزء الأول -



صورة تبرز عن بعض الشخصيات المدعوة إلى الندوة وهم يتابعون إلقاء العروض



ـ البحث الأول ـ

البيعة والخلافة في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

ـ البحث الأول ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البيعة والخلافة في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون
رئيس المجلس العلمي الإقليمي بمدينة فاس

قال تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم، وعملوا الصالحات لَيستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾.

وقال تعالى : ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾.

أيها الإخوة :

الاعتبار بخلافة الشعوب بعضها لبعض في الحكم والتمكن في الأرض، أمر ثبت في تاريخ الخليقة، بشهادة كتاب الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما في الآيتين الكريمتين اللتين سقناهما للاستدلال على ذلك، وهكذا نرى أن بعض الشعوب تتصدرها بعض الأفراد، وتمتاز فيها بعض البيوت على بعض، لأنها وقفت مع السنن الاجتماعية والأحكام الشرعية التي هي أقوم وألصق بالعدل والحق عند تدافع الآراء والنظريات، وهم المتقون الذين يسيرون على سنن الهدى،

والاستقامة، ويبتعدون عن الطرق المؤدية إلى الخيبة القاتلة، لذلك عهد الله بالإمامة لسيدنا محمدﷺ.

قال تعالى : **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾.**

لأن الله أناط إرث الأرض بإقامة الحق، والعدل، وحرم منه الظالمين، لأنهم مرضى بظلمهم، فلا يصلحون لصلاح ولا إصلاح، ومن هنا قال العلماء: إن الظالمين لا ينالون الإمامة، لأنها أمانة من الله وعهد.

هذا، ولما كان الإسلام هدية روحية من الله تعالى للمسلمين، يمتازون بها في دينهم ودنياهم، بعث الله بها سيدنا محمداﷺ فبينها لنا بقوله وفعله، ومن هنا نجد السياسة الشرعية الاجتماعية مركوزة في أسس الإسلام وما بنى عليه من قواعد قابلة للاجتهاد مع مضي الزمان واختلاف المكان. ولا غرو فإن أحكام الشرع يستوي فيها جميع الناس، إذ لا فضل لعربي على عجمي إلا بتقوى الله.

قال الشيخ رشيد رضي : «ولما طرأ الضعف على المسلمين قصروا في إقامة القواعد والعمل بالأصول»، لذلك وجب أن يكون ترتيب الإصلاح يبتدىء بإصلاح الإنسان، لأنه المنطلق الذي تنبني عليه بقية الإصلاحات الأخرى، المتعلقة بمجريات الأحوال والاجتماع. فالعقول، والأرواح التي سيطرت عليها الكهنة، فأبعدتها عن الفضيلة، وجب أن ترد إلى ما جاء به الخلفاء الراشدون من إقامة العدل، وقمع الرذائل.

أيها الإخوة،

لقد توهم بعض الناس أن المدنية الإسلامية تلاشت وانتهت، ولا سبيل إلى بعثها من جديد، ولكن العروق الحيوية الإسلامية التي كانت وما تزال تنبض بالحق أعادت العالم الإسلامي إلى ما كان يرجى له من مناط الأمل، الأمر الذي أشاع إحياء المدنية الإسلامية على أساس تجديد حكومة الخلافة على أسس قويمة، وهذا كله مقرر في كتب الكلام، وكتب الفقه الإسلامي.

قال الشيخ رشيد رضى :.إن نهضة الشعب التركي هي التي قضت على السلطنة العثمانية، لذلك أقول:

- أيها الإخوة.

إن الإسلام، أعظم قوة معنوية في الأرض، وإنه هو الذي يمكن أن يحيى مدنية الشرق وينقذ مدنية المسلمين، وينهض بتجديد حكومة الخلافة الإسلامية بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة، لخدمة الإنسانية.

إن الله لما أخذ الميثاق على العلماء قال لهم : ﴿**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**﴾. فعلى كل مسلم أن يلزم جماعة المسلمين، وإمامهم، لأن من مات وليس في عنقه، بيعة، مات ميتة جاهلية، رواه مسلم في حديث لابن عمر مرفوعا.

فالخلافة، والإمامة العظمى، وإمارة المسلمين، كلمات بمعنى واحد - كما حقق المؤرخون - قال النبيﷺ: «سألت ربي ألا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها». وفي رواية زيادة، وهي: «ويد الله مع الجماعة، فمن شذ، شذ في النار».

قال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.**

قال الماوردي : عقد الإمامة لمن يقوم بها واجب بالإجماع، حتى ذهب قوم إلى أن وجوبها ثابت بالعقل، لما في طباع العقلاء من التسليم، لسلطان يمنعهم من التظالم، ويفصل بينهم عند التنازع، ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين.

قال الأفوه الأودي : «لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم».

وقال قوم : إنما وجبت الإمامة بالشرع، لأن الإمام يقوم بأمور شرعية، واحتجوا لذلك بقولهم: لابد للأمة من إمام يقيم الدين. وينصر السنة، وينصف المظلومين، ويضع الحقوق في مواضعها، ويحمي بيضة الإسلام، ويحمي الثغور، وينفذ الأحكام، ويقطع الخصومات، ويعين في المهام الأمناء والأكفاء.

قال تعالى : **﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾.**

وفي القرآن العظيم : **﴿إن الذين يبايعونك، إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث، فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما﴾.**

أيها الإخوة،

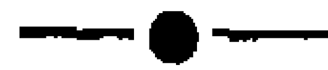
إن الصحوة الإسلامية التي أخذت طريقها إلى قلوب المسلمين، وحركاتهم هي وحدها التي ترد الأمور إلى نصابها، وتجعل المياه تعود إلى مصابها، لما تمتاز به من إعطاء العالم الإسلامي صورة صحيحة عن الإسلام والمسلمين.

قال الشيخ محمود شاكر في كتابه : الخلافة، والإمارة.

كان رسول اللهﷺ، إمام المسلمين في الصلاة، وخطيبهم في المناسبات، وقائدهم في المعارك، والحكم بينهم إن وقع خلاف، والموجه لهم إلى كل خير، وليست هذه من خصوصيات النبوءة، وإنما هي مهمة كل خليفة، وبالتالي واجب كل أمير.

وفي الختام نقول : إذا علمنا أن الإسلام يتناول الحياة كلها، اقتصاديا، وسياسيا، واجتماعيا، علمنا أنه يصلح لكل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

الأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون





- البحث الثاني -

مفهوم البيعة
في الفكر الإسلامي

لفضيلة الأستاذ محمد فاروق النبهان

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

ـ البحث الثاني ـ

بسم الله الرحمان الرحيم

مفهوم البيعة في الفكر الإسلامي

لفضيلة الأستاذ محمد فاروق النبهان
مدير دار الحديث الحسنية

يتميز الفكر الإسلامي بمصطلحاته الشرعية التي تولدت في البداية من دلالات لغوية قريبة، ثم أخذت بعد ذلك معانيها الشرعية، وأصبحت هذه المصطلحات من أبرز ما يتميز به الفكر الإسلامي من أصالة في التعبير، ودقة في الفهم. وهذه المصطلحات الشرعية جديرة بأن تحظى باهتمام الباحثين، لتأصيل دلالاتها، وتعميق معانيها.. لكي يظل فكرنا الإسلامي أصيل المنطلق، واضح الانتماء لمصادره، يثير من خلال مصطلحاته المتميزة مشاعر الانتماء إلى أجيال الأصالة من علمائنا الأقدمين.

ومن اليسير علينا أن نجد المصطلح الفقهي في قمة المصطلحات التي استخدمها علماؤنا الأولون، دقة في التعبير، ودلالة على المعاني المرادة، بحيث يعبر ذلك المصطلح عن علاقة دقيقة بين اللفظ وما يتضمنه ذلك اللفظ من دلالات.

والفكر السياسي في تراثنا غني بمصطلحاته، ولا يمكن أن يفهم هذا الفكر إلا إذا استطعنا أن نحيط بالدلالات المرادة، التي استعملها علماؤنا، وأثروا بها فكرنا السياسي.

ومن أبرز هذه المصطلحات في الفكر السياسي الإسلامي الكلمات التالية: الخلافة، الإمامة، البيعة، الشورى، أهل الاختيار، أهل الحل والعقد.

ومن الصعب أن نجد الكلمة المفسرة لذلك المصطلح، وأية كلمة مهما كانت دقيقة تبقى قاصرة، ولا تعبر عن المعنى المراد، ومن هذا المنطلق فإن مفهوم البيعة في الفكر السياسي الإسلامي يحتاج لبيان ما تدل عليه هذه اللفظة، من معاني ودلالات وواجبات وحقوق، ولهذا تعددت الدراسات التفسيرية والبيانية، وتكاثرت الآراء الاجتهادية التي تناولت قضايا الفكر السياسي، وما زلنا حتى اليوم نقرأ الجديد والمفيد مما يعتبر داخلاً في إطار الإغناء والإثراء للمفاهيم الإسلامية.

والبيعة الشرعية هي القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الوحدة الوطنية، فحدود الوطن تمتد إلى حيث تمتد الإرادة في تكوين مقومات الدولة الواحدة، وأداة هذا الامتداد هو التعبير الضمني عن وحدة الأمة من خلال التعبير الواضح عن الإرادة التي تمثله البيعة الشرعية.

والبيعة تعبر عن أمرين :

الأمر الأول: تكوين قاعدة سليمة للوحدة الوطنية، من خلال التعبير عن إرادة الحياة المشتركة في ظل مجتمع، تجمعه مقومات روحية ودينية وعاطفية وثقافية وتاريخية.

وهذه المقومات هي القاعدة الحقيقية للوحدة الوطنية، والأمة التي تشعر بتقارب في مكوناتها سرعان ما تشتاق إلى وحدة في كيانها السياسي، تحقق به ذاتها وتدافع به عن مصالحها. والوحدة الوطنية واقع وشعور وعاطفة، ولا يمكن للإرادات الشاذة أن توقف حركة الحياة في تطلع فطري وغريزي يبحث عن الأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي في ظل الجماعة المتعاونة والمتكاثفة والمتعاقدة على تكوين وحدة وطنية.

الأمر الثاني: **المشاركة الفعلية في تكوين ظروف الاستقرار من خلال البيعة الشرعية للإمام.**

والبيعة في حقيقتها علاقة تعاقدية إرادية بين الإمام والأمة، تعلن فيه الأمة ثقتها بإمامها، ويعلن الإمام التزامه بما تفرضه عليه الإمامة من واجبات دينية ودنيوية، تتمثل في دفاعه عن البلاد وحمايته لكل المقدسات، وإقرار السياسات التي تحقق المصالح العامة.

وإذا تمت البيعة الشرعية التزم كل طرف بما توجبه هذه العلاقة التعاقدية من آثار، ومن أبرز هذه الآثار ما يلي:

أولا: عهد متبادل، ديني وشرعي، بأن يحترم كل طرف ما يوجبه عقد البيعة من التزامات، وكل من أخل بالتزامه فقد أخل بما عاهد عليه.

ثانيا: اعتبار الإمام مسؤولاً عن حماية الوحدة الوطنية، فلا يملك حق التفريط بتنازل أو مساومة ليست عادلة، عن جزء

من بلاده، لأن البيعة الشرعية تلزمه بأن يحافظ على وحدة البلاد، وأن يقاوم كل خطر يهدد شعبه.

ثالثا: إدانة كل سياسة تهدف إلى الإساءة للوحدة الوطنية، واعتبار ذلك مما يسيء لمصلحة الأمة.

واستخدم الفكر السياسي الإسلامي كلمة «البغاة» للتعبير عن إرادة البعض في تقويض وحدة الأمة، بالانفراد عن جماعة المسلمين، بما يهدد الأمن والاستقرار، وكلمة «البغاة» لا تطلق على الجماعات المخالفة في الرأي الاجتهادي إلا في حالتين:

الحالة الأولى: رفض الطاعة، وهذا الرفض لا يستهدف شخص الإمام وإنما يستهدف كيان الجماعة، ويهدد وحدتها وأمنها واستقرارها.

الحالة الثانية: الانفراد بسلطة مستقلة، وهذا الانفراد هو إعلان الحرب على الجماعة، وتقويض لواقع بهدف إثارة الفتنة.

وقد أوضح الإمام الماوردي في كتابه: «أحكام البغاة، وكيفية التعامل معهم، ووضع الضوابط التي تبيح التصدي لهم، بقوله:

«وإذا بغت طائفة من المسلمين وخالفوا رأي الجماعة، وانفردوا بمذهب ابتدعوه، فإن لم يخرجوا به عن المظاهرة بطاعة الإمام ولا تحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفراداً متفرقين تنالهم المقدرة وتمتد إليهم اليد تركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب لهم وعليهم من الحقوق والحدود، فإن تظاهروا باعتقادهم وهم على اختلاطهم بأهل العدل أوضح لهم الإمام

فساد ما اعتقدوا وبطلان ما ابتدعوا ليرجعوا عنه إلى اعتقاد الحق وموافقة الجماعة، وجاز للإمام أن يعزز منهم من تظاهر بالفساد أدباً وزجراً ولم يتجاوزه إلى قتل أو حد».

ضوابط الخلاف :

والفكر السياسي الإسلامي يعترف بحق الإنسان في إبداء رأيه، وفي مخالفته لغيره، فيما يعتبره صواباً، واعتبر ذلك من أوجه الاجتهاد المشروع، وكفل للمجتهد المخالف حماية واحتراماً لرأيه، سواء في الأمور الفقهية أو في القضايا الاجتماعية العامة، لأن ذلك الاختلاف يغني ويثري ويفيد، واشترط لمشروعية ذلك الخلاف ما يلي:

أولا: أن يجد المخالف سنداً لما يقول، من قرآن أو سنة، لكي يكون ذلك الرأي داخلاً في إطار الاجتهاد والمشروع.

ثانيا: أن يهدف المخالف من إبداء رأيه تصحيح واقع خاطئ، أو توجيه الأنظار لحماية مصلحة شرعية أو مصلحة اجتماعية.

ثالثا: أن يحترم المخالف قواعد الحوار وأدب الخلاف، في أسلوبه وفي طرائقه وفي نقده لآراء الآخرين، فلا يسيء لأحد بكلمة، ولا يتهم غيره بجهل أو تقصير، مكتفياً بإبداء رأيه، مقيماً الحجة على ما يقول، قاصداً إبراز الحق والدفاع عنه.

رابعا: ألا يكون في هذا الرأي ما يهدد مصلحة عامة للمسلمين، كإثارة فتنة، أو الترويج لشبهات ضارة، أو إشغال

الناس بخلاف يضر بدينهم وعقيدتهم وأمنهم واستقرار حياتهم.

ولا حدود لاحترام الإسلام لحرية الرأي وحرية الاجتهاد، ومن حق المسلم أن يشارك برأيه في كل ما يعتبره من قضاياه الدينية والدنيوية، ولا يمكن إدانة الإنسان بسبب رأي اجتهادي، إذا راعى فيه آداب الحوار وضوابط الرأي.

والبيعة الشرعية هي عقد أمان، وعقد ثقة واستقرار، لأنها توفر للمواطن حرية وكرامة، وتجعل ذلك المواطن في موطن الرعاية، فلا يجوز لأحد أن يعتدي عليه، ولا أن ينكر عليه حقه فيما هو مشروع له، ويلزم الدولة بأن تكون ساهرة على قضاياه، ترعاها بأمانة، وتصونها بنزاهة، وتوفر له الأمن والاستقرار.

الأهمية القانونية لعقد البيعة :

ويتميز عقد البيعة في الفكر السياسي الإسلامي بطبيعته الشرعية والقانونية، وهما ركنان في صحة العقود الشرعية، فالأثر القانوني لعقد البيعة يمثل الإطار الحقيقي الذي يجعل ذلك العقد بين الإمام والأمة ملزماً لكل من الطرفين، وهذا هو مصدر الشرعية القانونية في هذا العقد، والإلزام ركن يعتمد على ركيزتين:

الركيزة الأولى: القوة القانونية لعقد البيعة :

وتبرز هذه القوة من خلال طبيعة العقود الناتجة عن الإرادة. والبيعة هي الإطار التعاقدي في مجال السيادة السياسية، بين

الأمة والإمام الذي تناط به مسؤولية حماية المصالح الاجتماعية، والدفاع عن الأوطان، فإذا تمت البيعة انعقدت الولاية، وانتفت كل معاني الاحتلال، وترسخت مفاهيم السيادة بالمفهوم الإسلامي.

الركيزة الثانية : القوة الشرعية لعقد البيعة :

وتبرز هذه القوة من خلال احترام الشروط الشرعية التي يجب توفرها في الإمامة الإسلامية.

ولابد في كل عقد من معقود عليه، والمعقود عليه في عقد البيعة هو إمامة المسلمين. وكلمة الإمامة تفيد معنى الإمارة والرئاسة والقيادة، وهي سلطة نيابية تمثيلية وتفويضية، يباشر الإمام بموجبها القيام بكل الوظائف والواجبات التي تحقق المصالح الاجتماعية، سواء كانت تلك المصالح دينية أو دنيوية.

وأهمها، حفظ الدين على أصوله المستقرة، وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وإقرار الأمن والاستقرار، وإقامة الحدود، وتحصين الثغور، وإعلان الجهاد للدفاع عن الوطن والدين، والإشراف على الجباية والتوزيع، واستكفاء الأمناء وتقليد النصحاء.

واعتبر الماوردي هذه الوظائف من واجبات الإمام، التي يجب عليه القيام بها.

وبمقتضى عقد البيعة ينحصر المعقود عليه بين الإمام والبيعة بأمرين: وعد من الإمام بالقيام بأداء الواجبات، وعهد من الأمة

بالطاعة والنصرة، فمن خرج عن الطاعة أو قعد عن النصرة، فقد أساء لجماعة المسلمين، لأنه برفضه للطاعة يحدث فتنة، والفتنة شديدة الخطر على وحدة الأمة، ولذلك ندد القرآن الكريم بالبغاة الخارجين على الجماعة، المهددين لوحدة الأمة.

البيعة وحق تقرير المصير :

ومبدأ تقرير المصير مناقض لفكرة البيعة، ولا يتصور تطبيق مبدأ تقرير المصير في المجتمعات الإسلامية التي تقوم على أساس البيعة، وذلك لسببين:

السبب الأول : مبدأ تقرير المصير كما أقرته الأمم المتحدة لا يتصور تطبيقه إلا في إطار العلاقة بين الدولة المستعمرة والشعب المستعمر، حيث تبرز فكرة السيطرة والهيمنة واستعمار القوي للضعيف.

وقد أكدت توصيات الأمم المتحدة أن مبدأ تقرير المصير يخص الشعوب الخاضعة للسيطرة الأجنبية والقهر والاستغلال. ومن الواضح أن هذه التوصيات الأممية جاءت في معرض التأكيد على وجوب احترام الأمم والشعوب في اختيار حريتها، بهدف تصفية آثار الاستعمار، وجاء في الفقرة السادسة من الإعلان المتعلق بمنح الاستقلال للبلدان المستعمرة ما يلي:

«إن كل محاولة للمساس كلياً أو جزئياً بالوحدة الوطنية والحوزة الترابية لبلد ما، يتعارض مع أهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة».

ونص الإعلان الخاص بمبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية بين الدول، الصادر بتاريخ الرابع من نوفمبر 1970 ما يلي:

«لا شيء من الفقرات السابقة يمكن أن يؤول بمثابة سماح أو تشجيع لفعل، مهما كان، يفتت أو يهدد كلياً أو جزئياً الوحدة الترابية أو الوحدة السياسية لأية دولة سيدة ومستقلة تتصرف وفقاً لمبدأ المساواة في الحقوق ولحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

السبب الثاني: إذا ثبتت البيعة وجب الولاء، وانتفت فكرة الاحتلال، لأن البيعة علاقة تعاقدية إرادية، والاستعمار علاقة غير إرادية تقوم على أساس القهر والإكراه والإذلال، بين دولة قوية مهيمنة ودولة مستضعفة، والدولة المستعمرة لا تقر مبدأ المساواة القانونية بين الشعب المستعمر والشعب المستعمر، ولا تسمح للشعب المستعمر أن يعبر عن إرادته الحرة في قضاياه السياسية والاقتصادية، وغاية الاستعمار هي السيطرة على الشعوب المستضعفة للتحكم في مواردها الطبيعية، وفي أسواقها الاقتصادية، لتحقيق منافع للدولة المستعمرة.

والبيعة لا تقوم إلا في إطار أمة واحدة، ذات خصائص مشتركة، أبرزها وحدة الدين والعقيدة، ووحدة الثقافة والتكوين، ووحدة اللغة والتاريخ المشترك، وهذه العوامل تسهم في تكوين إرادة حقيقية في حياة مشتركة في إطار وحدة سياسية، وتعتبر البيعة هي أداة التعبير الحقيقي عن تلك الإرادة، فإذا تمت البيعة

اكتملت رابطة الولاء وامتدت رقعة الدولة إلى حيث امتدت إرادة الولاء، وهذا هو المفهوم الحقيقي للسيادة بمفهومها الإسلامي، الذي يجعل البيعة الشرعية هي أداة هذا الامتداد السياسي.

مبدأ تقرير المصير في القرارات الدولية :

ولو تتبعنا القرارات والتوصيات الصادرة عن الأمم المتحدة في معرض تفسيرها لمبدأ تقرير المصير لوجدنا أن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه إلا في حالات محددة.

الحالة الأولى: في مجال تصفية الاستعمار، ولا تطلق لفظة الاحتلال في إطار الشعوب الموحدة ذات التاريخ المشترك والمقومات الثقافية والدينية الراسخة في أعماق الشعوب، ولا يمكن لإقليم من أقاليم الدولة أن يستعمر إقليمًا آخر، ولهذا قامت دول كبيرة ذات قوميات متعددة وثقافات مختلفة، ومازالت هذه الدول كالصين والهند قائمة ومتماسكة، في ظل إرادة مشتركة في تكوين كيان سياسي موحد، ولا يمكن استخدام لفظة الاستعمار والاستعمار في هذا الموطن.

الحالة الثانية: أن يمارس شعب حق الوصاية على شعب آخر، وأن يضع قانوناً لا يعترف فيه بحق الشعب الآخر في ممارسة حرياته السياسية، وأن يمارس عليه سياسة الإذلال والقهر والاستغلال، وفي مثل هذه الحالة يعطى لذلك الشعب المستذل حق تقرير مصيره حماية لحقوقه الإنسانية.

ولا يتصور قيام مثل هذه الظاهرة في أي مجتمع إسلامي، لأن الإسلام لا يقر قيام دولة قومية أو عرقية أو عنصرية، ولا يتصور في دولة الإسلام أن يكون هناك شعب حاكم وشعب محكوم.

والبيعة هي أداة الامتداد الإداري لسلطان الدولة، فإذا تمت البيعة انعقدت الولاية، وتجسدت آثار تلك البيعة في سلوك إرادي يعبر عن معنى الولاء، والولاء يقتضي الطاعة أولاً والنصرة ثانياً، دفاعاً عن دولة الإسلام التي تقوم على أساس المساواة بين الشعوب الإسلامية في الحقوق والواجبات.

وأعتقد شخصياً أن مبدأ تقرير المصير الذي أقرته الأمم المتحدة لتصفية آثار الاستعمار في البلاد المستعمرة، قد استخدم بطريقة خاطئة، لتشجيع حركات انفصالية، ولتمزيق كيانات سياسية قائمة، بهدف التحكم في مواقفها، والسيطرة على مواردها. فالكيانات الهزيلة هي المطية المريحة لسياسات الهيمنة والتدخل، في عالمنا العربي والإسلامي، ومن واجبنا أن نقف بشجاعة في وجه هذه المخططات المشبوهة، وأن نعلن إدانتنا لكل سياسة انفصالية، ولكل فكرة تهدف إلى تمزيق هذه الكيانات السياسية.

ومن واجب المنظمات الدولية أن تؤكد من جديد معنى مبدأ تقرير المصير، وأن تضع الضوابط والمعايير التي تحافظ بها على وحدة الدول وتماسكها، فعالمنا اليوم يتجه نحو التوحد والتجمع، في وحدات إقليمية وتجمعات جغرافية وأسواق اقتصادية وتكتلات نقدية، لكي يتمكن من مواجهة تحديات هذا العصر.

ولا يمكن لمجتمعنا الإسلامي أن يغمض عينيه أمام الأخطار الحقيقية التي تستهدف عقيدتنا وثقافتنا، وسوف يظل الإسلام بدعوته الصادقة إلى إلغاء القوميات والعرقيات وإلى مقاومة الكيانات الضعيفة، هو الأمل الحقيقي الذي يفشل جميع مخططات التجزئة والانفصال، في أي بلد إسلامي في غرب أو شرق، لكل تظل راية الإسلام شامخة راسخة وقادرة على الصمود.

ولا يمكن لأي مسلم أن يقر السياسات الاستعمارية في بلادنا، والتي تحرص على تشجيع الفتنة، وتنمية بذور الفرقة بين أفراد المجتمع الواحد، المتعايش والمتساكن، معتمدة في ذلك على شعارات خاطئة ومشبوهة، ومختفية وراء قرارات أممية تتحكم في تفسيرها وتأويلها، وتجعلها أداتها القانونية للتدخل في شؤون بلادنا، ناشرة بذلك الفوضى والانقسام، مشجعة كل حركة تهدد الاستقرار.

ومن واجبنا اليوم أن نطالب الأمم المتحدة بأن تحترم مبدأ تقرير المصير، فيما يتعلق بحق الشعوب في اختيار مصيرها بكل أبعاده الاقتصادية والثقافية والسياسية، وأن تحترم خصوصية كل شعب من الشعوب، سواء ما يتعلق بخصوصياته ومعتقداته الدينية، أوما يتعلق بسياساته الاقتصادية والنقدية والمالية، فحق تقرير المصير حق شامل، ولا يمكن أن يتجزأ، وليست الغاية منه تصفية الاستعمار عن طريق مطاردة جيوشه، وإنما الغاية منه تصفية الآثار التي خلفها الاستعمار، لكي تكون الشعوب حرة

في اختيار مصيرها، مستقلة في قرارها السياسي، لا يطاردها خوف عندما تخطط لمناهجها الثقافية، ولا تلاحقها صيحات الإدانة عندما ترسم سياستها الاقتصادية.

ومن حق عالمنا الإسلامي أن يحتضن ثقافته الإسلامية وأن يتمسك بخصوصياته، وأن يدافع عن كيانه السياسي، المتعايش والمتكافل، وأن يرفض كل دعوة للانفصال، وأن يشجع كل جهد يؤدي إلى توحيد الكلمة، فقرة عالمنا الإسلامي تكمن في وحدته، وعالم الغد هو عالم الأقوى، ولا مكان فيه للضعفاء، وفي ظل الإسلام سوف يجد كل فريق موقعه المتميز، بحسب جهده وعطائه، في صيغة إسلامية، تحقق لجميع الفرقاء حقوقهم الشرعية من غير إجحاف ولا ظلم، في مسيرة إسلامية متكاتفة متعاهدة على نصرة الإسلام والدفاع عن مصالح المسلمين.

الأستاذ محمد فاروق النبهان





- البحث الثالث -

بيعة المغاربة
قبس من البيعة النبوية

لفضيلة الأستاذ محمد ابن معجوز المزغراني

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

ـ البحث الثالث ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بيعة المغاربة
قبس من البيعة النبوية

لفضيلة الأستاذ محمد ابن معجوز المزغراني

كنا في البحث الذي شاركنا به في ندوة البيعة والخلافة في الإسلام التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالعيون أيام : 19 و 20 و 21 و 22 من ذي الحجة 1405هـ موافق : 5 و 6 و 7 و 8 شتنبر 1985 تناولنا فيه موضوع : (الخلافة والبيعة في الإسلام)، وبينت مدى عناية المسلمين بهذا الموضوع الذي يعتبر نظاما إسلاميا يمتاز على غيره من أنظمة الحكم، التي عرفت في العالم غير الإسلامي قديما وحديثا، بأنه يستمد قواعده من المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية التي هي القرآن والسنة، حيث إننا نجد في القرآن آيات تدل على أن الله تعالى نصب الخلفاء في الأرض من الرسل والأنبياء، أمثال : داود، وسليمان، ويوسف، ليقوموا بالمهمتين اللتين لا تصلح أمور الدنيا والآخرة إلا بالحرص عليهما، والجمع بينهما، وهما : تنظيم المجتمع، والسهر على تنفيذ شريعة الله فيه. ولذلك اعتبر فقهاء الإسلام أن الخلافة الشرعية هي النظام الذي وضع لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وأن مهمة الخليفة تتمثل في حمله الكافة على مقتضى النظر

الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية، مما يعني أن علماءنا لا يتصورون أن تقتصر مهمة الخليفة – أو من ينوب عنه في حكم جهة معينة، أو في القيام بمهمة محددة – على النظر في أمور الدنيا، ويصرف نظره عما يتعلق بأمور الآخرة. بل إن علماءنا يومنون بأن الإسلام لايعترف بالتفرقة بين ما تطلق عليه أمور الدنيا وسياسة الناس، أي ما ينظم علاق الأفراد بعضهم ببعض، أو بين الحاكم والمحكوم، وبين ما يطلق عليه اسم العبادات أو الأحكام التي تنظم علاقة الإنسان بربه، لأن الإسلام دين ودولة، ودنيا وءاخرة في آن واحد، وليس في التعاليم الإسلامية ما يعتبر دينيا خالصا، وما يعتبر دنيويا محضا لاصلة له بالآخرة ولا يترتب عليه ثواب ولا عقاب أخروى، ولهذا لم يعرف المسلمون في يوم من الأيام ما أصبح الآن من الشعارات التي يرددها رجال السياسة من غير المسلمين: دعْ مالله لله، وما لقيصر لقيصر، لأنه ليس في الإسلام قيصر يشرع، ولا حاكم يضع قوانين بمعزل عن الأحكام التي وردت في القرآن والسنة صراحة أو دلالة.

وأكبر دليل على ذلك أن المسلمين الأوائل لم ينظرو إلى رسول الله ﷺ على أنه مجرد رسول يبلغ رسالة الله، ويعلمهم كيف يصلون ويحجون ويتعبدون لأجل الحصول على رضى الله والفوز بجنته فحسب، وإنما اعتبروه – إلى جانب ذلك – رئيسا ينظم أمورهم الدنيوية، ويرعى مصالحهم المادية، ويسير دواليب دولتهم، مع أنه لم يرد في القرآن ولا في السنة مايدل على أن محمدا ﷺ نصبه ربه خليفة في الأرض، أو جعله ملكا على المسلمين، كما هو الشأن في داود الذي قال الله في حقه :

﴿ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾(1) الآية. وكما في سليمان الذي قال الله عنه : **﴿وهب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي﴾**(2) الآية، وكما حكى عن يوسف في قوله: **﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما﴾**(3) وقال هو عن نفسه يشكر ربه على ما آتاه من الملك والجاه **﴿رب قد آتيتني من الملك﴾**(4) الآية، بل إن محمدا ﷺ لم يتطلع إلى الملك كما تطلع إليه أخوه سليمان عليه السلام، وما ذلك إلا لأن محمدا ﷺ كان يعلم ما علمه للمسلمين من أنه لافرق بين الدين والدنيا، وأن خير من يتولى تدبير أمور الدولة وحفظ النظام ونشر العدل هو الرسول ﷺ، لأنه أعلم الناس بكيفية تطبيق الأحكام المنزلة عليه.

وبمجرد وفاته ﷺ أسرع إلى مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليخلف رسول الله ﷺ في تدبير أمور المسلمين، وليسهر على تطبيق أحكام الإسلام، وليضمن الاستمرارية للمهمة التي تولاها النبي ﷺ والتي تتمثل في المحافظة على التعاليم الإسلامية ونشرها.

وقد قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه بما عهد إليه القيام به، حيث عمل على المحافظة على الإسلام ومحاربة أعدائه، وسهر على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وقام بتعيين الولاة

1) سورة ص. الآية : 26.
2) سورة ص. الآية : 35.
3) سورة يوسف الآية : 22.
4) سورة يوسف الآية 101.

والقضاة والقواد، وكان يستشير الصحابة في كل الأمور المهمة، ولا يستبد برأيه، ولا يعزم على أمر إلا بعد أن يستمع إلى آراء غيره من الصحابة. ومما يدل على تمسكه رضي الله عنه بمبدإ الشورى، والتزامه بهذا المبدإ، وعزمه على تنفيذ ما يسفر عنه، قوله في أول خطبة له: إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني. وقوله : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

وحينما شعر بدنو أجله خاف أن يحدث بين المسلمين نزاع بعد موته على من يخلفه، وبعد أن استشار كبار الصحابة عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب، فبايعه الناس جميعا، فتحمل هذه الأمانة بحزم، وآمن منذ اليوم الأول لخلافته بأن رئاسة الأمة مسؤولية لا تشريف، ولذلك صرف كل همه، وبذل كل جهده للقيام بهذه المسؤولية، ولأداء هذه الأمانة، وبلغ من تخوفه من هذه المسؤولية، وحذره من أن يحمل تبعاتها حتى بعد موته – أنه – رغم ميله إلى طريقة أبي بكر في تعيين ولي للعهد، قطعا للنزاع، وسدا لباب الفتنة – اختار أن يعين هيأة من كبار الصحابة ليختاروا منهم من يتولى الخلافة بعد موته، ووقع الاختيار على عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلا أن هذا الخليفة قد قتل قبل أن يعين من يخلفه. وأغلب الظن أنه لو لم يمت مقتولا لسار على نفس السيرة التي سار عليها الخليفتان قبله، كما أننا نرجح أنه لو أمهل لذلك لما قدم أحدا للخلافة على علي رضي الله عنه، نظرا لمكانته ولقرابته من رسول الله ﷺ، ولو تم ذلك

لما وقع المسلمون فيما وقعوا فيه من خلافات وصراعات دموية، ولا نصاع الناس للخليفة المعهود إليه بها، ولأصبحت هذه الطريقة - طريقة ولاية العهد - سنة متبعة، ونظاما مقبولا من المسلمين في تعيين الخلافة ولضاقت شقة الخلاف بين الفرق والمذاهب في مسألة الخلافة التي تعتبر - في نظرنا - من أهم الأسباب التي أدت إلى كثير من الخلاف في مسائل عديدة تتفرع كلها - أو جلها على الأقل - من الخلاف في طريقة تعيين من يسير أمور الدولة الإسلامية.

بل إننا نرى أنه لو حسم الخلاف في مسألة الخلافة على الشكل المذكور - أي على طريقة ولاية العهد - لما وجدنا في المسلمين مذاهب شيعية وأخرى سنية، لأنه من المعروف، أن أكبر سبب لافتراق الشيعة عن السنة يتجلى في مسألة الخلافة وكيفية تعيين الإمام الذي يرأس الدولة الإسلامية.

اهتمام العلماء بتنظيم قواعد البيعة والخلافة :

نستخلص من هذا أن الخلافة من أهم المسائل التي اعتنى المسلمون بدراستها، وأن تعيين من يسهر على تسيير أمور الدولة الإسلامية، ويعمل على تطبيق تعاليم الإسلام واجب ديني قبل أن يكون مجرد مسألة سياسية.

وقد سبق أن ذكرنا أن علماء الإسلام يعرفون الخلافة (أو الإمامة العظمى) بأنها نظام وضع لخلافة النبي ﷺ

في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وأن مهمة الخليفة تتمثل في حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الرامية إليها.

ولشدة اهتمام المسلمين بالخلافة، والتدليل على أهميتها، فقد ألحقها علماء السنة بأصول الدين، واعتبروا أحكامها والقواعد التي تنظمها مما يتصل بالمعتقدات. ولعلهم استندوا في ذلك إلى الأحاديث التي تنص على أنه يجب على كل مسلم أن يبايع الإمام، وأن يستمر على طاعته ما دام حيا، مثل قوله ﷺ : «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(5)، وفي ذلك يقول السيد في شرحه لخطبة المواقف : «إن الإمامة وإن كانت من فروع الدين إلا أنها ألحقت بأصوله، دفعا لخرافات أهل البدع والأهواء، وصونا للأئمة المهديين من مطاعنهم لئلا يفضي بالقاصرين إلى سوء الاعتقاد فيهم.

وقد اتفقت المذاهب الإسلامية والفرق الكلامية على أن مصلحة الأمة تقتضي نصب الخليفة ليرأس الأمة، ويعمل على حمل الناس على التقيد بالأحكام الشرعية، واتفق الشيعة مع أهل السنة على أن نصب الخليفة يتعدى الجواز إلى الوجوب، لأنه لايمكن لأي مجتمع مسلم أن يعيش في جو إسلامي إذا لم يكن له إمام يقوم مقام الرسول ﷺ في تسيير الأمور والسهر على تطبيق الشريعة. وفي ذلك يقول الإمام ابن تيمية : إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لاقيام للدين إلا بها، فإن بني ءادم

5) رواه الإمام مسلم.

لا تتم مصلحتهم بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات.(6)

ويقول الإمام ابن حزم : اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج، على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ ويقول: : والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام، من ذلك قوله تعالى **﴿يـاأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**(7) مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأئمة، وإيجاب الإمامة، وأيضا فإن الله عز وجل يقول : **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾**(8) فوجب اليقين بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس في بنيتهم واحتمالهم. وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم في الأموال والجبايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الأحكام كلها، ومنع الظالم، وإنصاف المظلوم، وأخذ القصاص، على تباعد أقطارهم وشواغلهم واختلاف آرئهم، وامتناع من تحرى في كل ذلك، ممتنع غير ممكن، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم

---

6) السياسة الشرعية : صفحة : 161.

7) سورة النساء : الآية : 59.

8) سورة البقرة : الآية : 286.

إنسان، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم، إما لأنها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء، وإما خلافا مجردا عليهم، وهذا الذي لابد منه ضرورة، وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها، فإنه لايقام هناك حق، ولا حد، حتى قد ذهب الدين في أكثرها...(9)

فها نحن نرى هذا الإمام يأتي بأدلة نقلية وعقلية مقنعة تدل على أنه لابد للمسلمين من إمام ينشر الأمن بينهم، ويحل مشاكلهم، ويسهر على تطبيق أحكام الشرع عليهم، وأن التجربة والمشاهدة تدل على أنه مهما بقيت جماعة بدون إمام إلا تعطلت الأحكام الشرعية بين أفرادها، واندرس الدين كله فيها، كما أن عدم حمل الناس جميعا على إمام واحد يؤدي إلى الفرقة وتشتيت شمل الأمة، ويصبح سببا لنشر العداوة والعصبية بين أفراد تلك الجماعة.

ومن المفيد جدا أن نسوق كلام العلامة ابن خلدون في هذا الموضوع بصفته خبيرا اجتماعيا، بل هو كما ثبت تاريخيا وعلميا يعتبر المنشىء لعلم الاجتماع، ولذلك فهو خير من يبين لنا أهمية نصب الإمام في المجتمع ككل، وفي المجتمع الإسلامي على وجه الخصوص :

إن نصب الإمام واجب، قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وتسليم النظر إليه

9) الفصل في الملل والأهواء والنحل : جزء : 4 صفحة : 87.

في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعا دالا على وجوب نصب الإمام. وقد ذهب بعض الناس إلى أن مدرك وجوبه العقل، وأن الإجماع الذي وقع إنما هو قضاء بحكم العقل فيه، قالوا : وإنما وجب بالعقل، لضرورة الاجتماع للبشر، واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين. ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض، فما لم يكن الحاكم الوازع، أفضى ذلك إلى الهرج المؤذن بهلاك البشر، وانقطاعهم، مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية، وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في البشر، وقد نبهنا على فساده، وأن إحدى مقدماته أن الوازع إنما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم إيمان واعتقاد، وهو غير مسلم، لأن الوازع قد يكون بسلطة الملك، وقهر أهل الشوكة، ولو لم يكن شرع، كمافي أمم المجوس وغيرهم ممن ليس لهم كتاب، أو لم تبلغه الدعوة، أو نقول : يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل، فادعاؤهم أن ارتفاع التنازع إنما يكون بوجود الشرع هناك، ونصب إمام هنا، غير صحيح، بل كما يكون بنصب الإمام يكون بوجود الرؤساء أهل الشوكة، أو بامتناع الناس عن التنازع والتظالم، فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة، فدل على أن مدرك وجوبه إنما هو بالشرع، وهو الإجماع الذي قدمناه. وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأسا، لا بالعقل، ولا بالشرع، منهم الأصم من المعتزلة،

وبعض الخوارج وغيرهم، والواجب عند هؤلاء إنما هو إمضاء أحكام الشرع، فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى، لم يحتج إلى إمام، ولا يجب نصبه، وهؤلاء محجوجون بالإجماع. والذي حملهم على هذا المذهب إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه، من الاستطالة، والتغلب، والاستمتاع بالدنيا، لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك، والنعي على أهله، ومرغبة في رفضه(10)

ونحن نتفق مع العلامة ابن خلدون على أن نصب الإمام واجب بالشرع، وأن الإجماع انعقد على ذلك، نظرا للآيات والأحاديث الواردة في هذا الموضوع، ولكننا لا نسير معه في محاولته إبطال رأي من يقول بأن نصب الإمام واجب حتى من ناحية العقل، وما كان ينبغي لهذا العلامة الجليل أن ينكر دور العقل في إيجابه لنصب الإمام لدى المسلمين، لما عرفنا من أن طبيعة البشر تقتضي أن يعيشوا في مجتمع، وأن وجودهم في هذا المجتمع يجعل مصالحهم تتشابك، وأغراضهم تتعارض، واشتغال كل واحد منهم بمصالحه يعوقه عن الاهتمام بالمصالح العامة، ويصرفهم عن حمل غيرهم على تطبيق أحكام الشريعة والوقوف عند حدودها، أو على الأقل لايجد القوة التي تعينه على القيام بهذه المهمة، ولذلك يقضي العقل بأنه لابد للمسلمين من إمام يوحد كلمتهم وينشر العدل بينهم، ويحمل الكافة على اتباع أوامر الله، وليس هناك أي ضرر في أن تتوافر الأدلة العقلية بجانب الأدلة النقلية على وجوب نصب الإمام.

10) مقدمة ابن خلدون صفحة : 191.

ويظهر أن الذي حمل ابن خلدون على إنكار دور العقل في إيجاب نصب الإمام هو أنه قرن بين نصب الإمام وبعث الرسول، وتهرب من أن يقال له : مادمت تسلم بأن نصب الإمام واجب بالعقل، فسلم بأن بعث الرسل واجب بالعقل أيضا، مما يؤدي إلى القول بأنه يجب على الله أن يبعث الرسل لهداية الناس، وهذا مخالف لمذهب أهل السنة من أنه لا يجب الله شيء، ولا يلزمه أن يفعل شيئا معينا، لأنه يتصف بالإرادة التي تتنافى مع الإكراه. مع أن الواقع أنه لا تلازم بين وجوب الإمام، ووجوب إرسال الرسل، لأن نصب الأئمة من عمل الجماعة الإسلامية، وكل مسلم مكلف بالقيام بأعمال، منها أن يبايع من يخلف رسول الله في تسيير أمور الدولة، وتطبيق أحكام شريعة الله، بينما يعتبر بعث الرسل من عمل الله، تابع لإرادته وبحسب مشيئته، وفرق كبير بين هذا وذاك.

اختيار الخليفة وكيف يجب أن يكون :

نظرا لما تبين لنا من أن المذاهب الإسلامية تعتبر الخلافة امتدادا لمهمة الرسول ﷺ في تسيير أمور المسلمين وتطبيق أحكام الله عليهم، وبما أن الخليفة يخلف رسول الله ﷺ ويقوم بوظيفته المشار إليها، فلذلك كان لابد أن يكون في نظر الفقهاء جميعا متوفرا على الشروط التي تؤهله لهذا المنصب الخطير، والتي تجعله قادرا على تحمل هذه المهمة الجسيمة.

ومن هذه الشروط ما استوْحَوْه من السنة، ومنها مادل عليه المنطق السليم، وهدت إليه القواعد العامة للشريعة الإسلامية.

وقد بسطنا الكلام في بحثنا السابق المشار إليه على الشروط التي يشترطها العلماء فيمن يرشح للخلافة، وبينا أن الشروط المتفق عليها هي:

1) التكليف : أي أن يكون بالغا عاقلا، لأن الصبي أو المعتوه لايعرف كيف يحافظ على مصالحه ولا أن يقوم بمصالح غيره.

2) الذكورة، لأن الخليفة يجب أن يختلط بالناس، وينفرد ببعضهم في جل الأوقات، ويخطب في المساجد والمجتمعات كلما دعت الحاجة إلى ذلك، والمرأة لايجوز لها أن تخلو بغير محارمها، وقد لا يتأتى لها أن تقوم بمهمات الخلافة في بعض الحالات وخصوصا عند الحيض والحمل والولادة.

3) العدالة، أي أن يكون معروفا بالاستقامة في الدين قائما بأوامره، متجنبا لنواهيه، محافظا على مروءته ومظهره الحسن، وبذلك يضمن التفاف الناس حوله، والتأسي به وتنفيذ أوامره، لأن الفاسق لايؤبه له، ولا يندفع الناس إلى احترامه، وقد يؤدي اشتهاره بالفسق إلى الخروج عن طاعته، ونبذ بيعته.

4) السلامة من العيوب والعاهات التي تعوقه عن القيام بأمور الخلافة، مثل الصمم والعمى، والخرس، لأنه بحاجة إلى كمال الجسم والحواس، ليتأتى له أن يقوم بمهمته على الوجه المطلوب.

5) أن يكون قرشيا، لأن كثيرا من الأحاديث وردت في النص على أن الخلافة تبقى في قريش، منها قوله ﷺ :

الأمراء من قريش(11)، ومنها قوله ﷺ : «الأئمة من قريش» وفي لفظ : الملك في قريش. ومنها قوله ﷺ «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي فيهم إثنان، وفي رواية : ما بقي في الناس اثنان.

كما احتج العلامة ابن خلدون على ذلك بإجماع الصحابة يوم السقيفة حينما تمسك الأنصار ببيعة سعد بن عبادة فقال لهم المهاجرون : إن النبي ﷺ قال : الأئمة من قريش. وبأنه ﷺ أوصى المهاجرين بأن يحسنوا إلى محسنهم ويتجاوزا عن مسيئهم، مما يدل على أن الخلافة في قريش دون غيرهم. ورد ابن خلدون على من يتشكك في هذا الشرط بأن الأدلة التي تدل على هذا الشرط تكاد تكون صريحة، وأن ما سواها مما يتوهم منه أنه قد يكون الخليفة غير قرشي لاتقاوم تلك الأدلة.

والذي يظهر أنه يتعين أن يكون الخليفة من قريش، لأنهم رهط النبي ﷺ وأقاربه، ولأن نفوس المسلمين من جميع الأجناس وفي كل العصور جبلت على حب أقارب النبي ﷺ، وخصوصا أهل بيته، لأنهم خُلَّص قريش، شرفاؤهم، ولأن الله تعالى ذكر في القرآن أنه طهر أهل بيت رسول الله ﷺ : ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.(12)

---

11) رواه الطبراني، والطيالسي، والبزار، والبخاري في التاريخ، والنسائي وأبو يعلى، والإمام أحمد، والحاكم بالألفاظ المذكورة، وجعله البخاري عنوانا للباب الذي خصصه لهذا الموضوع فقال: باب الأئمة من قريش، لأن أسانيده لا تتوفر على الشروط التي التزم بها البخاري وإن كانت كلها أسانيد صحيحة.

12) سورة الأحزاب الآية: 33.

وإذا كان بعض الناس يعتقدون العصبية التي كانت لقريش قد ضعفت، ولذلك لم يبق لهذا الشرط موضوع، فإن هذا غير صحيح، لأن المسلمين ما يزالون يعتبرون أن أهل بيت رسول الله ﷺ أولى بالخلافة من غيرهم، وأجدر بأن يكونوا أئمة للمسلمين، خصوصا وأن النبي ﷺ أوصى بحبهم، وذكر أن صلتهم ومودتهم توصل إلى الجنة، وأن بغضهم يعتبر بغضا له، نعوذ بالله من ذلك.

ثم إن أهل السنة أضافوا شروطا أخرى إلى هذه الشروط هي :

1) الشجاعة، ليسهل عليه إقامة الحدود ومقاومة الأعداء، والدفاع عن الدين والوطن.

2) الرأي والتدبير، ليستطيع تسيير الأمور على أحسن وجه، ويتحاشى الأخطاء التي تسيء إلى رغبته.

3) العلم بأحكام الشريعة، لأنه مكلف بتطبيق تعاليم الإسلام، وحمل الناس على ذلك، ولا يتأتى له أداء هذه المهمة إلا إذا كان عالما بهذه التعاليم، عارفا بأحكام الشريعة أصولها وفروعها.

وفي ذلك يقول ابن خلدون : فأما اشتراط العلم فظاهر، لأنه إنما يكون منفذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها، وما لم يعلمها لايصح تقديمه لها، ولا يكفي من العلم إلا أن يكون مجتهدا لأن التقليد نقص، والإمامة تستدعي الكمال في الأوصاف والأحوال(13)

13) مقدمة ابن خلدون.

ويظهر من استعراضنا لهذه الشروط أن علماء الإسلام يعتبرون الخلافة منصبا خطيرا وأمانة عظيمة، ومسؤولية كبيرة، يجب أن تتوفر في صاحبها الشروط التي تؤهله للقيام بها، وتعينه على تحمل أعبائها، وتدفع الناس إلى طاعته واحترامه.

ولم نرد أن نطيل في استعراض كل ما قيل في هذه الشروط وآراء العلماء في كل شرط، والأدلة التي تدل عليه، لأن ذلك مبسوط في بحثنا السابق.

بعد أن عرفنا أن الخلافة منصب إسلامي، ووظيفة دينية يكلف صاحبها بتسيير أمور الدولة، ويسهر على تنفيذ أحكام الشريعة في كل مجالات الحياة البشرية، واستعرضنا الشروط التي يتعين أن تتوفر فيمن يتولى هذا المنصب الخطير، تشير إلى أن الطرق التي اتبعها المسلمون بمناسبة اختيارهم للخليفة لا تخرج عن هذه الطرق الآتية :

1) البيعة.
2) الاستخلاف أو ما يعرف بولاية العهد.
3) تعيين عدد معين ليختاروا واحدا منهم.
4) ترشيح الجمهور لشخص معين.
5) التغلب والاستيلاء على مقاليد الأمور.

والطريقة الأولى هي التي عُيِّن بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والثانية هي التي تولى بها عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبي بكر.

والثالثة هي التي اختير بها عثمان بن عفان بعد عمر بن الخطاب.

والرابعة هي التي تقلد بها علي بن أبي طالب الخلافة إثر موت عثمان.

والخامسة هي التي تولى بها معاوية بن أبي سفيان الخلافة بعد مقتل علي بن أبي طالب، وقد أشرنا إلى ذلك في أول هذا البحث، واستقصينا الكلام على كل طريقة في بحثنا السابق، ونهتم هنا بالطريقتين الأوليين اللتين هما : المبايعة، وولاية العهد، لأنهما المتبعتان في بلادنا منذ أن تكونت أول دولة إسلامية بالمغرب.

البيعة :

تكلم ابن منظور في لسان العرب على مادة البيعة في اللغة فقال: والبيعة: الصفقة على إيجاب البيع، وعلى المبايعة والطاعة، والبيعة: المبايعة والطاعة، وقد تبايعوا على الأمر : كقولك أصفقوا عليه، وبايعه عليه مبايعة : عاهده. وبايعته : من البيع والبيعة جميعا، والتبايع مثله، وفي الحديث أنه قال : ألا تبايعوني على الإسلام ؟ هو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه، وطاعته، ودخيلة أمره.(14)

14) لسان العرب مادة: بيع ـ جزء 8 ـ صفحة 26.

وقد وردت كلمة البيعة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

الأولى في قوله تعالى : **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾**.(15)

الثانية في قوله تعالى : **﴿لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم، فأنزل السكينة عليهم﴾**.(16)

الثالثة في قوله تعالى : **﴿يا أيها النبيء إذا جاءك المومنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾**.(17)

وإذا كانت الآية الأولى والثانية قد نزلتا في مواقف خاصة، وتتحدثان عن البيعة على الجهاد في سبيل الله، لأن النبي ﷺ خرج مع أصحابه لأداء العمرة، إلا أن أهل مكة منعوه من الدخول إليها، بالرغم من أنه أكد لهم بواسطة عثمان بن عفان – الذي أوفده إليهم في هذا الشأن – أنه لم يجيء لحربهم، وإنما جاء معتمرا ومسالما، فأسروا عثمان وأشاعوا أنهم قتلوه، وحملوا السلاح استعدادا لمنعه من الدخول إلى مكة، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه الذين معه إلى مبايعته على القتال الذي لم يخرجوا من

15) سورة الفتح الآية 10.

16) سور الفتح الآية 18.

17) سورة الممتحنة، الآية : 12.

أجله، وجلس تحت الشجرة، فأقبلوا يبايعونه على الحرب، وعلى التضحية بالروح والدم، استجابة لندائه ﷺ، فأثنى الله عليهم لهذه المبادرة، وأخبرهم بأنه رضي عنهم وقبل تضحيتهم.

فإن الآية الثالثة : تعتبر أصلا في مبايعة الإمام على الطاعة في كل ما يأمر به من معروف، لأن قوله تعالى : ﴿**ولا يعصينك في معروف**﴾ عام في كل ما جاء به النبي ﷺ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بأمور الدين، كما أنه ورد في البخاري وفي غيره أن هذه الآية وإن وردت في مبايعة النساء للنبي ﷺ بعد فتح مكة، فقد استعملها الرسول ﷺ للرجال بهذه الصيغة. فقد روى البخاري عن عبادة بن الصامت أنه قال : قال رسول الله ﷺ ونحن في مجلس : تبايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه، فبايعناه على ذلك.

ومعلوم أن قوله ﷺ : ولا تعصوا في معروف، عام يدخل فيه كل ما أتى به الإسلام من أوامر ونواه، ومن جملتها : ترك الشرك، والسرقة، والزنى، ووأد الأولاد أو قتلهم، واستعمال الجوارح فيما نهى الشرع عنه من الغيبة، والنميمة والكذب والنوح على الميت، ولكنه نص على هذه المخالفات بالخصوص، نظرا لفظاعتها، ولأنها كانت شائعة بين العرب عند بعثته ﷺ.

كما أن قوله ﷺ : «ولا تعصوا في معروف»، يدل على أنه يجب على المسلمين أن يطيعوا أولي الأمر كلما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأن وجوب هذه الطاعة ليس خاصا بالنبي ﷺ ولا بزمانه، بل هو شامل لكل من تولى تسيير أمور المسلمين خلفا عن رسول الله ﷺ.

وقد وقع التصريح بوجوب طاعة الخليفة وامتثال أوامره في عدة آيات وأحاديث. فمن الآيات قوله تعالى : **﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**.

ومن الأحاديث ما رواه البخاري عن عبادة بن الصامت أنه قال : دعانا النبي ﷺ فكان فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا (أي سواء كنا قادرين على الامتثال أو عاجزين عنه، بحيث لايجوز لنا أن نتكاسل في الطاعة) وعسرنا ويسرنا (أي أن ننفق في سبيل الله في حالة العسر واليسر بحيث لا نبخل بما عندنا أبدا)، وأثرة علينا (أي أن نطيع من يتولى علينا ولو لم ينصفنا وآثر غيرنا). وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان(18) (أي أن لا ننازع ولاة الأمور في ولايتهم، ولا نعترض عليهم إلا إذا صدر منهم منكر محقق فيه دليل صريح من قواعد الإسلام، فحينئذ يحق الإنكار عليهم وعدم مجاراتهم فيه.

18) فتح الباري. جء : 13، صفحة : 55.

وورد الأمر بلزوم الجماعة والتشبث ببيعة الإمام والاستمرار على طاعته، والتحذير من دعاة الفتنة الذين يزينون للناس الخروج على الإمام وتشتيت جماعة المسلمين.

فمن ذلك ما رواه البخاري عن إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت : يارسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم، وفيه دخن. قلت : وما دخنه؟ قال : قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت يارسول الله، صفهم لنا، قال : هم من جلدتنا، ويتكلمون بألستنا، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.(19)

كما وردت أحاديث عدة في تحريم الخروج على الإمام، وشق عصا الطاعة، وإحداث الفتن.

فمن ذلك ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال : من حمل علينا السلاح فليس منا، وقال : لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض...

19) فتح الباري جزء : 13 صفحة : 27.

وبلغ من التحذير من إشاعة الفتنة والنهي عن كل ما يؤدي إليها ومن تخويف المسلمين أو عمل ما يحط من معنوياتهم أن النبي ﷺ نهى عن الانحياز إلى رجال الفتنة ولو لمجرد تكثير عددهم، ونبه إلى أن ذلك يعتبر خروجا عن الجماعة. فقد جاء عن ابن مسعود مرفوعا إلى النبي ﷺ : من كثر سواد قوم فهو منهم، ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به. وورد في البخاري ما ملخصه : أن أهل المدينة ألزموا في خلافة عبد الله بن الزبير على مكة بأن يخرجوا عددا منهم لقتال أهل الشام، فسجل محمد بن عبد الرحمن نفسه ضمن من سيخرج، فلقيه عكرمة مولى عبد الله بن عباس، فنهاه عن ذلك أشد النهي. وقال له : أخبرني ابن عباس أن ناسا من مستضعفي المسلمين خرجوا في معركة بدر مع المشركين يكثرون سواد هؤلاء المشركين على رسول ﷺ بعضهم أثناء المعركة بسهام المسلمين، فقال المسلمون بعد المعركة، هؤلاء كانوا مسلمين وماتوا في صفوف المشركين، لأنهم خرجوا مكرهين فاستغفروا لهم. فنزل قوله تعالى : **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾**(20).

فها نحن نرى أن عكرمة بين لمحمد بن عبد الرحمن أن الله ذم المسلمين الذين كثروا سواد المشركين وذكر أن مصيرهم إلى النار مع أنهم لم يكونوا مختارين في ذلك ولا موافقين بقلوبهم،

20) سورة النساء الآية : 97.

فكأنه قال له: لا تكثر سواد هذا الجيش الذي سيخرج لقتال المسلمين.

يتبين من هذا أن أمر الخلافة كله قام في صدر الإسلام على البيعة التي تقتضي رضى الرعية، والتي بمقتضاها يتم العقد بين الحاكم والمحكومين، يعطي الخليفة العهد على نفسه بأن يسوس المسلمين بالحق والعدل، وأن يرعى مصالحهم ويسير فيهم مسيرة النبي ﷺ، ويتعهد المسلمون على أنفسهم بأن يسمعوا ويطيعوا، وأن ينصحوا ويعينوا، ويبقى كل واحد من الطرفين ملتزما بما ألزم به نفسه : لا ينكث عهده، ولا ينقض ميثاقه. وقد حذر الله المسلمين من نفض البيعة بقوله تعالى : ﴿**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾.(21) أي أن من خان عهده بعد البيعة فسيرجع ضرر الخيانة عليه، لأنه حرم نفسه ثواب الوفاء بالعهد وألزمها عقاب الخيانة.

ولاية العهد :

العهد في اللغة الموثق، واليمين، وما بين الأشخاص من المواثيق، وسمي من سيتولى الخلافة بعد الخليفة الحالي ولي العهد، لأن هذا الخليفة ولاه العهد والميثاق الذي أخذه هو من الناس عندما بايعوه.

وأول من عين من تنتقل إليه الخلافة بعده هو أبو بكر الذي أوصى المسلمين بأن يبايعوا عمر بن الخطاب، فوافق الصحابة

21) سورة الفتح الآية : 10.

على ذلك، والتزموا كلهم بالعمل على تنفيذ هذه الوصية، وأسرعوا إلى مبايعة عمر رضي الله عنه بمجرد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ثم أصبح الخلفاء يعينون في حال حياتهم من يصير خليفة من بعدهم : ويهيؤونه لهذا المنصب ويعدونه الإعداد اللازم.

وقد انعقد الإجماع على أن الخليفة إذا عين شخصا وليا للعهد ممن يتوفر على الشروط التي تشترط في الخلافة، فيجب على الأمة أن تتقيد بهذا العهد، وأن تعتبر ولي العهد خليفة بمجرد موت الخليفة، لأنها التزمت بأن تطيع الخليفة في كل ما أمر به، مما يعني أن قيام الخليفة بتعيين ولي للعهد يعد من جملة المهمات التي تدخل في وظيفته، كما يعتبر التزام الرعية بتنفيذ هذا الأمر جزءا من الالتزام بطاعة الخليفة.

وبهذا يتبين أن قيام الخليفة بتعيين ولي للعهد موافق لتعاليم الإسلام، ولسنة الخلفاء الراشدين كما انعقد الإجماع على صحته.

ثم إنه إجراء سليم تمليه مصالح المسلمين، وتوجيه الظروف، لأنه يسُد باب الفتنة، وييسر حصر الخلافة فيمن يصلح لها، لأن الخليفة لايقدم على ترشيح شخص إلا بعد أن يتحقق من صلاحيته واستجماعه للشروط اللازمة في الخليفة، ويتأكد من أنه سيقوم بالخلافة خير قيام، لأن الخليفة قد التزم بأن ينصح للمسلمين، وأن يرعى مصالحهم، وأن لا يختار لهم إلا من يقوم بالمسؤولية خير قيام.

ثم إن اختيار ولي العهد في حياة الخليفة يؤدي إلى أن يقوم هذا الخليفة المنتظر بمهام في الدولة، ويحتك بدواليبها، ويتدرب على يد الخليفة، وتحت سمعه وبصره لهذه المهمة، حتى إذا ءالت إليه الخلافة كان لها أهلا، وعلى القيام بها أقدر ممن هو بعيد عن هذا المنصب، وأجنبي عن هذه الوظيفة. الشيء الذي يضمن الاستمرارية للدولة، والاستقرار للنظام، ويأمن معه المسلمون من الوقوع في الفتن التي يجرها التطلع إلى الخلافة من الصالح والطالح، وما يؤدي إليه التنافس عليها من مشكلات وعواقب وخيمة تقع في كل الدول بمناسبة كل انتخاب.

وقد جرى العمل عندنا في المغرب على اتباع هذه السنة الحميدة. حيث إن الخليفة يعين وليا للعهد ويربيه التربية الصالحة، ويدربه على القيام بأمور المسلمين.

وبعد صدور الدستور الذي وافق عليه المغاربة جميعا أصبح نظام الحكم عندنا نظاما ملكيا دستوريا حيث نص على القواعد الآتية:

أ – إن الملك هو جلالة الحسن الثاني الذي هو أمير المومنين.

ب – إن الملك ينتقل إلى الولد الذكر الأكبر سنا من ذرية الحسن الثاني ما تعاقبوا.

ج – يمكن للملك أن يعين قد حياته ولدا ءاخر غير ابنه الأكبر ليكون خلفا له.

د – إذا لم يكن للملك ولد ذكر انتقل الملك إلى أقرب أقربائه من جهة الذكور.

وما زال المغاربة يسيرون سيرة أجدادهم، ويتبعون سلفهم الصالح إلى الآن. فما زلنا نجدد بيعتنا لأمير المومنين في المناسبات، ونعرب عن تعلقنا بشخصه وعرشه وخلافته في المواسم والأعياد، حيث تقام حفلات الولاء التي يحضرها ممثلوا الأمة وكبار رجال السلطة ليظهروا تمسك المغاربة بتقاليدهم الصالحة، وليفصحوا باسم كل أفراد الأمة عن حبهم وإخلاصهم وطاعتهم لأمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين، وليصرحوا مرة أخرى بأنهم جنود مجندون وراءه لتوحيد البلاد وتطهير ما بقي منها من ءاثار الاستعمار لتحقيق ما يصبو إليه أمير المومنين من استكمال استقلالنا.

خاتمة :

وبعد، فإننا قصدنا من هذا البحث الموجز أن نبين أمرين أساسيين :

أولهما ـ أن الخلافة نظام إسلامي يقوم على القرآن والسنة، ويستمد أحكامه من الجذور التاريخية للإسلام، وأن علماء الإسلام أقاموا صرح هذا النظام على المصادر الأصلية للأحكام الشرعية التي هي الكتاب والسنة والإجماع، وبذلك نرد على كل من يشكك في هذا النظام، وفي علاقته بالشريعة الإسلامية، مثل ما كان عليه علي عبد الرزاق أحد علماء الأزهر الذي أصدر سنة 1925 كتابا سماه (الإسلام وأصول الحكم) إدعى فيه أن الخلافة ليست من الخطط الدينية، وزعم أن الإسلام لم يفرض

نظاما سياسيا معينا، وأنه يمكن لمصر أن تقيم نظاما رأسماليا، أو شيوعيا، أو فاشيستيا. وقوبل هذا الكتاب باستنكار العلماء، وأدى ذلك إلى محاكمة صاحبه أمام هيأة من كبار العلماء، تتكون من أربعة وعشرين عالما، بينهم شيخ الأزهر، وصدر الحكم عليه يوم 22 من المحرم عام 1344 موافق 12 غشت 1925 بإخراجه من زمرة العلماء، كما صدر حكم من مجلس التأديب بوزارة الحقانية بنفس التاريخ بفصله من وظيفته في القضاء، كما تصدى كبار العلماء للرد عليه ونقد نظريته والتأكيد على أن الخلافة نظام إسلامي أصيل، يستمد قواعده وتنظيماته الفقهية من مصدار الشريعة الإسلامية، ومن هؤلاء العلماء : رشيد رضا، ومحمد خضر الحسين، ويوسف الدجوي، ومن العلماء من حكم بتكفير هذا الكاتب علي عبد الرزاق بسبب هذه الآراء المتطرفة حول الخلافة.

وقد تراجع هذا الكاتب نفسه عن هذا الموقف، وحذف من كتابه المذكور العبارات التي تطعن في الخلافة كنظام إسلامي، ولذلك اجتمعت عام 1937 هيأة كبار العلماء وقررت إعادته إلى زمرة العلماء.

ثانيهما : أن نظامنا المتبع في المغرب منذ أن قامت أول دولة إدريسية إلى هذا العهد السعيد الذي يتربع فيه أمير المومنين الحسن الثاني على عرش أجداده المنعمين، نظام إسلامي يرتكز على أسس الشريعة الإسلامية، ويقوم على تعاليم الإسلام، ويستمد قواعده من القرآن والسنة والإجماع، وما استنبطه العلماء

من هذه المصادر الإسلامية، كما أن أمير المومنين الحسن الثاني أيده الله ونصره وزاده توفيقا وسدادا يستجمع في شخصه وفي نسبه كل الشروط التي تشترط في الخليفة في جميع المذاهب الإسلامية على اختلافها.

وهو الشجاع البطل المقدام، يدل على ذلك مواقفه الحازمة في الدفاع عن صحرائنا وكافة أراضينا.

وهو صاحب الرأي والتدبير، يشهد له بذلك القاصي والداني، ويعترف له كل من اتصل به من كبار الشخصيات ورؤساء الدول وجهابذة السياسة.

وهو العالم الفذ يكفي في التدليل على ذلك كونه يحمل الشهادات العليا، ويؤلف الكتب القيمة، ويبدي الآراء النيرة في كافة ميادين العلم، وفي سائر التخصصات، ويفتخر علماء الإسلام من جميع أنحاء العالم الإسلامي بالجلوس بين يديه لإلقاء الدروس في رمضان، لأنهم يعلمون كفاءته، وسعة اطلاعه، وخبرته التي تجعل منه أحسن مستمع، وأكبر متذوق.

وهو إلى جانب كونه قرشيا صميما، فهو من أهل بيت رسول الله ﷺ، لأنه من أحفاد فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله التي قال فيها الرسول ﷺ: فإنما ابنتي بضعة مني يريبني مارابها ويؤذيني ما آذاها(22)، وهو أيضا ابن الحسن بن فاطمة الزهراء، الذي قال فيه رسول الله ﷺ إن ابني هذا سيد.(23)

22) رواه الإمام مسلم.

23) رواه الإمام البخاري.

ويدل كل هذا على أن كل من نكث بيعة أمير المومنين يكون قد آذى رسول الله ﷺ، لأنه ليس من المعقول أن لا يكون هنا النكث للعهد مؤذيا لفاطمة رضي الله عنها، ولا لابنها الذي هو ابن رسول الله، بصريح قوله ﷺ إن ابني هذا سَيِّدٌ.

ولهذا وجب علينا نحن المغاربة أينما كنا، وكلما تناسلنا وتعاقبت أجيالنا، أن نتوارث حب آل بيت رسول الله، وأن نخلص الطاعة، وأن نظهر الولاء والإخلاص في السر والعلانية، لمن أكرمنا الله بجعله خليفة لجده ﷺ في تسيير أمورنا، والمحافظة على وحدتنا، والسهر على تطبيق أحكام الشريعة فينا، وبذلك ننال رضى الله ونكون ممن قال الله فيهم : ﴿**ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما**﴾.(24)

الأستاذ محمد ابن معجوز المزغراني

24) سورة الفتح الآية : 15.



- البحث الرابع -

الخلافة وشرعيتها في الديار المغربية

لفضيلة الأستاذ محمد بن حماد الصقلي

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ • 20. 21. 22 يوليوز 1994م

- البحث الرابع -

بسم الله الرحمن الرحيم

الخلافة وشرعيتها في الديار المغربية

لفضيلة الأستاذ محمد بن حماد الصقلي

أولا : مرجحات حمل حديث «أهل الغرب» على أهل المغرب:

ما عرف المغاربة إلا بتمسكهم بالحق، فالحق بينهم مقيم وطاب له المقام. لأنه وجدهم متصفين بالشهامة، ومتخلقين بالوفاء والنزاهة، فهم الاشداء على المارقين، والرحماء بينهم، وبين كل من يناصر العدل والمشروعية، فالحلف بين المغاربة وبين الحق قديم وعريق، يجددون له العهد على أنهم لا يضعفون ولا يستكينون، وعلى أنهم يذودون عنه، مهما كانت الصعوبات، وغلت التضحيات، لا ينخدعون إذا غرر أهل الباطل سواهم ممن يغترون بتشويه الحقائق، وتزييف الوثائق، دائما هم بالمرصاد لكل شكل من أشكال الباطل والمكر والخداع. وطاب كذلك للحق بالمغرب المقام، لأن جزءا من أرضه على ما لبعض السلف: «مجمع البحرين»، المذكور في قوله تعالى: **﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾**.(1) فمما جاء في تفسير ابن كثير للآية الكريمة قوله: «وقال محمد ابن كعب

1) سورة الكهف الآية : 60.

القرظي: مجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب».(2)

وجاء في تفسير الألوسي قوله: «وقالت فرقة، منهم محمد بن كعب القرظي: هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه»(3) ولأن رسول الله ﷺ أخبر أن الطائفة التي ستبقى محافظة على الحق، وراعية لأمانته بكل إخلاص وصدق هي طائفة أهل الغرب الذي هو على أحد الاحتمالات سائر أرض المغرب.

فبالسند المتصل إلى الحافظ الحجة أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله قال: حدثنا يحيى ابن يحيى(4) أخبرنا هشيم(5) عن داود(6) ابن أبي هند عن أبي عثمان(7) عن سعد بن أبي وقاص(8) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

---

2) ابن كثير / التفسير 3 / 93.
3) الألوسي / روح المعاني 15 / 313.
4) يحيى بن يحيى بن بكير أحد الأئمة، تحفة مامون ت سنة 226 ابن حجر / تهذيب التهذيب.
5) هشيم بن بشير ابن القاسم الواسطي ربوى عنه الأئمة مالك وشعبة والثوري ت 283 نفس المرجع السابق.
6) داود بن أبي هند القشتري مولاهم أبو بكر المصري وثقه الإمام أحمد العجلي ت سنة 239 (ن.م).
7) أبو عثمان النهدي عبد الرحمن بن نبل ادرك الجاهلية والإسلام.
8) سعد بن أبي وقاص من السابقين الأولين إلى الإسلام وهو أول من رمى بهم في سبيل الله توفي سنة 55هـ.

وهذا الحديث ختم به الإمام مسلم روايات أخرى بألفاظ مختلفة متقاربة في معناها عن سبعة من الصحابة، وهم ثوبان، قيس بن المغيرة، المغيرة بن شعبة، جابر بن سمرة، جابر ابن عبد الله، معاوية بن أبي سفيان، عقبة بن عامر، وكلها تفيد أنهﷺ أخبر بوجود طائفة من أمته تبقى قائمة بأمر الدين إلى يوم القيامة، لا تتأثر بالمخالفين، تقاتل من ناوأ الشريعة، وهي على الحق ظاهرة. وليس في تلك الروايات ذكر للجهة التي توجد بها تلك الطائفة، والتصريح بالجهة ورد في حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص الذي أوردته. وروى هذا الحديث بهذا اللفظ أبو نعيم في الحلية، ورواه أيضا بلفظ إلى يوم القيامة بدل: «حتى تقوم الساعة».

وقد أورد الإمامان الأبي والسنوسي في شرحهما لهذا الحديث، أقوالا ثلاثة في المراد بأهل الغرب، قالا في القولين اللذين صدرا بهما: «وقيل: إن أهل الغرب هم العرب، لأن الغرب هو الدلو الكبير، والعرب معروفة به، وقيل: المراد بأهل الغرب، أهل الشدة والقوة والحدة، وغرب كل شيء حده، وحمل الحديث على هذين القولين يتنافى مع المقصود الأول من معناه، إذ المتبادر منه هو ما جعله الإمامان المذكوران قولا ثالثا، وهو أن المراد من الغرب في الحديث جهة الغرب، وقد قال الإمام القرافي: «الكلام أبدا في الحقائق إنما يقع فيما هو في الرتبة الأولى لا فيما بعدها»(9) وعليه فالرتبة الأولى من معنى الغرب، هي أن المراد جهة المغرب، وهذا هو الذي تؤيده الرواية، فقد رواه الحافظ بقي بن مخلد في مسنده

9) القرافي :

عن سيدنا سعد بن أبي وقاص أنهﷺ: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة أو يأتي أمر الله».

ورواه الدارقطني في فوائده بسنده إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص أنهﷺ قال: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق في المغرب حتى تقوم الساعة، وأسنده الإمام الهروي إلى سيدنا سعد أنهﷺ قال: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». قال صاحب التشوف: «ومن تأوله على أن الغرب الدلو، وأنه أراد أهل الغرب وهم العرب فيبطل تأويله بما رويناه في مسند بقي بن مخلد وفوائد الدارقطني وغيرهما من رواية الحديث بلفظ أهل المغرب. وقال الشيخ أبو الحسن الجزنائي في جنازهرة الآس: «وأهل الغرب هم أهل المغرب الذي هو ضد المشرق، على أصح التأويلات في الحديث وأوضح الدلالات». وقال الإمام القرطبي في المفهم: «رواية أهل المغرب بالميم تدل على إبطال التأويلات في هذا الحديث» قال: «والمراد بالمغرب جهة الغرب من المدينة إلى أقصى بلاد المغرب، فيدخل فيه الشام، وبيت المقدس بلا منافاة بين الروايات. وعقب صاحب السلوة على نص الإمام القرطبي بقوله: «قلت: وتدخل فيه أيضا مراكش وفاس، وما والاهما». فأصحاب هذه النصوص لم يخصوا أهل المغرب بأهل قطر معين من أقطار الغرب الإسلامي ومن الأئمة من يفيد ظاهر كلامه أنه يخصهم بأهل القطر المغربي، فإن الشيخ الإمام أبا بكر محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي الإسكندري بعث برسالة إلى ملك المغرب على عهده ذكر فيها حديث أبي سعيد ثم خاطبه

بقولـه: «هل أرادكم رسول اللهﷺ أو أراد جملـة أهل المغرب، إلا لما أنتم عليه من التمسك بالسنـة والجماعة، وطهارتكم من البدع والأحداث في الدين، واقتفائكم لآثار من مضى من السلف الصالح رضي الله عنهم.

ولشهادة الإمـام الطرطـوشي وزنها، فأهل المغـرب يختصون بميزتين، وينفردون بفضيلتين: أولاهما: صلتهم الوثيقة بعلم أهل المدينة فقها وقراءة، فقد أجمعوا على اتبـاع مذهب إمامها مالك بن أنس رضي الله عنه، تنفيـذا لرغبة مؤسس الدولـة المغربية الأول المولى إدريس بن عبد اللـه رضي الله عنه، وأجمعـوا كذلك على أن يقرأوا القـرآن بقراءة نافع قـارئ المدينة. إن اختصاص المغـاربة بطابع المدينة، الذي كـانت وحدة القراءة ووحدة المذهب من أجلى مظـاهـره، قـد جـاء نتيجـة لطمـوحهم الجبلي الـذي لم يجعلهم مـرتـاحين إلى تطبيق أي مـذهب إلا إلى تطبيق مـذهب إمـام دار الهجـرة، ذلك أن نفسية المغـاربـة مجبولـة على عدم الاكتفـاء لا بالأقل ولا بـالقليل، ولا على الاقتصار على أقـرب مرحلـة إذا كان غيرها أفضل وأنفع، فهم مجبولون على الظفر بالكثير، ومجبولون على تخطي المراحل الفـرعيـة للـوصـول إلى المراحل الأسـاسيـة، والمراكز الرئيسيـة. إنهم بمقتضى طبيعتهم لا يشربون من أسفل السـاقية، وإنما يتتبعـونها ليرتووا مـن مبدئهـا وينعموا بصفـاء منبعهـا، والتاريخ يـؤكـد لهم هـذا الطموح في مختلف المجـالات ويحتفظ لهم بالشواهد المتميزات، ويذكر أنهم أمام أسمى الغايات تهون عندهم الصعوبات، وتذلل العقبات.

ولهذا السبب لم يجمع المغاربة قبل اتباعهم للمذهب المالكي على أي مذهب فقهي، ولم تجرفهم تيارات العقائد البعيدة عن عقائد أهل السنة. فالعبيدون لم يقدروا أن يقيموا بين ظهرانيهم بل رجعوا أدراجهم من حيث أتوا، والخوارج لم يستطيعوا أن يؤثروا فيهم، فهؤلاء وإن احتكوا بالمغاربة وساكنوهم برهة، لم يركنوا إلى مبادئهم، ولم ينصاعوا إلى توجيهاتهم لأن الخوارج متطرفون، وطموح المغاربة لا يكبته التطرف، ولا يعرقله الشذوذ، فهم لا يحبون تفريطا ولا يرتاحون إلى إفراط، وإنما يفضلون من الأمور وسطها، ويتبغون من الأشياء خيرها، والمذاهب التي ظهرت قبل المالكية أو صاحبتها لم يكن لها عليهم كبير تأثير، ولا عظيم نفع، حتى الحنفية والأوزاعية طرقتا لهم الأبواب، وما تخطتا الرحاب، فالمذهبان سنيان، ومع ذلك لم يكن لهما فيهم تغلغل، ولا وجدا منهم حسن التقبل، والسبب أنهما لم ينطلقا من أول مراكز الدولة الإسلامية ومقر نخبة الدين، الخيرة، المدينة المنورة، إنهم كانوا يبحثون عن مذهب يتوفر فيه شرطان:

أولهما : أن يكون منطلقه المدينة، لأن طموحهم يحملهم على ألا يأخذوا المذهب إلا من مركز الإسلام الرئيسي ومقر التشريع الأولي، لذلك فضلوا أن يتلقوا مذهبهم عن إمام عاش في تلك الربوع، واجتمع له جل المنقول والمسموع.

وثانيهما : أن يكون المذهب متجاوبا مع طبيعتهم المرنة، وأعرافهم السليمة، لم يتجهوا إلى القيروان حاضرة إفريقية، لأنها كانت فرعا علميا بالنسبة للمدينة، ولأنها وإن نزل بها وبالمغرب

الجم الغفير من الصحابة، ناهيكم بسبطي رسول اللهﷺ الحسن والحسين، وبالعبادلة ابن عباس، وابن عمرو بن العاص وابن جعفر بن أبي طالب وابن الزبير، وناهيكم بالذي بايع رسول اللهﷺ تحت الشجرة، مسعود بن الأسود البلوي وبأحد السابقين الأولين إلى الإسلام، المقداد بن الأسود الكندي، فإن نزولهم بها وبالمغرب كان من أجل الجهاد لإعلاء كلمة الله وبعدما سعدت بحلولهم الديار ارتحلوا قبل أن تمضي فترة التلقين الكافي، والتعليم الوافي.

ولم يتجهوا كذلك إلى مصر لأنها وإن كانت مركزا، فهي فرع علمي بالنسبة إلى المدينة، وحتى الشام لم يتجهوا إليه رغم كون فقهائه أخذوا عن أبي الدرداء في مركز دمشق، وعبادة بن الصامت في مركز حمص، ومعاذ بن جبل في مركز فلسطين، فهم لا يبتغون بغير المدينة بديلا، ففيها بقي المهاجرون رضي الله عنهم مقيمين مع إخوانهم الأنصار بعد التحاقهﷺ بالرفيق الأعلى فكان لها بهذه الإقامة مكانتها الكبرى في العلم، ومركزها الرئيسي في السياسة.

فمنذ هاجر إليها رسول اللهﷺ وأصحابه، وهي عاصمة العلم الرئيسية، وقاعدته الأساسية، لأن كبار الصحابة الذين رسخوا في العلم، ما فارقوا ربوعها، ولا غادروا ديارها، والكثير الكثير ممن خرج منها للجهاد، أو للقيام بشؤون الدولة عاد إليها بعد أداء المهمة، وانتهاء المعركة. فعن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن عمر وأبي سعد الخدري وأبي هريرة، وزيد ابن

ثابت أعلم الصحابة بفرائض الله، وعائشة، وسواها من الفضليات، وعن أمثال من ذكر ممن يتعذر عدهم، تخرج كبار التابعين من أمثال عروة بن الزبير، وابن شهاب الزهري، وعبيد الله بن عتبة ابن مسعود، وسالم بن عبد الله ابن عمر، ومحمد ابن المنكدر، وعن هؤلاء وعن سواهم تسلسل الأخذ وتوالى العطاء إلى أن كان أعلم علماء المدينة مالك بن أنس، فقد اجتمع له علم الصحابة والتابعين، وتوفرت له دواعي معرفة أسرار الدين، إنه النجم اللامع، والبدر الساطع، ماشع نوره في الآفاق حتى تطلع المغاربة إليه، وتاقوا إلى الجلوس بين يديه، فرحلوا إلى المدينة أفواجا تلو أفواج، ووفدوا عليها جماعات بعد جماعات، بل قاموا بهجرة علمية منطلقها المغرب، والمهاجر إليه عالم دار الهجرة وحق لها أن تسمى هجرة، لأن طلاب العلم الذين أخبر رسول اللهﷺ أنهم يوشكون أن يضربوا أكباد الإبل ليجدوا عالم المدينة الذي لا يجدون أعلم منه، قد انطبق على طلاب العلم المغاربة على أوسع نطاق. فالمغرب من أقصى المناطق بعدا عن المدينة المنورة، وسواه من المناطق من مصر والشام والكوفة والبصرة واليمن وخراسان ومكة الخ، هي أقرب إلى المدينة من المغرب، والقرب يقلل من ضرب الأكباد، والبعد يوسع نطاق ذلك الضرب.

وأيضا كان الاتجاه إلى عالم المدينة من غير المغرب اتجاها فرديا، منطلقه مراكز علمية أقام في كل منها صحابي أو أكثر أخذ عنه الطلاب الملازمون المتعطشون، وكونوا مما أخذوه مذهبهم،

فكان الفرد منهم من أي مركز غالبا ما يأتي إلى عالم المدينة ليحظى بالرواية عنه والسماع منه.

أما توجه المغاربة إلى مالك، فكان للتفقه في الدين، وأخذ علم المدينة ليطبقوه حسب مذهب شيخهم حين العودة إلى ديارهم، ولهذا تركز مذهب الإمام مالك في المغرب، وسيبقى متركزا فيه عبر الأزمان، وما طرأ عليه من تحول فإنما كان أمرا عارضا، سرعان ما توارى وجوده، وانمحت آثاره.

وأجل شاهد على هذا، الدعوة الموحدية، فرغم كونها تعززت بوسائل التركيز في المجتمع المغربي بدواعي نشرها في مختلف أوساطه، لم يدم لها وجود، ولا تيسر لها مقام، إذ سرعان ما عمل المغاربة على رتق خرقها، فبقي المذهب المالكي متمساكا في المغرب، وبفضل أبنائه انتشر في مختلف الأقطار الإفريقية الغربية.

وثانيتهما : صيانتهم لشرعية الحكم

فالتاريخ شاهد على أن المغاربة هم الذين انفردوا بالمحافظة على أمانة الخلافة التي هي دعامة الحكم الإسلامي وأساسه المتين، وهم الذين اختصوا بصيانة عهودها عبر العصور المتعاقبة، وما صيانتهم للعهد إلا أثر من آثار الشهامة التي يتميزون بها، فطبيعتهم منذ أن كانوا، هي أنهم لا يتعاملون إلا مع من يناصرون الحق، ويواظبون على الصدق، لذلك بقيت كرامتهم مصانة، وسيادتهم متواصلة، فلم يسبق أن خضعوا لمحتل،

أو أقاموا على ذل، وإذا كانوا لم يواجهـوا قدوم المسلمين بالمقاومة المستمرة، والمقاتلة المتواصلة، فما ذلك إلا لكون قدوم المسلمين لم يكن قدوم احتلال، وإنما كان لنشر تعـاليم الإسلام وإعلاء كلمة الله بين الأنام.

ولما وجدوا الإســلام منسجما مع سلامة فطرتهم، ومتنــاسبا مع دماثة أخــلاقهم، وصفاء طبعهم، بادروا إلى اعتناقــه، ثم هبوا ينشرونه في مختلف الأصقاع، ويمحون بتعاليمه السليمة الطغيان الســائد في كل البقاع، فكــان لهم فضل كبير في نشر الإســلام في الأنـدلس، ورفع لوائه على غيره من بعض البــلاد الأوربية، وقـد بقي وفاؤهم للتعاليم الإسلاميــة متواصلا عبر الأجيال ومستمرا في كل آن، فما نقضــوا عهـدا من عهـوده، وما حـرفـوا كلما عن مــواضعه، ومــا خـدعتهم سوء أفهـــام، ولازلت بهم أقـــدام، بل ساروا في ركـاب الحق الذي تدعمــه الحجــة، وتعـــززه الحقائـق الثابتة، وما مؤازرتهم للخلافــة الشرعية، وصيانتهم لعهدها على الـدوام إلا أجــل شاهـد، وأعظــم مسانــد، فما هي الخلافـــة الشرعيــة.

ثانيا : الخلافة

الخلافة فعالــة بكسر الفاء، الكلمة، مصدر، فعله مــزيد ثلاثي على وزن تفعل بـزيـادة التاء قبل الفــاء، وتضعيف العين، متعـد بنفسه يقــال تخلف فــلان فلانــا خلافــة، وله بهذا الـوزن ثلاث دلالات:

أ – التأخر عن الغير : ب – والمجيء خلف آخر – ج – والقيام مقام الغير. قال الإمام الاصبهاني: «يقال تخلف فلان فلانا، إذا تأخر عنه، وإذا جاء خلف آخر، وإذا قام مقامه، مصدره الخلافة».(10)

وصيغة هذا المصدر الشامل لما ذكر من الدلالات سماعية، والقياس في مصدر تفعل التفعل، فالتخلف الذي هو المصدر القياسي لا تشمل دلالته سائر أوجه دلالة المصدر السماعي، وإنما يختص مفهومه بأحدها، وهو التخلف عن الغير، ومنه يشتق اسم الفاعل القياسي فيقال: متخلف، وهو من فاته الركب وتخلف عمن فاقه. أما الفعل المجرد فمصدره خلف على وزن فعل بفتح عين الكلمة أو خلف على وزن فعل بسكون العين، والفعل المجرد دال على كل من جاء بعد من مضى، فإن كان المعوض من مضى ذا خير فمصدره بالتحريك، وعليه قوله عليه السلام: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله»... وإن كان ذا شر فبالسكون، ومنه قوله تعالى: **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة﴾**. قال الإمام ابن الأثير: «خلف، فيه: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين». والخلف بالتحريك والتسكين: كل من يجيء بعد من مضى، إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشر، يقال: خلف صدق، وخلف سوء، ومعناهما جميعا القرن من

10) النهاية في غريب الحديث والاثر 1/313.

الناس، والمراد في هذا الحديث، المفتوح، ومن السكون، الحديث: «سيكون بعد ستين سنة خلف أضاعوا الصلاة».

والمشتق من المجرد خليفة على وزن فعيلة، واختص معناه اللغوي بالسلطان الأعظم الذي يخلف غيره، ويقوم مقامه. ففي القاموس: «والخليفة السلطان الأعظم يخلف من قبله ويسد مسده». واعتبر الإمام أبو البقاء في معناه أيضا خصوص من له سلطة، والذي يفصل بين الخصوم ولو لم يكن قائما مقام الغير، واستدل له بقوله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾.

وعزز هذا المعنى بمراجعة الملائكة في قوله تعالى: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ فقد قال: «والخليفة السلطان، والذي يحكم بين الخصوم، ومن هنا انتقد الملائكة بالإفساد». وقيل: الخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه.(11) فالوصف بالخليفة مذكر فليست هاء لفظه للتأنيث، وجعلها الإمامان ابن الأثير والفيومي للمبالغة. ففي النهاية: «الخليفة من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده، والهاء فيه للمبالغة».(12) وفي المصباح: «والخليفة أصله الخليف بغير هاء، لأنه بمعنى فاعل، والهاء مبالغة، مثال علامة ونسابة»(13) وجعلها شارح القاموس نقلا عن غير واحد تاء النقل. ففي تاج العروس: «وتاؤه للنقل كما صرح به غير واجد»، وفي المصباح أنها للمبالغة، ومثله في النهاية». ويجمع خليفة، إما

11) أبو البقاء : الكليات ت : 176.
12) ابن الأثير : النهاية 1/ 315.
13) الفيومي : المصباح 1/ 82.

باعتبار أنه وصف لمذكر، وإما باعتبار أن اللفظ مؤنث. فعلى اعتبار الوصف، جمعه خلفاء، وفعلاء جمع لفعيل، مثل كرماء جمع لكريم، قال تعالى: ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**﴾(14) ولا يستعمل هذا الجمع الا مذكرا. وعلى اعتبار اللفظ، جمعه خلائف، قال تعالى: ﴿**ثم جلعناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون**﴾.(15)

وتذكير هذا الجمع وتأنيثه لغة فصيحة ففي المصباح: «ويكون وصفا للرجل خاصة، ومنهم من يجمعه باعتبار الأصل فيقول: خلفاء، مثل شريف وشرفاء، وهذا الجمع مذكر، فيقال: ثلاثة خلفاء، ومنهم من يجمع باعتبار اللفظ، فيقول: الخلائف، ويجوز تذكيره وتأنيثه في هذا الجمع فيقال: ثلاثة خلائف وثلاث خلائف «وهما لغتان فصيحتان».(16) وفي النهاية: «وجمعه الخلفاء على معنى التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء، ويجمع على اللفظ خلائف كظريف وظرائف».

وعلى هذا فالخلافة في اللغة: هي النيابة عن الغير على أي حال كانت النيابة، وهذا مفهوم عام». ففي كليات أبي البقاء: والخلافة: النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته وإما لعجزه، وأما لتشريف المستخلف».(17)

14) الأعراف آية : 69.
15) يونس الآية : 4.
16) الفيومي : المصباح 1/82.
17) نفس المرجع في التعليق رقم (1).

وباعتبار هذا المفهوم العام، فالنيابة لتشريف المستخلف تتحقق بكونها خلافة عن الله عز وجل، أو بكونها خلافة عن خصوص رسول اللهﷺ. فالخلافة عن الله مجعولة للإنسان في نطاقه النوعي عند خلق الله إياه، ومجعولة لأنبياء الله ورسله، فهي مجعولة للإنسان على أحد المرادين من خليفة في قول الله تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾**.(18) فقوله سبحانه: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾**، أي جاعل فيها خليفة عني بما أجعل له من السلطان، وأمهد له من سبل الاتقان. ولهذا شاع: الإنسان خليفة الله في أرضه.

وقد استجلى الأستاذ رشيد رضي المراد من استخلاف الله الإنسان في الأرض. ومما جاء في استجلائه قوله: ظهرت آثار الإنسان في هذه الخلافة على الأرض، ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات، وفي البر والبحر والهواء، فهو يتفنن ويبتدع، ويكتشف ويخترع، ويجد ويعمل، حتى غير شكل الأرض، فجعل الحزن سهلا، والماحل خصبا، والخراب عمرانا، والبراري بحارا أو خلجانا، وولد بالتلقيح أزواجا من النبات لم تكن، وقد تصرف في أبناء جنسه من أنواع الحيوان كما يشاء بضروب التربية والتغذية والتوليد، حتى ظهر التغير في حلقتها وخلائقها وأصنافها، فصار منها الكبير والصغير، ومنها الأهلي

18) سورة البقرة الآية : 30.

والوحشي، وهو ينتفع بكل نوع منها ويسخره لخدمته، كما سخر القوى الطبيعية وسائر المخلوقات، أليس من حكمة الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أن جعل الإنسان بهذه المواهب خليفته في الأرض، يقيم سننه، ويظهر عجائب صنعه، وأسرار خليقته وبدائع حكمه، ومنافع أحكامه، وهل وجدت آية على كمال الله تعالى وسعة علمه أظهر من هذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم؟ وإذا كان الإنسان خليفة بهذا المعنى فكيف تعجب الملائكة منه».(19)

وهي مجعولة للأنبياء والمرسلين على أحد المرادين من خليفة في قول الله تعالى في حق سيدنا داود: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾ قال الإمام الألوسي(20) في تفسير قوله تعالى: ﴿**إنا جعلناك خليفة في الأرض**﴾ أي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها، أو جعلناك خليفة عمن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، وهو على الأول مثل فلان خليفة السلطان إذا كان منصوبا من قبله لتنفيذ ما يريده، وعلى الثاني من قبيل هذا الولد خليفة عن أبيه، أي ساد مسده، قائم بما كان يقوم به من غير اعتبار لحياة أو موت وغيرهما.

والأول أظهر والمنة به أعظم، فهو عليه السلام خليفة الله تعالى بالمعنى الذي سمعت. فكل من اصطفاه الله لهداية قومه هو

19) رشيد رضا : المنار 1/260.

20) الألوسي : روح المعاني.

خليفة لله، وانتهت التسمية بخليفة الله إلى رسول الله ﷺ، فهذه التسمية في حقه جامعة لمعناها، كاملة في دلالتها، لأن خلافته لله هي خلافته عليه السلام للناس أجمعين وفي تبليغ شريعته الباقية إلى يوم الدين.

وأما الخلافة عن رسول الله ﷺ، فإنها مختصة بمن تحمل الأمانة بعد رسول الله ﷺ، فكل من ولاه الله أمر هذه الأمة، فهو خليفة لرسول الله ﷺ، ومن كان خليفة للرسول فهو فيما تحمله عنه خليفة لله عز وجل لا ينفذ إلا الأمر الإلاهي له بأن يكون حارسا للدين، ومدبرا لشؤون الأمة على مقتضى ما شرعه رب العالمين، وعلى هذا الاعتبار يكون الأولى أن يضاف الخليفة إلى الله ابتداء، وينسب إليه ترجيحا واصطفاء، وإنما لم يعتمد ما هو أولى في الظاهر ولم يرجح على أنه الأنسب في حق الإله الآمر، وكان المعتمد أن يكون الخليفة من الأمة المحمدية خليفة للرسول ﷺ ونائبا عنه في صيانة الأصول والفروع، لأن الله عز وجل هو الذي دلنا على ذلك، وأقام الشاهد على ما هنالك، فقد أثبت سبحانه محبته لمن يتبع الرسول، ويتلقى منه ما بعثه الله به بالرضى والقبول، فقد قال سبحانه: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾**.(21) وأيضا جعل سبحانه طاعة المومن للرسول طاعة لله، وانقياده له انقيادا لعلاه، لقوله سبحانه: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**.(22)

21) سورة آل عمران الآية : 31.

22) سورة النساء الآية : 80.

وأجدر الناس بحب الله والطاعة له هو من يسر الله له منصب الخلافة فهو بتوفيق الله خليفة لرسول الله، ولا يقال له خليفة الله الا مجازا، قال الإمام الألوسي، قال ابن عطية: ولا يقال خليفة الله تعالى الا لرسوله، وأما الخلفاء فكل واحد منهم خليفة من قبله، وما يجيء في الشعر من تسمية أحدهم خليفة الله فذلك تجوز كما قال قيس الرقيات:

خليفة الله في بريته   جفت بذاك الأقلام والكتب

وقد شاء سبحانه ألا يسمى بالخليفة إلا من ولاه الله الأمر بعده عليه السلام، فلم يسم رسول الله ﷺ بالخليفة أي أحد من الصحابة لا حين استخلف من استخلف منهم على المدينة، ولا حين استخلف من استخلف منهم على الصلاة في غزواته وفي حجته. وأول من سعد بتسميته خليفة رسول الله، سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، روى الإمام أحمد عن أبي بكر بن مليكة قال: قيل لأبي بكر الصديق، يا خليفة الله، قال: «أنا خليفة رسول الله، وأنا راض به» فهذا الإطلاق الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون هو المراد من الخليفة في عرف الشرع، فكلام المحدثين والفقهاء، والمتكلمين على الخلافة، هو كلامهم عليها في حق من ولاه الله أمر حراسة الدين، وتدبير شؤون المسلمين.

فقد عرف الشيخ تقي الدين النبهاني الخلافة بقوله: «الخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين جميعا في الدنيا، لإقامة أحكام الشرع الإسلامي وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم». ففي هذا التعريف تصريح بأمرين:

الأمـر الأول : أن الخليفـة زيـادة على قيامـه بأحكـام الشرع الإسلامي ينقل الدعوة الإسلامية إلى العالم، وهو ما كان يقوم به الخلفاء الراشـدون، وكذا الأئمة العادلـون، وهو ما كان يقـوم به الخلفاء الـراشدون، وكذا الأئمـة العادلون، وتختلف أوجـه القيام باختلاف الظروف والأحوال، ومـا يتطلبه التطور، ويفرضه حفظ العهود وصيانة الحقوق.

وعلى كل حال، فقد ساهـم ملوك المغرب عبر العصور في حفظ الإسلام، ونشر دعـوته التي هي دعـوة للسلام، والتاريخ شـاهد على جهـادهم ونصرهم لـلإســلام والمسلمين، فبفضل جهـادهم استمر وجـود الإسلام في الأندلس قـرابة أربعـة قرون، وبفضل حرصهم على نشر الـدعوة الإسـلامية انتشر الإسـلام في شعوب افريقيا الغـربية، وبفضل مساندتهم الفعـالة خفت وطأة الضغط على الجيوش الإسلامية أثناء الحروب الصليبية.

وبفضل الملوك الشرفـاء العلويين تحررت الثغور المغـربية من الإسبانيين والبرتغاليين وبقيت السيادة المغربيـة مصانة لم تتأثر رغم الحماية الفـرنسية، ناهيكم ببطل الاستقـلال محمد الخامس قدس الله روحه. فما إن ألغى بكفاحه وكفاح ولي عهده آنذاك على رأس الشعب الحمايـة المفـروضـة حتى اهتم بـالـدول العـربيـة والافريقية.

فهو أول من نـادى بتعديل ميثاق الجامعة العـربية، وهو أول من سعى لتأسيس منظمة الوحـدة الافريقية، وحقق أول مؤتمر يعتبر تأسيسيا للمنظمـة في الدار البيضـاء، كل هذا وهـو يكافح

لتحرير الصحراء المغربية الجزء العزيز على المغاربة من أرض الوطن، فارتحل إلى أقصى نقطة من الجزء المحرر، والتقى في محاميد الغزلان بأعيان القبائل الصحراوية وسواهم من ممثلي مختلف الفئات، فجددوا له البيعة ووعدهم بالتحرير.

وواصل هذا السعي المشكور غرة جبين الشرفاء العلويين وواسطة عقد الملوك المقدسين، جلالة الملك الحسن الثاني أدام الله عزه ونصره، فكان في طليعة من أسس منظمة المؤتمر الإسلامي، وإليه أسند المسلمون عن جدارة، رئاسة لجنة تحرير القدس، وهو حفظه الله الذي أكمل تحرير الصحراء، بما أبدعه من المسيرة الخضراء.

الأمر الثاني: المصرح به في تعريف الشيخ تقي الدين النبهاني: أن الخلافة تكون متحققة حين يشرف الخليفة على كافة المسلمين في مختلف الأقطار، لأنه قال في تعريفه: «الخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين جميعا في الدنيا»، وهذا ما اعتمده في كتابه حول الخلافة، فقد تكلم عن وحدة الخلافة وقال، ولا يجوز أن يكون في الدنيا إلا خليفة واحد، واستدل على قوله هذا بأحاديث نبوية، منها ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول اللهﷺ يقول: «ومن بايع إماما فأعطاء صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه، فاضربوا عنق الآخر».

لقد ربط الكثيرون ممن تكلموا على نظام الخلافة في الإسلام بين وحدة الخلافة وبين وحدة الأمة الإسلامية، وأدى بهم الربط

بينهما إلى اعتبار أن وحدة الأمة أمر لا يوجد له احتمال، فأحرى أن يكون ميسور المنال، ويبررون ذلك بأن وحدة المسلمين لا سبيل إليها إلا بوحدة الخلافة التي – كما يقولون – نصت عليها الأحاديث، ثم يذكرون أن للمسلمن دولا تكاملت لها مقومات الدولة، من أرض وسيادة عليها، وجهاز حكم، ونظام اجتماعي، ونظام اقتصادي، وكيان خاص إلى غير ذلك، ثم بعد هذا يتساءلون: كيف تكون وحدة الخلافة مع تعدد الدول؟ وكيف تتحقق وحدة الأمة الإسلامية مع نظام وحدة الخلافة؟

ومن العجيب أن نجد من يصرح بتعذر الجواب عن السؤالين؟، وبأن الأولى السكوت عن الكلام على الخلافة، وأن نجد أيضا من يفصح عن سوء القصد، ويستغل التساؤلين استغلالا سيئا بشكل جعله يطعن في قداسة الحكم في الإسلام، ويعمل على تحويل الأنظار عن الخلافة إلى الأنظمة المستوردة، فاتخذها معولا للتحطيم، يفتح بها باب الفتن ويحمي بها دعاة التفرقة. إن قضية وحدة الأمة الإسلامية وربطها بوحدة الخلافة هي قضية مفتعلة، والأمر يتطلب التعرض لبعض الحقائق:

أولا : إن الأحاديث التي استدل بها الشيخ تقي الدين النبهاني، وكذا غيرها من الأحاديث التي يستدل بها سواه على وجوب وحدة الخلافة، لا تدل دلالة صريحة على ذلك الوجوب، وإنما تدل عليه بالاحتمال الذي لا يعطيها قوة الاحتجاج بها، ومجرد إمعان النظر فيها يوصل إلى هذه الحقيقة، فدلالتها الظاهرة هي أن من خرج على الخليفة المبايع مبايعة شرعية يقتل.

لأن في قتله وحده إخمادا للفتن وحقنا لدماء المسلمين، وليس فيها تعرض لوحدة الخلافة، فهي مسكوت عنها، ومن تتبع كل حديث من الأحاديث التي يستدلون بها أدرك هذه الحقيقة.

ثانيا : لم يرد في أي حديث ولا في أية آية، ذكر لكلمة دولة بمفهومها المتداول، وإنما جاء فيهما كلمة أمة وكلمة جماعة، وكل واحدة من الكلمتين لا ترادف ترادفا تاما كلمة الدولة، فالمفهوم الشرعي لكلمة الأمة لا يمنع من وجودها مع تعدد الدول ولا من وجود الجماعة مع تعددها كذلك، فالمفهوم إذن مختلف، لأن الأمة أو الجماعة توجد حين يكون الاشتراك في الدين واللغة والتقاليد والتراث والمصالح على اختلافها، وهذا الاشتراك نلمس وجوده مع تعدد الدول، فيقال: الأمة الإسلامية، الجماعة الإسلامية، وليس لازما أن يوجد الاشتراك في كل ما ذكر، بل يكفي الاشتراك في البعض.

ثالثا : أكد سبحانه في كتابه العزيز أن هذه الأمة هي أمة واحدة قال عز وجل في سورة الأنبياء: **﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** وقال سبحانه في سورة المومنون: **﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم، وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾**.

فتأكيد وحدة الأمة في الآيتين الشريفتين هو تأكيد لوحدتها في الدين وفي خصوص عبادته وحده عز وجل، وهذه الوحدة كافية بل هي أساس في تحقيق التكافل والتناسق التام بين كافة

المسلمين، وفي إيجاد اتحاد عملي بين سائر دولهم لا يمس بسيادة، وإنما يعطي القوة المادية والمعنوية للأمة الإسلامية ككل، وحمل الأمة ووحدتها في الآيتين على أمة الدين، والوحدة في عبادة رب العالمين هو الذي دل عليه سياق كل من الآيتين، وعليه جرى المفسرون، قال الإمام الألوسي في تفسيره للآية في سورة الأنبياء: ﴿**إن هذه أمتكم**﴾ خطاب للناس قاطبة، والإشارة إلى ملة التوحيد والإسلام، تصور المشار إليه في الذهن، وأشير إليه، والأمة على ما قاله صاحب المطلع، أصلها القوم يجتمعون على دين واحد، ثم اتسع فيها حتى أطلقت على نفس الدين، والأشهر أنها الناس المجتمعون على أمر أو في زمان، وإطلاقها على نفس الدين مجاز، وظاهر كلام الراغب أنه حقيقة أيضا، وهو المراد هنا، وأريد بالجملة الخبرية، الأمر بالمحافظة على تلك الملة، ومراعاة حقوقها. والمعنى أن ملة الإسلام ملتكم، التي يجب أن تحافظوا على حدودها، وتراعوا حقوقها، فافعلوا ذلك.

ثم بعد كلام قال: «ومعنى وحدتها اتفاق الأنبياء عليهم السلام عليها، أي أن هذه أمتكم أمة غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم السلام، بل أجمعوا كلهم عليها، فلم تتبدل في عصر من الأعصار كما تبدلت الفروع».

وقال في تفسيره للآية في سورة المومنون، ﴿**وأن هذه**﴾ أي الملة والشريعة، وأشير إليها بهذه للإشارة إلى كمال ظهور أمرها، في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة، أمتكم أي ملتكم وشريعتكم، والخطاب للرسل عليهم

السلام، وقيل: عـام لهم ولغيرهم، وروي ذلك عن مجاهـد وبعد كلام قال: «قيل: هذه، إشارة إلى الأمم الماضية للرسل، والمعنى أن هـذه جماعتكم جماعـة واحـدة متفقة على الإيمان والتـوحيـد في العبادة».

وإذا كانت وحدة الخلافة لا يدل عليها نص صريح، وليس لها ارتبـاط بوحـدة الأمـة الإسـلامية، فإن الخلافـة الشرعيـة يمكن وجودهـا في دول إسلامية دون أخـرى، إذا توفـرت لها شروطها واستكملت معالمها، وسوف يتبين أن شروطها ومعالمها تكاملت في دولتنا المغربيـة، وتحققت على وجهها الشرعي في الدولـة العلوية الشريفة.

وبنـاء على كل مـا ذكـر، فإنـه لا ضرورة لما ورد في تعـريف الشيخ تقي الدين النبهـاني للخلافـة من أنها للمسلمين جميعا في الدنيا، بل هـي أيضا لبعض المسلمين الذين يكونون دولة إسلامية قـائمة على أسس الـدين الحنيف، فمن حـاول أن يتخذ من عـدم وجود خلافة واحدة لشخص واحـد يحكم كافة المسلمين في دولة إسـلاميـة واحـدة، ذريعـة للحكـم بتعطيل الخلافـة والبيعـة الإسلاميتين، فـإنما يحاول أن يهدم ركن الخلافة، الذي هـو من أقدس أركـان الحكم في الإسلام، وأن يعطل البيعـة التي جاء بها الكتاب العزيـز وطبقها عليه الصلاة والسـلام كما طبقها الخلفاء الراشـدون ومن جاء بعـدهم عبر العصور، فهـدم ركن، وتعطيل آخر، هو إن حسبه البعض هينا، فهو عند الله عظيم، وما اقتضاه الشرع من مدلول الأمة ووحـدتها التي لا تتنافى مع وجود الدول

يقتضيه أيضا ما أحدث من المدلول السياسي لكلمة أمة، فقد عرفها بهذا المفهوم الأستاذ أحمد عطية الله بقوله: «الأمة جماعة من الناس تعيش في بقعة من الأرض أو (إقليم) حياة مستقرة تجمع بينها اعتبارات خاصة كالرغبة المشتركة في العيش معا في نطاق نظام اجتماعي أو سياسي معين، باعتبار هذه الرغبات والآمال المشتركة رابطة روحية ترسي قواعد وحدة هذه الأمة.(23)

وبمقتضى هذا المفهوم عرف العالم العربي بأنه الأمة العربية. وجاءت هذه الكلمة في بعض الدساتير على اعتبار أن مصير الدولة مرتبط بمصير أخواتها من الدول العربية لكونها كيانا واحدا تربطها روابط العقيدة واللغة والتاريخ والآمال، وعلى هذه الأسس وضعت الشروط المعتبرة في انتماء الدولة إلى الجامعة العربية. ونظرا لما ذكر من الحقائق فإنه لا داعي لما جاء في تعريف الشيخ تقي الدين النبهاني للخلافة من أنها تكون متحققة حين يشرف الخليفة على كافة المسلمين في مختلف الأقطار.

وعرف الخلافة صاحب التراتب الإدارية بأنها: «هي الرياسة العظمى والولاية العامة، الجامعة القائمة لحراسة الدين والدنيا»(24) ووصفت في هذا التعريف بالعظمى لكون أية رياسة سواها تدخل في نطاقها، فهي لذلك عامة جامعة تشمل رياسة القضاء والجيش وتدبير الشؤون، وهي جامعة بين حراسة الدين الذي يجعلها مهمة دينية والدنيا التي تجعلها مهمة دنيوية.

23) القاموس السياسي : أحمد عطية الله. ص : 122.
24) الكتاني : التراتيب الإدارية 1/2. الشيخ عبد الحي.

والأولى أن لو كان التعبير عن هذه بما هو أوسع نطاقا من الحراسة كأن يقال: القائمة بحراسة الدين وتدبير شؤون الدنيا، فإن ما كان من الشؤون الدنيوية ثابتا بالنص الصريح فعلى الإمام تدبيره بالسهر على تطبيقه، وما كان غير منصوص أو كان في دلالة النص احتمال، فإن فيه للاجتهاد مجالا، والاجتهاد هو حق من حقوق كل واحد من الأكفاء بمن فيهم الخليفة، ونتيجة الاجتهاد الصحيح هي حكم شرعي في حق المجتهد وحق من يقلده، لكن نتيجة الاجتهاد التي يعتمدها الخليفة - سواء اعتمدها باجتهاده أو باجتهاد غيره - هي التي تطبق على الجميع ويجب على الجميع الوقوف عندها، فالمفروض حينئذ هو ترك العمل باجتهاد الغير، لا ترك اجتهاد الغير، بمعنى أن المجتهدين لا يمنعون من تبيين نتيجة اجتهادهم وإنما يمنعون من العمل بها ما دام الخليفة يعتمد غيرها، لهذا كان الأولى أن يقال في التعريف: «وتدبير الشؤون الدنيوية». والخلافة توافقها فيما تصدق عليه الإمامة، فالكلمتان متطابقتان في الماصدق، ومختلفتان في المفهوم.

وباعتبار الصدق عرف المتكلمون الخلافة بخصوص التسمية بالإمامة، ومن تعريفاتهم لها تعريفان ذكرهما الإمام العضد، قال في أحدهما نقلا عن قوم من أهل السنة: «الإمامة هي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص». وبمقتضى هذا التعريف تكون الإمامة منوطة بشخص واحد، فالتسيير الذي يكون في فترة اختيار الإمام لا يشمله مفهوم الإمامة. وانتقد الإمام العضد هذا التعريف بأنه غير مانع، لشموله النبوة. وعرفها

تعريفا آخر ذكر أنه الأولى وهو: «الإمامة هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه(25) على كافة الأمة».(26)

وعرفها الإمام الماوردي بأنها: «موضوعة لخلافة النبوة لحراسة الدين وسياسة الدنيا».(27)

وبهذه التعاريف يتبين أن الخلافة الشرعية هي من خصائص الأمة المحمدية، وقبلها كانت تثبت لنبي بعد هلاك نبي، وثبوتها بالوحي لا على أنها لتدبير الشؤون الدنيوية، وإنما كانت لإرشاد قوم النبي إلى عبادة الله سبحانه. وقد ذكرها رسول الله ﷺ بقوله: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي... الحديث. وتسمى الخلافة أيضا إمامة. وقد وردت الأحاديث الصحيحة بهاتين الكلمتين.

فمن ولاه الله الأمر يسمى إماما ويسمى خليفة ويسمى أمير المومنين كما يسمى ملكا.

فهو إمام باعتبار أن إمامة الصلاة وخطبة الجمعة في عهد رسول الله ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين لازمتان له ومنوطتان به، لا يقوم بهما سواه، ولا يؤديهما غيره إلا بطريق النيابة عنه والترخيص من قبله.

25) ضمير الغائب في قوله (اتباعه) عائد على الإمام المفهوم من الإمامة.
26) هو الإمام العضد : المواقف 2/.
27) الماوردي : الأحكام السلطانية.

وهو خليفة باعتبار أنه يخلفه عليه السلام في حفظ الدين وتطبيق تعاليمه بين المسلمين، ففي عهده عليه السلام لم يكن اعتناق الإسلام يتطلب البيعة، وإنما هو قائم على التصديق القلبي المعزز بالشهادتين، وهذا الجانب يؤديه الشخص مع نفسه فيما بينه وبين ربه، أو بواسطة من يرشده إليه ويدله عليه، أما بيعته عليه السلام فقد كانت تاتي بعد مرحلة الإيمان لتعزيزه بالعمل الظاهري والباطني، ومن أجل حفظ هذا الجانب كان الخليفة خليفة رسول الله.

وهو أمير المومنين باعتبار أن إضافة الوصف بالخليفة بحسب تسلسل الخلفاء هو مستثقل قبل تكاثرهم، ومتعذر بعد مرور العصور، فقد اتفق الصحابة رضوان الله عليهم على أن يسموا الخليفة الثاني لرسول اللهﷺ وهو سيدنا عمر بأمير المومنين، وذلك أن سيدنا أبا بكر لما بويع كانوا يسمونه خليفة رسول الله، فلما بويع سيدنا عمر كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله، فاستثقلوا ذلك، فاتفق أن دعا بعض الصحابة عمر بن الخطاب بأمير المومنين فيما كتبه إليه أبو موسى الأشعري وفيما خاطبه مشافهة سيدنا عدي بن حاتم الطائي أو المغيرة بن شعبة أو عمرو بن العاص أو غيرهم، فاستحسنه الناس واستصوبوه.

قال الإمام الألوسي: وقالت الصحابة لأبي بكر «خليفة رسول الله، وبذلك كان يدعى إلى أن توفي، فلما ولي عمر قالوا: خليفة خليفة رسول الله، فعدل عنه اختصارا إلى أمير المومنين».(28)

28) الإمام الألوسي : روح المعاني.

وهذا الاسم هو الذي غلب على من ولاه اللـه أمر المسلمين بالبيعة الشرعية.

وفي مقـدمــة ابن خلـدون: «إن اللقب بـأمير المومنين شعـار الخلافة، وإنه حدث منذ عهد الخلفاء(29). وقد عرف هذا الاسم في عهـده عليه السـلام، فهـو عليه السـلام سمى بـه عبد اللـه ابن جحش حين بعثه في سريـة أميرا عليها، ولما وجه سيدنـا أبو بكر جيش أسامة إلى الشام نادى كبار الصحـابة الذين كانوا من بين الجيش أميرهم سيدنا أسامة بأمير المومنين.

وذكر الإمام السيـوطي أنه روي أن سيدنـا عمر كان إذا رأى سيدنـا أسامة قال لـه: السلام عليك يا أمير المومنين، فيقـول له: غفر الله لك يا أمير المومنين، تقول لي هـذا، فيقول سيدنا عمر: لا أزال أدعوك الأمير ما عشت، مـات رسول اللهﷺ وأنت علي أمير، قال صـاحب التراتيب الإدارية: قلت: وقع في الأسئلة التي قـدمها الشيخ تاج الدين السبكي للصلاح الصفدي:

من عـــد من أمـــراء المومنين ولم
يحكم على النـاس من بـدو ومن حضر
ولم يكن قـــرشيـــا حين عـــد، ولا
يجوز أن يتـــولى إمـــرة البشر

ومن جواب الحافظ السيوطي على الأسئلة:

ثـــم المسمـــى أمير المومنين ولم
يحكم على النـاس من بـدو ومن حضر

29) مقدمة ابن خلدون.

أســـــامــــــة حين ولاه النبـي على
سريـــــة لقبــــوه ذاك في السفــــــر

وهو أيضــا ملك، باعتبار أن الاسم مقتبس من كتاب اللــه عز وجل، فقـد امتن الله على آل سيـدنـا إبراهيـم بأن آتاهم الكتـاب والحكمـة، وآتـاهم الملك العظيم، قال سبحــانــه: **﴿فقد آتينـا آل إبـراهيم الكتاب والحكمـة وآتيناهم ملكـا عظيما﴾**. وهــو من جملة النعم التي ذكـر سيدنـا موسى بها قومـه. قال سبحــانه: **﴿وإذ قال مـوسى لقومه يـا قوم اذكروا نعمـة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا﴾**. وامتن الله بالملك على سيدنا داود. قال سبحانه: **﴿وشددنا ملكه﴾**. وطلبه سيدنا سليمان من ربه قال عز وجل: **﴿قـال رب اغفر لي وهب لي ملكـا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾**.

فالمستفـاد من دعاء سيـدنا سليمان أن التسميـة بالملك تغلب على الشخص الذي ولاه الله الأمر ونعمه بما ادخره له من الأرزاق المالية والـرفاهية الماديـة والخيرات الدنيـوية، ويتقوى هـذا الذي استفيد من دعاء سيدنـا سليمان بما حكاه الله من الخوارق التي حققت له الـرفاهية الماديـة، فهو سبحانـه يقول: **﴿فسخرنا له الريح تجري بأمـره رخاء حيث أصاب، والشيـاطين كل بناء وغواص، وآخريـن مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنـا فامنن أو أمسك بغير حســاب﴾**. فتسخير الـريح والشيـاطين هو عطـاء رباني خص الله بـه سيدنا سليمان، لم يرد سبحـانه أن يسخره لأحد سواه.

وعلى هذا فالجانب المادي في الملك إذا كان معززا بالإخلاص في عبادة الله وشكره على النعم فلا ضير فيه، بل يؤدي إلى رضى الله عز وجل.

وقد وردت أحاديث وآثار في فضل الغنى المؤدي إلى الشكر: منها ما خرج الإمام ابن عبد البر في جامع العلم عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال، قال رسول اللهﷺ: «من رزق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له، وأقام الصلاة وآتى الزكاة مات والله عنه راض». وما روي أن سيدنا عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لو كان لي أحد ذهبا أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك وما خشيت أن يضرني». وما روي عن سعيد ابن المسيب قال: «لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه ويصل رحمه ويكف به وجهه». وما أخرجه الديلمي عن سيدنا جابر رفعه: نعم العون على تقوى الله المال». فالملك بالمفهوم الإسلامي مباين لما هو المعهود في النظام الغربي، فهو في هذا المفهوم قائم على أساس ما تشبع به الغربيون دهورا عديدة من نظرية التفويض الإلهي الخارج عن إرادة البشر، فليس للشعب يد في اختياره ولا لهم أي حق في انتدابه. أما الملك في المفهوم الإسلامي فهو صادق على ما تصدق عليه الإمامة والخلافة.

وقد أجمع الأئمة على أن نصب الخليفة من واجبات الإسلام وفرائضه التي يؤدي تركها إلى الوقوع في الآثام، وهذا الوجوب هو عند الامامية من الأحكام الاعتقادية التي تثبت بالعقل، فهم

يذكرون أن نصب الخليفة هو من اللطف الواجب عليه سبحانه، وما أدى إلى هذا الواجب فهو واجب.

وذهب كافة أهل السنة من محدثين ومتكلمين وأصوليين وفقهاء إلى أن الله لا يجب عليه شيء، وإلى أن الخلافة من فروع الشريعة، وليست من أصول الدين الاعتقادية، فهي من المسائل الشرعية التي تعاضد عليها النقل والعقل. والقاعدة أن ما تعاضد عليه النقل والعقل يكون الاعتبار التأسيسي فيه للشرع، والاعتبار التأكيدي للعقل. قال الإمام الماوردي، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، واختلف في وجوبها هل وجب بالعقل أو بالشرع، فقالت طائفة: وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم، ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم، ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين وهمجا مضاعين. وقالت طائفة أخرى: بل وجبت بالشرع دون العقل، لأن الإمام يقوم بأمور شرعية، قد كان مجوزا في العقل أن لا يرد التعبد بها، فلم يكن العقل موجبا لها، وإنما أوجب العقل أن يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن التظالم والتقاطع، ويأخذ بمقتضى العدل في التناصف والتواصل، فيتدبر بعقله لا بعقل غيره، ولكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلى الولاة. قال الله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**. ففرض علينا طاعة أولي الأمر فينا، وهم الأئمة المتأمرون علينا.

وروى هشام ابن عروة عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: «سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره، ويليكم

الفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم».(30)

ومن بين الأحاديث التي يستفاد منها وجوب نصب الخليفة ما رواه الإمام مسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول اللهﷺ: «إنما الإمام جنة يقاتل من وراءه ويتقى به...» فوصفه عليه السلام الإمام في هذا الحديث بأنه جنة هو إخبار تستفاد منه مزية وجوده، وهذا الشكل من الأخبار يعتبره الأصوليون من صيغ الطلب، فهم يذكرون أن الإخبار من الله سبحانه ومن رسوله عليه السلام إن كان يتطلب مدحا فهو طلب فعل، والفعل إن كانت تترتب على وجوده مصلحة شرعية، وفائدة بشرية فهو مطلوب على الوجوب.

وعلى هذا فالإمام الذي جعله رسول اللهﷺ جنة يتقى به هو مما أمر الله بتحقيقه على سبيل الوجوب، ويتعزز وجوب نصب الإمام بإجماع الصحابة عليه، وعلى المبادرة إليه، فهم قد أجمعوا على تأخير دفن رسول اللهﷺ لاشتغال طائفة منهم بتنصيب الخليفة واشتغال طائفة أخرى بتجهيزه عليه السلام، والذين اشتغلوا بتجهيزه وافقوا على ما اشتغلت به الطائفة الأخرى مع قدرتهم على الإنكار، فكان - لذلك - الإجماع منهم على تنصيب الإمام شاملا.

ومن الشواهد العقلية التي تؤكد الدليل الشرعي على وجوب نصب الإمام أن في تنصيبه دفعا لضرر مظنون، ودفع الضرر

30) الماوردي : الأحكام السلطانية ص :

واجب على العباد. وقد بين الإمام العضد وجه ذلك فقال ممزوجا بشارحه: «إن فيه – أي في نصب الإمام – دفع ضرر مظنون، وإنه – أي دفع الضرر – المظنون واجب على العباد إذا قدروا عليه إجماعا.

بيانه (أي بيان أن في نصب الإمام دفع ذلك الضرر) أننا نعلم علما يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود وإظهار شعار الشرع في الأعياد والجمعات إنما هو لصالح الخلق معاشا ومعادا، وذلك المقصود لا يتحقق إلا بإمام يكون من قبل الشرع يرجعون إليه فيما يعن لهم، فإنه مع اختلاف الأهواء وتشتت الآراء وما بينهم من الشحناء قلما ينقاد بعضهم لبعض، يفضي ذلك إلى التنازع والتواثب، وربما أدى إلى هلاكهم جميعا، وذلك يؤدي إلى رفع الدين وهلاك جميع المسلمين.

ففي نصب الإمام دفع مضرة لا يتصور أعظم منها، بل نقول: نصب الإمام من أتم مصالح المسلمين وأعظم مقاصد الدين، فحكمه الإيجاب السمعي.(31) وهذا الإيجاب هو على الكفاية يظهر بقول الإمام الماوردي. فإذا ثبت وجوب الإمامة ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم، فإذا قام بها من هو أهلها سقط فرضها عن الكافة، وإن لم يقم بها أحد خرج من الناس فريقان أحدهما أهل الاختيار حتى يختاروا إماما للأمة، والثاني أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهم للإمامة.(32)

31) العضد : المواقف 2/464.

32) الأحكام السلطانية : للماوردي.

وإذا كانـت الخلافة من واجبـات الإسلام، فإن وجـودها على أصل شرعي قد بقيت حلقاته متواصلـة في الدولة المغربية لم يكن لها فيها انقطاع ولم يحصل لها تأثر بأي صراع، فكيف تحقق لها ذلك؟

ثالثا : احتفاظ المغرب بالخلافة

من النصوص التاريخيـة يتبين أن الخلافة التي تحققت بدون تعد على الغير لانتزاعهـا منه هي التي تحققت في الديـار المغربية. ومن تتبع النصـوص التاريخيـة يلمس هذا الـواقع ويدرك هـذه الحقيقة الثابتـة، ولا يتسع المجال لتتبعها، فأحـرى استقصاؤها، ونكتفي في هذه العجالة باليسير منها. فقد روى الإمام الطبري في تاريخه قال: «قال أبو سفيـان لعلي: ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش، والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا، فقال علي: يا أبا سفيان، طالما عـاديت الإسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئا، إنا وجدنا أبا بكر أهلا لها».

وفي رواية أخرى له أن أبا سفيـان قال: يا أبا الحسن، أبسـط يـدك حتـى أبـايعك، فأبى علي عليـــه، فجعل يتمثـــل بشعـــر المتلمـس :

ولا يقيم على خسـف يـــراد بـــــه
إلا الاذلان عير الحي والـــــوتـــــد
هـذا على الخسـف معكـوف بـــرمتـه
وذا يشج فـــلا يــرثـي لـــه أحـــد

قال فزجره علي وقال : «إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طلما بغيت بالإسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك».

فأبو سفيان كان يحاول أن يصرف البيعة عن سيدنا أبي بكر ليجعلها بحسب الظاهر لسيدنا علي.

ومن الإمعان في هذين النصين يتبين أن أبا سفيان أراد أن يعترض على خلافة أبي بكر دون أن يستند إلى حجج شرعية وأسباب دينية، وإنما هو اعتزاز بالقبيلة وتمسك بالعصبية ورجوع بالتفضيل القبلي إلى عهد الجاهلية، لأنه اعتبر التميميين أدنى من الأمويين والهاشميين، فمبايعة المنتمي إلى التميميين أدنى من الأمويين والهاشميين، فمبايعة المنتمي إلى التميميين هو إقامة عنده على الخسف، ورضا بالهوان، وفي قوله: «والله لأملأنها عليه خيلا ورجالا» إشعار بأن نزعة البطش لم تزل تراوده. أما سيدنا علي فقد ذكره بأنه لا يزال حديث عهد بالإسلام، وأن مقاومته له قبل اعتناقه إياه لم تجده شيئا، وأوضح له أن الخلافة تمت لسيدنا أبي بكر بالطرق الشرعية فلا سبيل إلى الاعتراض عليها ولا إلى الخروج عنها، وربما كان طلب أبي سفيان أن يبايع سيدنا عليا، ناشئا عن يقينه بأن الدعوة لنفسه أو لبني أمية لا يمكن أن تجد الأذن الصاغية ولا الرأي المطاع، وهذه الرغبة انعكست على ابنه سيدنا معاوية، فاتخذ قميص سيدنا عثمان ذريعة لتحويل الخلافة الشرعية عن سيدنا علي الذي انعقدت له على أساسها الشرعي لينتزعها منه بالقوة وينحيه عنها بالقتال

والمغالبـة، وبذلك بقي الحق الأساسي في الخلافة لسيـدنا علي، ثم لذريته.

ومن بين النصـوص مـا رواه ابـن سعـد في الطبقـات من أن سيدنا العباس قال لابن أخيه سيـدنا علي في مرضه عليه السلام: «إني والله لأرى أن رسـول الله ﷺ سيلقي ربـه، فاذهـب بنا إلى رسول الله ﷺ، فلنسأله فيمن هذا الأمـر من بعده، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كـان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا». فقـال سيدنا علي: «والله لئن سـألناها رسـول الله ﷺ فمنعنـاها لا يعطينـاها الناس أبدا، فوالله لا نسأله أبدا».

وروى ابن سعـد أيضـا أنـه لما قبض النبي ﷺ قـال سيـدنـا العبـاس لسيدنـا علي: أبسط يدك أبـايعك تبايعك النـاس، فقبض سيدنا علي يده». وروى أيضا عن سيدنا زيد بن أسلم قال: «جاء العباس إلى النبي ﷺ في وجعـه الذي توفي منـه، فقال علي بن أبي طالب: ما تـريد؟ فقال العباس: أريـد أن أسأل رسول الله ﷺ أن يستخلف منا خليفـة، فقال سيدنا علي: لا تفعل. قـال: ولم؟ قال: أخشى أن يقـول لا. فإذا ابتغينا ذلك من النـاس قالوا: أليـس قد أبى رسول الله ﷺ.

فهـذه النصوص دالـة على أن سيدنـا العباس حـرص على أن تكون الخلافة لبني هاشم، فعمل على تحقيق رغبته في حياته عليه السـلام، وكذا بعـد انتقالـه إلى الرفيق الأعلى، وكـان سيدنـا علي يصرفـه عن مراده، لأنـه كان يعلم أنـه عليه السـلام لا يمكن أن يسكت عن أمر شرعـه الله، فهو مبلـغ للوحي في كل حالـة يكون

عليها، لا يمنعه عن التبليغ مرض أو غيره، فما دام عليه السلام قد سكت عن الخلافة، فإن الأمر فيها مجعول حسب ما صدر عنهﷺ من إشارات أو دل عليه تصرف من أمارات، فلما رأى سيدنا علي أنه عليه السلام أمر أبا بكر ليصلي بالناس، أدرك أن الأمر هو لأبي بكر، فانصاع لمبايعته، كما وافق على ولاية العهد لسيدنا عمر، وعلى أن يكون من الذين جعلهم سيدنا عمر أهل الشورى لتعيين الخليفة منهم، وأدى التشاور إلى مبايعة سيدنا عثمان. ثم آلت الخلافة إلى سيدنا علي بتنصيب الكافة له، ومبايعتهم إياه عن طواعية، فتنصيبه خليفة كان على الأساس الشرعي والمنهج القويم، لكن معاوية بعد أن تحققت البيعة له، اتخذ ذريعة مفتعلة أدت إلى استشهاد علي كرم الله وجهه، من جهة إلى انتزاع الخلافة منه بالقوة، وتحويلها - كما كان أبوه يتمنى - إلى بني أمية. وموقف سيدنا الحسن إنما فرضه حقن الدماء، فهو لذلك اضطراري لا طوعي.

ولما رأى العباسيون أن آل البيت من أبناء سيدنا علي قد بدأ كفاحهم يعطي نتيجته، ويؤدي لا محالة إلى أن يعود لهم حقهم في الخلافة سلكوا مسلك الحيلة، وأعلنوا أنهم يدعون للرضى من آل البيت، وهم في الحقيقة يدعون لأنفسهم، ومع ذلك تمت البيعة في المدينة المنورة لمحمد النفس الزكية، وكان أبو جعفر المنصور من بين المبايعين، ثم عاد فنقض البيعة، وقتل صاحب الحق الذي كان قد سلم الأمر إلى أخيه المولى إدريس بن عبد الله، وتفاصيل هذه البيعة التي أيدها الأئمة المجتهدون وتحملوا من أجلها

التعذيب والتنكيل، قد استعرضتها في البحث الذي قدمته في الندوة الأولى للبيعة، فحمل المولى إدريس بن عبد الله أمانة الخلافة الشرعية وهاجر بها إلى الديار المغربية، فكانت هجرة الفتح المبين، والنصر المكين.

فقد استقبل المغاربة حفيد الرسولﷺ استقبالا مستمدا من استقبال الأنصار ومتوافقا مع طبيعة الأحرار، ووجدت هذه الخلافة من المغاربة حسن التقبل وتمام التفهم، وهم وجدوا في ظلها الأمان، وتمتعوا في حماها بغاية الاطمئنان.

كيف لا وهي وحدها التي قامت – بعد عهد الخلفاء الراشدين – على عدم الاستبداد والقهر، ومن غير خداع ولا مكر، فما كانت بيعة المغاربة للإمام إدريس إلا على أساس المحافظة على عهد الخلافة، وعلى الطاعة له ولكل من يوليه الله أمرها ويلقي إليه زمامها، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، إذ لم تستطع أية خلافة أن تتخطى عتبة المغرب، فكلها زالت، وبقيت وستبقى الخلافة في المغرب ثابتة الأركان، متينة البنيان، والدول التي قامت بعد زوال الاستعمار في الشرق هي دول حديثة العهد، لم يتيسر لها من الوجود والاستمرار والصلة بالخلافة الشرعية ما تيسر للدولة العلوية الشريفة، لذلك بقيت دولتهم تحمل عن جدارة، شعار الخلافة، الذي هو إمارة المومنين.

فبفضل ملوك هذه الدولة استمرت للمغاربة سيادتهم وحفظت لهم كرامتهم، فعهد الخلافة عند المغاربة من أقدم العهود، وأجل المواثيق، إذا حاول أحد أن يزيغ عن الطريق،

أجمعوا على مقاومته، وأوقفوه عند حده، لأنه محارب، والمحارب ناكث لأقدس العهود، ومتعد إلى أبعد الحدود، فالله عز وجل سمى ناكث العهد فاسقا قال تعالى: **﴿وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾**.

والمغاربة الذين سعدوا بالعيش في ظل الإمامة، هم الذين يعيشون تحت سماء المغرب من طنجة إلى الكويرة، فكلهم في هذه الديار شعب لا يتجزأ، شملتهم جميعهم عناية الله، ورعاية من ولاه الله أمرهم، أمير المومنين جلالة الحسن الثاني نصره الله. فبفضله حفظه الله تبددت عن الصحراء الأطماع، وخاب كل من تسبب في الصراع، فكل مغربي أينما وجد، معتز ببيعته، ومفتخر بمنهجها الرشيد. فما هو إذن منهج البيعة.

رابعا : منهج البيعة.

جعل الله الإمام مرتبطا بالمبايعين له أقدس ارتباط، فهو راعيهم الأمين، والمهتم بشؤونهم في كل حين، فكما فرض الله عليه الرعاية، فرض على المبايعين له واجب الطاعة. وتمهيدا لمعرفة منهج البيعة، أذكر أن للأفعال حكما، وعلة له، ومناط الحكم، ويتعلق به تحقيق المناط.

فالحكم هو ما يقتضي طلب الفعل أو الترك أو التخيير بينهما.

والعلة هي كما عرفها الإمام الغزالي : «وصف أضاف الشارع الحكم إليه، وناطه به ونصبه علامة عليه».

ومناط الحكم هو الشيء نفسه أي الموضوع الذي تعلق به الحكم أو المسألة التي نيط بها الحكم. وتحقيق المناط، هو البحث في الموضوع الذي تعلق به الحكم، ليتبين وينكشف، فمثلا يقول الله عز وجل: ﴿**حرمت عليكم الميتة**﴾، فالفعل الذي هو أكل الميتة حرمه الله، وهذا حكم، والعلة التي من أجلها حرم الله الأكل هي علة الحكم، والأكل مرتبط بالميتة، فالميتة هي مناط الحكم وموضوعه، والبحث فيها هو تحقيق مناط الحكم. وتحقيق المناط لا يحتاج فيه إلى نقول شرعية ولا إلى دراية باللغة العربية، بل لا يشترط أن يكون من يحقق المناط مسلما، لأن هذا الاجتهاد إنما هو لتوضيح الشيء وتمييزه والعلم به.

أما الاجتهاد المؤدي إلى معرفة علة الحكم، فلابد فيه من الاعتماد على النقول الشرعية، ومن الاستناد إلى الأدلة السمعية. قال الإمام الشاطبي: «قد يتعلق الاجتهاد بتحقيق المناط فلا يفتقر في ذلك إلى العلم بمقاصد الشارع، كما أنه لا يفتقر فيه إلى معرفة علم العربية، لأن المقصود من هذا الاجتهاد إنما هو العلم بالموضوع على ما هو عليه، وإنما يفتقر فيه إلى العلم بما لا يعرف ذلك الموضوع إلا به، من حيث قصدت المعرفة به. فلابد أن يكون المجتهد عارفا ومجتهدا من تلك الجهة التي ينظر فيها، ليتنزل الحكم الشرعي على وفق ذلك المقتضى».

وعلى هذا فتقديم البيعة للخليفة هو حكم شرعي لابد فيه من الاعتماد على النقل والدليل السمعي، وقد سبق أن أوردت نص

الإمام الماوردي ونص الإمام العضد اللذين فيهما التصريح بالإجماع على وجوب تنصيب الإمام. أما المبايعون الذين يتم بهم نصب الخليفة، والأمر الذي يتحقق به اختيارهم له فهو مناط الحكم وموضوعه، والبحث من أجل تمييز المبايعين وتحديد الأمر الذي به يتحقق اختيارهم للخليفة هو تحقيق المناط، وهذا البحث لا يحتاج فيه إلى الاستناد على النصوص الشرعية. فالمهم هو وجود الوسائل التي بها يتميز المبايع ويتخذ له منهج تحقيق المبايعة ليحصل بها الحكم الشرعي.

للمغاربة منهج سليم وأسلوب متميز في تنصيبهم للإمام.

ذلك أن عقد البيعة لكل ملك من ملوك الدولة العلوية الشريفة، يكتب في وثيقة يحملها أهل الحل والعقد ليسلموها لسدته، ويشهدوا بين يدي جلالته، أنهم ومن يمثلونهم ينقادون لحكمه ويطيعون أمره، وهذه البيعة، يؤكدها المغاربة بواسطة العمال وممثلي الأقاليم كل سنة عند حلول ذكرى جلوس الملك على عرش أسلافه المنعمين.

وبمقتضى هذه البيعة يطوق المغاربة كافة أمانة الوفاء بعهدها، لايستثنى منهم فرد ولا جماعة في جميع أنحاء المملكة الشريفة، حتى المناطق التي قدر لها أن تقع تحت نير الاستعمار ما كانت تخلع عنها هذا الطوق.

فمنطقة الصحراء المغربية التي كانت محتلة من طرف الاستعمار الإسباني، كان أهلها يدينون بالولاء لملوك الدولة العلوية الشريفة، ويأتون لتجديد بيعتهم لهم في كل مناسبة،

أضف إلى هذا أن مواكب الحجيج كانت تغتنم فرصة المرور بعاصمة المملكة بتجديد البيعة، وتقديم فروض الطاعة والولاء. فصلة أبناء الصحراء بملوك الدولة العلوية الشريفة كانت وطيدة، تدل لها ما تناقلته الكتب من نصوص تؤكد ذلك. منها ما ذكره العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط عند ترجمته للعلامة لمجيدري بن حبيب الله قال: «واتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله ونال الحظوة عنده».(33)

وقد حفظت لنا أشعار أهل الصحراء الصلة الوطيدة بين أبناء هذه المنطقة وملوكهم الأماجد.

من ذلك ما قاله الشاعر «محمد بن سيدي محمد العلوي»(34) وقد قدم على السلطان مولاي عبد الرحمن وهو في طريقه إلى الحج مخاطبا إياه :

تعاظمنا هول الطريق ومنكم
عظام اللهى نعتاد دفع العظائم
وثقنا بري حين أمت ظماؤنا
موارد طامي بحرك المتلاطم

ومنها :

أمولاي لازالت مدى الدهر منكم
حصون المعالي عاليات المعالم

33) أحمد بن الأمين الشنقيطي / الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص 215.

34) نفس المرجع ص 53.

ولا بـــــــــرح التقبيل شغـل أكفكـم
وأقـــــــدامكـم تحذى أديم الجماجـم
فأصبح ثغـر الأرض سوقـا وأصبحت
مـآسـدهـا مـرعى المخـاض السـواهم
حماهـــا حماه اللـــه أن تستبيحهـــا
من أعـدائهـــا دهم الـدواهي الـدواهم
وبشرنـــا أن سـوف تـــاتي ركـابنـــا
أبـــا فـــاطم إنـــا أتينـــا ابن فـــاطم
على جـــــده في كل بـــــدء ومختـم
مبـــادي صـــلاة مـــالها مـن مخاتم

ومـا كان أهـل الصحراء إلا أبنـاء أبـرارا لهذا الوطـن العزيـز يعتزون بمغربيتهم ويفتخرون بنسبتهم إليه وتبعيتهم في الحكم له.

إن الالتزام بالارتباط بالإمام أمر واجب، وهو شرع الله قبل أن يكون شرعا بشريا، فلا يمكن بحال أن يتخذ الشخص أو أن تتخذ الجماعة أو أن يتخذ سكان أية ناحية ذريعة للإخلال بعهد البيعة، والتطبيق الفعلي للوفاء بهذا العهد هو الطـاعة. فقد تجلى نموذجها الأسمى في جعله سبحانه طاعة رسوله طاعة له عز وجل، بقوله: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ وجعل هذه الطاعة المقدسة متسعـة النطاق في ربطهـا بأولي الأمر في قـوله تعـالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.

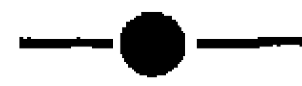
لذلـك كانت منطقـة الصحراء المغـربية منطقـة مغربيـة، وكان أهلهـا منذ تحملهم مع إخـوانهم المغـاربة عهـد الخلافة الشرعيـة

ملـزمين بـالاستمـرار على روابط البيعــة لأمــير المومنين، وعلى الطاعة له.

فليتق اللـه من يدين بـالإسلام، ثم يـدعو إلى منـاصرة نقض عهـود الإسـلام، إنـه لظلم عظيم: ﴿**وسيعلم الذيـن ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾ وأي داع للفتنة والتفـرقة فإنما مـآله الهلاك. قال سبحانه: ﴿**فليحذر الذين يخالفـون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾.

أبقى الله أمير المومنين جـلالة الحسن الثـاني راعيا للمغـاربة قاطبـة، وحفظه في ولي عهده صـاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه صـاحب السمو الملكي الأمير المجيد مولاي رشيد وسائر الأمراء الأمجاد.

الأستاذ محمد بن حماد الصقلي





- البحث الخامس -

البيعة، ومسلمات العقيدة

لفضيلة الأستاذ إبراهيم ابن الصديق

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

ـ البحث الخامس ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البيعة ومسلمات العقيدة

لفضيلة الأستاذ إبراهيم ابن الصديق

أجمعت الأمة الإسلامية - إلا من لا يعتد بخلافه - على أن الإسلام دين ودولة، ورغم اختلاف التعبير عن هذا الأصل المجمع عليه، بحسب الزمان وتطور اللغة وتعدد الاصطلاحات، فالمؤدى في كل ذلك واحد.

ومقصد الشرع من إقامة دولة الإسلام، هو تمكين المسلمين من القيام بشعائر دينهم، وتنفيذ أحكامه في دولتهم باستقرار أوضاعهم الحياتية من جهة اطمئنانهم على أرواحهم، وأموالهم، وأعراضهم، وسيادة العدل والمساواة والإخاء في مجتمعهم، وجمع شملهم، ورعاية مصالحهم، والدفاع عن حوزتهم، إلى ما يشمله هذا المقصد الشرعي الهام من فروع وجزئيات.

ومعلوم أنه لا يمكن تحقيق هذا المقصد إلا في ظل إمام تسلم إليه الأمة مقاليد أمورها، وتعقد معه صفقة على تنفيذ متطلباته، تعرف في لسان الشرع باسم البيعة.

ولكي يتمكن الإمام من الاضطلاع بمهمته كاملة، فرض الله طاعته في المنشط والمكره، وإجابة ندائه، والجود بالنفس والمال عند

استصراخه، وتنفيذ أوامره، كما قال ابن حزم في كتابه «مراتب الإجماع» الذي حكى فيه ما اتفق عليه المسلمون ص: 126: «واتفقوا أن الإمام الواجب إمامته، فإن طاعته في كل ما أمر – ما لم يكن معصية – فرض، والقتال دونه فرض، وخدمته فيما أمر به واجبة، وأحكامه وأحكام من ولى نافذة، وعزله من عزل نافذ».

وكذلك أوجب النصح له بكل ما تتضمنه كلمة النصح من معان. كما في حديث تميم الداري المشهور: الدين النصيحة. وقد نقل العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص: 104» عن صديق حسن خان القنوجي قوله: «والأحاديث الواردة في مطلق النصيحة متواترة، وأحق الناس بها الأئمة».

وحرم نقض بيعته أو شق عصا الطاعة عليه، أو التشويش على مهمته، واعتبر محاول ذلك، مبتغياً للفتنة بين المسلمين، مزعزعاً لاستقرارهم، ومفرقاً لجماعتهم، عاملاً على تسرب العدو إلى ساحتهم، وتقويض أركان دولتهم. فكان عقابه في الدنيا هو القتل، وفي الأخرى هو العذاب الأليم. كما هو مقرر شرعاً، مما سيأتي بعضه.

تعد الحقائق السابقة من البدهيات المعلومة من دين الإسلام بالضرورة، لأنها ثابتة بالأدلة القطعية وقد حوتها أصغر كتب التوحيد التي تقتصر على مهمات العقيدة الضرورية. الواجب على المسلم الإيمان بها. وقد قال العلامة سعد الدين التفتزاني عما تضمنته مختصرات التوحيد: «... وبراهينه الحجج القطيعة المؤيد

أكثرها بالأدلة السمعية». ووجهوا إضافة بحوث الإمامة والبيعة والطاعة إلى بحوث العقيدة مع أنها من الفروع الفقهية، بتوجيهات معقولة وسديدة نقتصر منها الآن على ما قاله العلامة الكستلي في «حاشيته على شرح العقائد النسفية» ص: 187 حيث قال:

«والإمامة جعلها من مقاصد علم الكلام، وإن كانت هي أيضا من الفروع عندنا، بناء على أن نصب الإمام من الأفعال الواجبة علينا، لما أن السلف ألحقوا مباحثها بأواخر الكتب الكلامية بناء على أنه قدشاع بسببها خرافات من أهل البدع والأهواء في حق كبار الصحابة والأئمة المهديين، فناسب دفع المطاعن عنهم بمباحث الكلام، صوناً لعقائد المسلمين عن الزيغ في الدين بسبب الميل إلى ما يحكونه، ويحاكون، ويلمحونه ويبدون، بل قد أدرجوها في تعريف الكلام حيث قالوا: هو العلم الباحث عن أحوال الصانع والنبوة والإمامة والمبدأ والمعاد على قانون الإسلام».

ويمكن الاكتفاء بثلاثة نماذج لثلاثة علماء من أئمة السلف القدماء. فيهم المالكي، والشافعي، والحنفي، بحيث يعكسون مذهب عامة المسلمين في هذا الموضوع. مع تعليقات وشروح تتخلل كلامهم:

الأول: أبو محمد بن أبي زيد القيرواني الإمام المالكي الملقب بمالك الصغير، ت 386. فمن مسائل الاعتقاد المسلمة في توحيد رسالته المشهورة، والتي بلغت نحو مائة مسألة كما قال الشيخ زروق، قوله:

«والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم».

قال شارحه ابن ناجي ص: 69: «الإمام هو القائم بأمور المسلمين، والوالي هو النائب، والإمامة أهم من الخلافة، إذ كل إمام خليفة ولا ينعكس... والأصل فيما ذكر الشيخ قوله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**. وعنه ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني»، فطاعتهم واجبة، إذ بهم تقام الأحكام، وتصلح الأحوال، وتحفظ الفروج والأموال».

وقال الشيخ زروق: «يعني من واجب أمور الديانات طاعة الأمراء، فيما ليس بمعصية ولا يؤدي إلى معصية من خروج ولا خلاف، فقد قال عمر رضي الله عنه لسويد بن غفلة: ياسويد بن غفلة: لعلك لا تلقاني بعد اليوم، عليك بالسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً مجدعاً، إن شتمك فاصبر، وإن ضربك فاصبر، وإن أخذ مالك فاصبر، وإن راودك عن دينك، فقل: طاعة مني دمي دون ديني، ولا تخرج يداً من طاعة».

واستشهاد ابن ناجي بقوله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** على وجوب طاعة الأمير، مصير منه إلى ترجيح هذا القول كما هو مذهب الجمهور على قول من قال: إنها نزلت في العلماء، قال القرطبي في تفسيره «5/ 259»:

«لما تقدم إلى الولاة في الآية المتقدمة، وبدأ بهم فأمرهم بأداء الأمانات، وأن يحكموا بين الناس بالعدل، تقدم في هذه الآية إلى

الرعية بطاعته جل وعز أولا، وهي امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ثانياً فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً، على قول الجمهور وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم». ثم نقل عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قوله:

«حق على الإمام أن يحكم بالعدل، ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه، لأن الله تعالى أمر بأداء الأمانة والعدل، ثم أمر بطاعته».

وهذا مذهب الشافعي وأحمد والبخاري والطبري والحليمي والبيهقي وغيرهم، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري 191/8»:

واختلف في المراد بأولي الأمر، فعن أبي هريرة قال: هم الأمراء، أخرجه الطبري بسند صحيح، وأخرج عن ميمون بن مهران وغيره نحوه» ثم ذكر الخلاف وقال:

«ورجح الشافعي الأول (أي أنها في الإسراء)، واحتج بأن قريشاً كانوا لا يعرفون الإمارة، ولا ينقادون إلى أمير، فأمروا بالطاعة لمن ولي الأمر، ولذلك قال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني»، متفق عليه، واختار الطبري حملها على العموم وإن نزلت في سيد خاص».

والسبب الخاص الذي أشار إليه الطبري هوما رجح بسببه الإمام أحمد أنها في الإسراء، قال البيهقي في «شعب الإيمان» 3/6.

«قال الإمام أحمد: الحديث الذي ورد في نزول هذه الآية دليل على أنها في الإسراء» ثم أسند عن ابن جريج قوله:

﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، بعثه رسول اللهﷺ في سرية، أخبرنيه يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، رواه مسلم عن هارون بن عبد الله، ورواه البخاري عن صدقة بن الفضل عن حجاج».

وقال البخاري في كتاب التفسير من صحيحه: «باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ذوي الأمر» ثم أسند حديث عبد الله بن حذافة كما ذكر البيهقي.

وقال البخاري أيضا في كتاب الأحكام من صحيحه.

«باب قول الله تعالى: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** ثم أسند حديث أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

قال الحافظ في «الفتح 13/99»:

«هذه إشارة من المصنف إلى ترجيح القول الصائب إلى أن الآية نزلت في طاعة الأمراء، خلافاً لمن قال: نزلت في العلماء، وقد رجح ذلك أيضا الطبري... وقال ابن عيينة: سألت زيد بن أسلم عنها، ولم يكن بالمدينة أحد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله، فقال: إقرأ ما قبلها تعرف، فقرأت **﴿إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** فقال: هذه الولاة».

وقال الحافظ أيضا في نفس الجزء والصفحة معلقاً على الحديث الذي أورده البخاري تحت الباب المذكور بلفظ: «ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»:

«في رواية همام والأعرج وغيرهما عند مسلم: ومن أطاع الأمير، ويمكن رد اللفظين لمعنى واحد، فإن كل من يأمر بحق وكان عادلاً، فهو أمير الشارع، لأنه تولى بأمره وبشريعته، ويؤيده توحيد الجواب في الأمرين، وهو قوله: فقد أطاعني، أي عمل بما شرعته. وكأن الحكمة في تخصيص أميره بالذكر، أنه المراد وقت الخطاب، ولأنه سبب ورود الحديث، وأما الحكم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ووقع في رواية همام أيضا: ومن يعص الأمير فقد عصاني، وهو أدخل في إرادة تعميم من خوطب ومن جاء بعد ذلك».

الثاني: الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي الشافعي المتوفى سنة 429. له كتاب في مهمات العقيدة يعرف «بأصول الدين» قال في مقدمته:

«هذا كتاب ذكرنا فيه خمسة عشر أصلاً من أصول الدين، وشرحنا كل أصل منها بخمس عشرة مسألة من مسائل العدل والتوحيد والوعد والوعيد وما يليق بها من مسائل النبوات، وشروط الإمامة والزعامة...».

وقال في «ص: 270»: «الأصل الثالث عشر من أصول هذا الكتاب، في بيان أحكام الإمامة وشروط الزعامة» ثم قال:

«المسألة الأولى من هذا الأصل في بيان وجوب الإمامة: اختلفوا في وجوب الإمامة، وفي وجوب طلب الإمام ونصبه، فقال جمهور أصحابنا من المتكلمين والفقهاء مع الشيعة والخوارج وأكثر المعتزلة، بوجوب الإمامة وأنها فرض واجب إقامته، وواجب اتباع المنصوب له، وأنه لابد للمسلمين من إمام ينفذ أحكامهم ويقيم حدودهم، ويجهز جيوشهم، ويزوج الأيامى، ويقسم الفيء بينهم.

وخالفهم شر ذمة من القدرية كأبي بكر الأصم، وهشام الفوطي، فإن الأصم زعم أن الناس لو كفوا عن التظالم لاستغنوا عن الإمام. وزعم هشام أن الأمة إذا اجتمعت كلمتها على الحق احتاجت حينئذ إلى الإمام. وأما إذا عصت وفجرت وقتلت الإمام، لم يجب حينئذ على أهل الحق منهم إقامة إمام.

واختلف الذين رأوا الإمامة من الفروض اللازمة في علة وجوبها، فزعم المدعون اللطف من المعتزلة أنها إنما وجبت لكونها لطفاً في إقامة الشرائع. وقال أبو الحسن. إن الإمامة شريعة من الشرائع، يعلم جواز ورود التعبد بها بالعقل، ويعلم وجوبها بالسمع، فقد اجتمعت الصحابة على وجوبها، ولا اعتبار بخلاف الفوطي والأصم فيها، مع تقدم الإجماع على خلاف قولهما. وقد وردت الشريعة بأحكام لا يتولاها إلا إمام أو حاكم من قبله – كإقامة الحدود على الأمراء، مع اختلافهم في إقامة السادة الحدود على المماليك، وكتزويج من لا ولي لها في قول أكثر الأمة، وكإقامة الجماعات والأعياد في قول أهل العراق.

وأمـا قول الأصم إن الأمـة إذا تناصفت استغنت عن الإمـام، فإنهم مع التنـاصف لابـد لهم مـن قـائم يحفظ أمـوال اليتـامى والمجانين، وتوجيـه السرايا إلى حرب الأعداء، والـذب عن البيضـة، ونحوها من الأحكام التي يتولاها الإمام أو منصوب من قبله.

وأما قول الفوطي بسقوط الإمـامة عند الفتنة، فضميره في هذا القول إبطال إمامة علي رضي الله عنه، لأنها عقدت له في حال قتل عثمان ووقوع الفتنة فيه، وعلي «هو الإمام حقا على رغم الفوطي وأتباعه».

ملحوظتان :

الأولى: ما حكاه أبو الحسن الأشعري من الإجماع على فرضية الإمامة، حكـاه أيضا عدد كبير من الأئمة. واكتفى هنـا بكلام ابن حزم المعـروف بتحرجه البـالغ في حكاية الإجماع، حتى إنـه أنكر كثيراً من الإجماعات التي حكاها غيره، فقد قال في مراتب الإجماع ص: 124»:

«واتفقوا أن الإمامة فرض، وأنه لابـد من إمام حاشا النجدات، وأراهم قد حادو الإجماع، وقد تقدمهم».

الثانية: قول أبي الحسن أيضـا: «يعلم جواز ورود التعبد بها بـالعقل» سيأتي عند الكـلام على كتاب «المنهـاج في تعب الإيمان» لأبي عبد اللـه الحليمي، أنه استـدل على وجوب الإمـامة وطـاعة الإمـام من جهـة العقل والنظـر بما يكفي ويشفي، ثم قـال عبـد القاهر في ص: 273».

«المسألة الثانية من هذا الأصل في حال نصب الإمام، قال أصحابنا بوجوب نصب الإمام في كل حال لا يكون فيها إمام ظاهر، ووجوب طاعته إن كان ظاهراً، ولم يجيزوا أن يأتي على الناس زمان فيه إمام واجب الطاعة وهو غائب غير ظاهر، وأجازت الروافض غيبته عن جميع الناس وأوجبوا انتظاره...» ثم فصل مذاهب الشيعة في انتظار الإمام. ذلك مخالف لإجماع الأمة.

وقال في «ص: 274»:

«المسألة الثالثة من هذا الأصل في عدد الأئمة في كل وقت. اختلف الموجبون للإمامة في عدد الأئمة في كل وقت، فقال أصحابنا: لا يجوز أن يكون في الوقت الواحد إمامان واجبا الطاعة، وإنما ينعقد إمامة واحد في الوقت، ويكون الباقون تحت رايته، وإن خرجوا عليه من غير سبب يوجب عزله، فهم بغاة».

ثم رد على الشيعة في تجويزهم أن يكون في الوقت إمامان: أحدهما صامت والآخر ناطق، وهو ما يخالف إجماع الأمة أيضا، وقد قال ابن حزم في مراتب الإجماع: «واتفقوا أنه لا يجوز أن يكون على المسلمين في وقت واحد في جميع الدنيا إمامان، لا متفقان ولا مفترقان، ولا في مكانين ولا في مكان واحد. واتفقوا أن الإمام إذا كان من ولد علي، وكان عدلا، ولم تتقدم بيعته بيعة أخرى لإنسان حي، وقام عليه من هو دونه، أن قتال الآخر واجب.»

وأصل هذا حديث أبي سعيد عند مسلم: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»، وحديث أبي هريرة في الصحيحين:

«عن النبيﷺ قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء، فيكثرون، قالوا فما تأمرنا، قال: فوا بيعة الأول فالأول، اعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» قال الحافظ في «الفتح 360/6»: «فوا فعل أمر بالوفاء، والمعنى إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة، يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة، قال النووي: سواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم لا، سواء كانوا في بلد واحد أو أكثر، سواء كانوا في بلد الإمام المنفصل أم لا. هذا هو الصواب الذي عليه الجمهور، وقيل: تكون لمن عقدت له في بلد الإمام دون غيره، وقيل: يقرع بينهما، قال: وهما قولان فاسدان، وقال القرطبي: في هذا الحديث حكم بيعة الأول، وأنه يجب الوفاء بها، وسكت عن بيعة الثاني، وقد نصّ عليه في حديث عرفجة عند مسلم، حيث قال: فاضربوا عنق الآخر».

وقد قال أبو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة:

«إنه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران، فإنه مهما يكن ذلك يختلف أمرهم وأحكامهم، وتتفرق جماعتهم، ويتنازعوا فيما بينهم، هنالك تترك السنة. وتظهر البدعة، وتعظم الفتنة، وليس لأحد على ذلك صلاح».

وقد سلم الصحابة الحاضرون رضي الله عنهم كلامه ووافقوا عليه ولم يعترضه منهم أحد، فهو إجماع سكوتي منهم، يضاف إلى ما حكاه ابن حزم.

ثم قال الإمام عبد القاهر البغدادي في ص: 275:

«المسألة الرابعة من هذا الأصل في بيان جنس الإمام وقبيلته. اختلفوا في هذه المسألة، فقال أصحابنا: إن الشرع قد ورد بتخصيص قريش بالإمامة، ودلت الشريعة على أن قريشاً لا تخلو ممن يصلح للإمامة، فلا يجوز إقامة الإمام للكافة من غيرهم، وقد نص الشافعي رضي الله عنه على هذا في بعض كتبه، وكذلك رواه زرقان عن أبي حنيفة».

وقد بحثت موضوع إمامة قريش بحثاً وافياً في الندوة الأولى للبيعة والخلافة تحت عنوان: «الأئمة من قريش، ونقض نظرية ابن خلدون في ربط هذا المبدأ الشرعي بالعصبة».

الثالث: الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي المتوفى سنة 537 صاحب المختصر المعروف في العقائد، المعروف بالعقائد النسفية، الذي يقع في ثلاث صفحات ونصف، فقد قال في مختصره هذا:

«والمسلمون لابد لهم من إمام، ليقوم بتنفيذ أحكامهم، وإقامة حدودهم وسد ثغورهم، وتجهيز جيوشهم، وأخذ صدقاتهم، وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق، وإقامة الجمع والأعياد، وقطع المنازعات الواقعات بين العباد، وقبول الشهادات القائمة على الحقوق، وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم، وقسمة الغنائم، ونحو ذلك، ثم ينبغي أن يكون الإمام ظاهراً لا مختفياً، ولا منتظراً، ويكون من قريش ولا يجوز من غيرهم... ولا يشترط في الإمام أن يكون معصوماً، ولا أن يكون أفضل من أهل زمانه، يشترط أن يكون من أهل الولاية المطلقة الكاملة

(أي مسلمًا حراً ذكراً عاقلاً بالغاً) سائساً، قادراً على تنفيذ الأحكام، وحفظ حدود دار الإسلام، وإنصاف المظلوم من الظالم ولا ينعزل الإمام بالفسق والجور».

ومهد شارحه سعد الدين التفتازاني لكلامه هذا بقوله:

«ثم الإجماع على أن نصب الإمام واجب، وإنما الخلاف في أنه هل يجب على الله تعالى أو على الخلق بدليل سمعي أو عقلي، والمذهب أنه يجب على الخلق سمعاً، لقوله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه، فقد مات ميتة جاهلية». ولأن الأمة قد جعلوا أهم المهمات بعد وفاة النبيﷺ، نصب الإمام حتى قدموه على الدفن، وكذا بعد موت كل إمام، ولأن كثيراً من الواجبات الشرعية، يتوقف عليها، كما أشار إليه بقوله: والمسلمون لابد لهم من إمام» إلخ.

وأضاف متسائلاً ومجيباً: «لم لا يجوز الاكتفاء بذي شوكة في كل ناحية، ومن أين يجب نصب من له الرياسة العامة؟ قلنا: لأنه يؤدي إلى منازعات ومخاصمات مفضية إلى اختلاف أمر الدين والدنيا».

ثم إن أصل الإجماع الذي بنى عليه علماء الكلام أحكامهم المتقدمة، لا خلاف في أنه دليل قطعي، إلا أنه قد يبنى على دليل ظني كخبر آحاد تجمع عليه الأمة، أو اجتهاد يقع الإجماع عليه، كما هو معروف في أصول الفقه. لكن في هذا الموضوع انبنى الإجماع على أصل قطعي آخر، وهو التواتر عن النبيﷺ كما يتضح مما يلي:

«تواتر الأحاديث في الموضوع» :

قال سيدي محمد بن جعفر الكتاني – رحمه الله – في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص: 103»: «الأمر بالطاعة للأئمة، والنهي عن الخروج عليهم، ذكر أبو الطيب القنوجي في تأليف له سماه: «العبرة، مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة» أنها متواترة، ونصه: طاعة الأمير واجبة إلا في معصية الله، باتفاق السلف الصالح، لنصوص الكتاب العزيز، والأحاديث المتواترة في وجوب طاعة الأئمة، وهي كثيرة جدا، ولا يجوز الخروج عن طاعتهم بعد ما حصل الاتفاق عليهم ما أقاموا الصلاة، ولم يظهروا كفرا بواحاً.هـ

وقال أيضا في موضع آخر ما نصه: «ولا يجوز لهم، يعني المسلمين أيضاً، الخروج عليه أي السلطان ومحاكمته إلى السيف، فإن الأحاديث المتواترة قد دلت على ذلك دلالة أوضح من شمس النهار، ومن له الاطلاع على ما جاءت به السنة المطهرة، انشرح صدره لهذا، فإن به يجمع شمل الأحاديث الواردة في الطاعة مع ما يشهد لها من الآيات القرآنية. وقال أيضا، ما نصه:

«وقد تواترت الأحاديث في النهي عن الخروج على الأئمة، ما لم يظهر منهم الكفر البواح، أو ترك الصلاة، فإذا لم يظهر من الإمام الأول أحد الأمرين لم يجز الخروج عليه... والأحاديث الواردة بهذا المعنى متواترة».

ولا شك أن العلامة أبا الطيب صديق حسن خان القنوجي يقصد هنا المتواتر المعنوي المساوي ما يستخلص منه من معنى

للمتواتر اللفظي في إفادة اليقين، إذ المتواتر اللفظي - كما هو معلوم - أن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب واقعة معينة يحصل القطع للسامع بحدوثها بعينها. وأما التواتر المعنوي فهو أن تنقل الجماعة التي يستحيل اتفاقها على الكذب وقائع متعددة، إلا أنها تنصب على معنى واحد يستفاد منها، ويستخلص من معطياتها. ويعتبر قدراً مشتركاً بينها، وذلك المعنى المستفاد من جميع ما نقلته الجماعة هو المتواتر المعنوي كوجوب طاعة الإمام رغم ما ذكر القنوجي، فقد وردت في هذا المعنى عشرات الأحاديث في جميع أصول السنة المعتمدة كالموطأ والصحيحين والسنن ومسانيد أحمد والحميدي وأبي داود الطيالسي ومصنفي عبد الرزاق وابن أبي تمية، والسنة لابن أبي عاصم، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان، ومستدرك الحاكم ومعاجم الطبراني، ومسندي ابن أبي يعلى والبزار وكتب البيهقي، وغيرها من الأصول، وكثرت طرقها وتعددت مخارجها تعدداً جعل ما تدل عليه يفيد العلم اليقيني لسامعه: بحيث أصبحت من القواطع في الدين المعلومة بالضرورة لكل مسلم.

وهذا ما حدا الإمامين أبا عبد الله الحليمي المتوفى سنة 403، وأبا بكر البيهقي المتوفى سنة 458، إلى عد طاعة الإمام ومتعلقاتها من التمسك بالبيعة ولزوم الجماعة، ضمن شعب الإيمان التي لا يكمل إيمان المسلم إلا بتحصيلها، كما هو مبسوط في محله من شروح الحديث عند قوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة».

فقد جعلا الشعبة التاسعة والأربعين من شعب الإيمان: «باب طاعة الأمير بفصولها» والشعبة الخمسين: «باب في التمسك بما عليه الجماعة».

وقد صدر الحليمي الشعبة التاسعة والأربعين من شعب الإيمان، وهي طاعة الأمير بفصولها، بترجيح أن قوله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾، نزل في الأمراء كما هو مذهب الجمهور على ما تقدم.

ثم تنزل بدءا من ص: 148 من الجزء الثالث» لبحث موضوع الإمامة والبيعة ووجوب طاعة الأمير وما يتبع ذلك ويناسبه أو يتعلق به من جزئيات وفروع. مغلباً في بحثه جانب النظر والعقل، وملاءمة المقاصد الشرعية، ورعاية مصالح الأمة على جانب النقل، ولذلك أكثر من جلب الإرادات والاستشكالات، ثم الإجابة عنها على طريقة علماء الكلام وأصحاب الجدل الذي كان سائد آنذاك في محيطه وتوخى في أجوبته الحجج القوية والمسلمات العقلية، مما يجعل بحثه هذا مساعداً لمن قال: إن الإمامة واجبة بالعقل بالإضافة إلى السمع كما تقدم. وهذا نموذج لكلامه اخترته لقصره، لأخذ فكرة ولو مقتضبة عن منهجه في البحث.

قال:

«والأصل في هذا الباب أن طاعة الله لما كانت واجبة، كانت طاعة من تملكهم شيئاً من أمور عباده واجبة، وهم الرسل صلوات الله عليهم، فإذا وجبت طاعة الرسول لهذا المعنى، وجبت طاعة من يملكه الرسول شيئاً مما ملكه الله تعالى، فبأي اسم

دعي فقيل له: خليفة، أو أمير، أو قاضي أو مصدق أو من كان، وأي واحد من هؤلاء وجبت طاعته، كان عامله أو من يملكه شيئاً مما يملكه، لقيام كل واحد من هؤلاء فيما صار إليه من الأمة منزلة الذي فوقه، إلى أن ينتهي الأمر إلى من له الخلق والأمر، وليس فوقه أحد، وهو الله رب العالمين، وهذه في حياة الرسولﷺ، فأما إذا توفاه الله إلى كرامته، من غير نص على إمامة أحد من بعده، وجب على أهل النظر من أمته أن يتحروا إماماً يقوم فيهم مقامه، ويمضي أحكامه - لأن منزلتهم جميعاً إذا مات من غير خليفة له فيهم، كمنزلة من ناب عنه في حياته، فلما كانت سنته في أهل البلاد القاصية أيام حياته أن يؤمر عليهم أميراً أو ينفذ إليهم قاضياً، فإن لم يفعل أمروا عليهم أميراً، دل ذلك على أن حق الجماعة بعد وفاته لا عن أحد استخلفه عليهم، على أن يكون لهم فيما بينهم من يقوم مقامه، وينفذ أحكامه.

فإن قيل: إنه ﷺ كان يؤمر الأمير في حياته، فإذا مات عن غير أمير فمن الذي يؤمر؟ ولو كان لأحد أن يؤمر بعد موته، لكان ذلك المؤتمر بنفسه أميراً، ويستغني عن تأمير غيره، فإذا لم يكن بعده واحد منهم مالك أمر، فكيف يكون له أن يؤمر غيره.

والجواب: أن على جماعة المسلمين أن يكونوا يدا واحدة، وكلمتهم متفقة، وأن تكون أحكام الله جارية بينهم، وحدوده مقامة فيهم، وجهاد أعدائه موجوداً بينهم، وهم مع ذلك مجبولون على اختلاف الآراء والهمم، فإن تخلوا عن إمام يضمهم ويقوم عليهم لم يكد ينصف بعضهم بعضا، ولم يؤمن أن

يكسلوا عن إقام الصلوات في الجماعات ويبخلوا بالزكوات ويقعدوا عن الجهاد، ويعطلوا الحدود، فيكثر الفساد، وتشيع الفواحش. وإذا كان فيما بينهم إمام قبلوا طاعته، قام عليهم، وساسهم ودبر أمرهم، واستوفى منهم حقوق الله تعالى، وأقام عليهم حدوده، ونفذ فيهم أحكامه، وأمرهم فأطاعوه، ودعاهم إلى ما فيه صلاحهم فأجابوه.

فصح أن بهم إلى الإمام أشد الحاجة. إذ كان لايتهيأ لهم أن يحفظوا دين الله فلا تضيع شريعته ولا تدرس إلا به».

وصدر الشعبة الخمسين من شعب الإيمان. وهي التمسك بما عليه الجماعة، بدءا من «ص: 180 من الجزء الثالث» بقوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ وأتى بأحاديث وآثار في الموضوع وقال: «فبان بهذه الأخبار وجوب التمسك بالجماعة، وترك الشذوذ والمخالفة، فهذا باب يتسع ويتشعب، وتلحق شعبة منه بالباب الذي قبله، لأنا كتبنا فيه وجوب طاعة الإمام... وكان المقصود منه إثبات الإمامة والإمارة ووجوب الطاعة لأولي الأمر في الجملة» إلى أن قال: «أما الإمام العادل الثابتة إمامته من بعض الوجوه التي تقدم ذكرها، فطاعته واجبة، ومخالفته حرام، والثبات على عهده وعقده فرض، قال النبيﷺ: «فمن نكث صفقته فلا حجة له يوم القيامة، ومن مات وهو مفارق الجماعة فموتته موتة جاهلية». وهذا لا يختص به من عاقد الإمام فأعطى بها صفقة يمينه، لأن الذين لم يعقدوا لما لزمهم عقد الذين عقدوا

صاروا في الحكم عاقدين، فمن خالف منهم الإمام ورفض إمامته واعتزل طاعته، فقد نكث صفقته».

وهذه الفقرة الأخيرة التي ذكرها الحليمي حصل اتفاق من يعتد بقوله من علماء الأمة عليها باعتبار لزوم البيعة للصحابة الذين لم يبايعوا أبا بكر رضي الله عنه في السقيفة، ومبايعة علي والعباس رضي الله عنهما للصحابة بعد ذلك، فيكون إجماعاً منهم. وقد وقع خلاف نظري في العدد الذي تنعقد به البيعة. فقيل: أهل الحل والعقد، وقيل: تنعقد بواحد إذا كان أهلاً، وقيل: لابد من اثنين، وقيل: أربعة وقيل: خمسة، وقيل: لابد من بيعة جميع العلماء وحضورهم عند البيعة كما في «شرح ابن ناجي على الرسالة» ص: 69.

لكن قال البيهقي في «شعب الإيمان 6/9»:

«وذهب شيخنا أبو الحسن الأشعري رحمه الله إلى أن الواحد من أهل الحل والعقد إذا عقد الإمامة لغيره انعقدت، وعلى الباقين المتابعة، قال أصحابنا: وهذا لأن الإجماع غير معتبر، لتعذره وتأخر انعقاد الإمامة عن وقت الحاجة عند شرطه، ولأن الصحابة لم يعتبروا فيها الإجماع عند الاختيار والمبايعة، وإنما اعتبروا وجود العقد، ثم أوجبوا المبايعة بعد ذلك، وإذا لم يعتبر الإجماع، فلا ينفصل عدد من عدد، فاعتبر أقل الأعداد وهو واحد».

وأما الإمام البيهقي، فقد تبنى في كتابه القيم «شعب الإيمان» الذي يقع في سبعة مجلدات آراء الحليمي النظرية، ونقل بعضها مستدلاً بها، ولكنه امتاز عن الحليمي بميزة هامةجدا. وهي

الاستدلال بالحديث لكلامه ولكلام الحليمي نفسه، حتى ليمكن أن يعتبر مكملاً له من هذه الناحية، إذ استدل لآرائه النظرية بالأحاديث المسندة المرفوعة إلى النبيﷺ والآثار الواردة عن الصحابة في الموضوع. فذكر من الأحاديث المرفوعة ما يزيد على المائة حديث، منها ما هو مخرج في الأصول قبله كالصحيحين، وغيرهما أخرجه من غير طريقها لتكثير الطرق، ونص على مخرجه عقيب ذكر الحديث. ومنها ما استقل بإخراجه كحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «قيل يارسول الله ما للخليفة من بعدك؟ قال: مثل الذي لي، ما عدل في الحكم وأقسط في القسط، ورحم ذا الرحم».

وحديث: «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيرا، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط» أخرجه من طريق البخاري في غير الصحيح عن أبي هريرة. إلا أن الحديث عند الإمام أحمد في المسند 2/445» بسند آخر عن أبي هريرة أيضا بلفظ:

«ثلاثة لا يرد دعاؤهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، والمظلوم... الحديث وكالحديث الموقوف على أنس رضي الله عنه:

«أمرنا أكابرنا من أصحاب محمدﷺ أن لا نسب أمراءنا، ولا نغشهم ولا نعصيهم، وأن نتقي الله ونصبر...» وقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة 2/488» من طريق أخرى عن قيس بن وهب عنه، وغير ذلك من الأحاديث. والأحاديث التي أسندها البيهقي في الشعب في الموضوع، وقد أخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة 2/488» من طريق آخر عن قيس بن وهب عن أنس.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي أسندها البيهقي في الشعب في هذا الموضوع.

ويكاد يكون البيهقي قد استوعب ما ورد في هذا المعنى من أحاديث وآثار، في ثلاثة كتب له، هي بالإضافة إلى كتاب «الشعب»: «كتاب السنن الكبرى» في الجزء الثامن بدءا من ص: 141، وكتابه المختصر: «الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة». وكان أملي أن أجمع تلك الأحاديث، وأقوم بتخريجها وتتبع ألفاظها وطرقها من الأصول المتيسرة، لولا ضيق الوقت والانشغال بامتحانات آخر السنة الدراسية، لأن هذا العمل يحتاج إلى بعض الوقت. ولعل هذه الإشارة إلى كثرة هذه الأحاديث تكفي للتدليل على صدق وصواب قول القنوجي - رحمه الله - بتواتر معناها.

نرجو من الله تعالى التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل، وأن يتولى سبحانه بفضله وبره ولطفه مولانا الإمام أمير المومنين، وسبط النبي الأمين الحسن الثاني موحد البلاد، والساهر على أمن وراحة العباد، وأن ينصره، ويقيم به الدين، ويجمع على يديه شمل المسلمين، وأن يكلأه بعين عنايته ويحفظه بجميل رعايته، ويقر عينه بولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد المولى الرشيد، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما طيباً مباركاً فيه، والحمد لله رب العالمين.

الأستاذ إبراهيم ابن الصديق



- البحث السادس -

البيعة الإسلامية
أساس في إقامة الدولة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ البشير اليونسي

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

ـ البحث السادس ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البيعة الإسلامية
أساس في إقامة الدولة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ البشير اليونسي

أحمد الله العلي القدير، وأستغفره وأتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

لي الشرف أن أساهم بهذا البحث المتواضع في ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، راجيا من العلي القدير أن يجعل جمعنا هذا جمعا مباركا ميمونا على بلدنا وسائر بلاد المسلمين.

وإني بهذه العجالة قد قسمت بحثي هذا إلى :

مقدمة وخمس مراحل، هي كالتالي :

1 ـ ما هي البيعة ؟ ومن يستحقها ؟

2 ـ البيعة في العصر النبوي.

3 ـ البيعة في عصر الخلفاء الراشدين.

4 ـ البيعة في عصري بني أمية وبني العباس.

5 ـ البيعة في المغرب.

فأقول وبالله أستعين :

﴿قد جاء كم من الله نـور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾. صدق الله العظيم.

إن الدين الحنيف وضع أمام العالم خطوطا عريضة، وأنظمة شاسعة لإقامة دولة الإسلام وتكوين خير أمة أخرجت للناس، كما حفظ لها المراتب والدرجات والرعاية لحقوق المخلوقات، الشيء الذي حقق ويحقق حياة اجتماعية متوازنة، والتي هي مطمع الإنسانية كلها، مؤكدا ذلك رسول اللهﷺ بقوله: «ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعا، فإن الدنيا بلاغ الآخرة، ولا تكونوا كلا على الناس»(1) وفي حديث آخر: «تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

ذلكم كان السر في كون النبيﷺ جمع بين النبوة والإمامة العظمى، وذلك كله واقع من وراء إحسان سبق، وفضل تقدم من الله سبحانه وتعالى، وهو اصطفاؤه سبحانه وتعالى عبده محمدا للنبوة والرسالة والإمامة العظمى للناس أجمعين، وبعثه رحمة للعالمين. واصطفاء النبيﷺ منحة خالصة من الله سبحانه وتعالى، وإحسان مبتدأ، ليس لسعي النبيﷺ دخل فيه، ولا لجهاده ولا لاجتهاده دخل فيه أيضا، فذلك أمر لا يناله أحد بعمل، ومطلب لا يبلغه إنسان باجتهاد، إنه رحمة من الله وفضل

1) أخرجه ابن عساكر عن أنس، وصححه السيوطي.

من فضلـه يـوتيـه من يشـاء، واللـه ذو الفضل العظيم(2) «الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس».

لقد جمع له ﷺ بين النبوة والإمامة العظمى ما لم يجمع لنبي قبله، ومن أجل هذا كـان نظام الحكم في الإسلام قائما على المزج بين سياسة الدين والـدنيا، والجمع بين السلطتين، وذلك ما أشار إليـه الإمام القـرافي في الفروق، مـن أن الرسـولﷺ: «هو الإمـام الأعظم، والقـاضي الأحكـم، والمفتي الأعلـم».(3) وكما أكـد ذلك الإمـام السبكي في «القواعـد»، والإمـام الغـزالي في «الإحـياء» والقـاضي عيـاض، وكـذا السيـوطي في النمـوذج اللبـيب، وغيـرهم.(4)

ومن هنا كان اهتمام الشريعة بنظام الحياة المستقرة، وأساليب المعيشـة الهنيئة وبنـائهـا على أكمل حال. وكـان في مقـدمة هـذا الاهتمام مـا أولاه الإسلام لنظـام الحكم والخلافة بما يأمن معـه كل ذي حق على حقه، وبما يدفع عن الأمة أذى الأطماع والشرور، وإن اتخاذ البيعة هو النمـوذج الصالح لانعقاد الإمـامة، وأسـاس صـلاح الحكم وانتظـامـه، حيث كـانت الخلافة قمـة في الـدولـة الإسلامية التي لابـد للرعية فيها من إمـام ينفذ أحكامهم، ويقيم حـدودهم، ويحفظ بيضتهـم، ويحافظ على حـوزتهم، وينظم جيـوشهم، ويقسم غنـائهم، ويتحاكمـون إليـه في خصومـاتهم،

2) التفسير القرآني للقرآن. الخطيب.
3) الفروق للقرافي 1/246 نسبة إلى القرافة مقبرة في القاهرة.
4) مقدمة التراتيب الإدارية لعبد الحي الكتاني.

وينصف المظلوم، ويقتص من الظالم، وينصب القضاة والولاة في كل نقطة من أطراف أرض الخلافة.(5)

1 ـ فما هي البيعة ؟ ومن يستحقها ؟

لقد عرفها ابن خلدون بقوله : «إن البيعة هي المبايعة والطاعة، وهي المعاقدة والمعاهدة، وهي العهد والطاعة».(6)

وقد ذكر أهل السير أن رسول اللهﷺ قال في نتيجة البيعة: «أخذت وأعطيت».

فالبيعة إذن، أخذ وعطاء، أخذ عليهم العهد بالتوحيد والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعطاهم الوعد بالجنة». فإذا كانت البيعة هي المعاهدة والمعاقدة، أو العهد والطاعة، أو الأخذ والعطاء، فإن ذلك يعني أن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر في المنشط والمكره والعسر واليسر.

وتعتبر البيعة في المفهوم الإسلامي من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي أمر به الله جل جلاله قائلا: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾**، وهي أساس اختيار الخلفاء والأئمة، ولذلك فإن البيعة تعتبر عقدا بين الأمة والخليفة، وهو عهد موثق بالإيمان الذي يجعل على كل من الطرفين التزاما محددا ينبغي تنفيذه والقيام به حق القيام، إذن فهو من جهة

5) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهر ستاني.
6) مقدمة ابن خلدون ص : 209.

يلــزم الإمام بتطبيق كتــاب الله وسنــة رســولهﷺ، ومن جهــة أخــرى يلــزم الأمة بــالسمع والطــاعــة في المنشط والمكــره والعسر واليسر.

والبيعــة في الإسلام تتم بـرضـاء واختيـار، حيث إن أهل الحل والعقـد من الأمـــة يجتمعــون لاختيـار الإمـــام الأعظم «خليفــة المسلمين» فيتصفحون أحوال أهل الإمامة المتوفرة فيهم شروطها، فيقدمــون للبيعة من هــو أكثرهم فضـــلا وأعلاهم شرفـا، آخذين بعين الاعتبـار الذي يسرع النـاس إلى طـاعتــه ولا يتوقفــون عن بيعته، فإذا تبين لهم من هو أحق بها عرضــوها عليه، فإذا أجاب إليها بايعوه عليهـا، وانعقدت بيعتهم له بالإمامة فلـزم كافة الأمة الدخول في بيعته والانقياد لطاعته، وأما إذا امتنع من الإمامة ولم يجب إليها لم يجبر عليهـا، لأنها عقد مرضـــاة واختيار لا يـدخله إجبـار ولا إكراه، وفي هــذه الحالــة يعدل عنــه إلى من ســواه من مستحقيها».(7)

فمن يستحــق الإمامة ؟

اتفق الأئمــة رحمهم اللــه على أن الإمامــة فـرض، وأنه لا بــد للمسلمين من إمــام يقيم شعائر الــدين، وينصف المظلــومين من الظالمين، وعلى أنه لا يجوز أن يكــون على المسلمين في وقت واحد إمامــان لا متفقان ولا مختلفان، وعلى أن الأئمة من قــريش، وأنه يجوز للإمام أن يستخلف.

7) من الأحكام السلطانية بتصرف، للماوردي ص : 7.

واتفقوا على أن الإمام يشترط فيه أن يكون مسلما ليراعي مصلحة الإسلام والمسلمين، فلا تصح تولية كافر على المسلمين.

ثانيا : أن يكون مكلفا ليلي أمر الناس، فلا تصح إمامة صبي، ولا مجنون بالإجماع، وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد «نعوذ بالله من إمارة الصبيان».

ثالثا : أن يكون حرا، ليتفرغ للخدمة، ويهاب، بخلاف العبد حيث أنه مشغول بخدمة سيده، ولا هيبة له، وأما ماروواه الإمام مسلم من قول رسول الله ﷺ: «إسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي» فمحمول على غير الإمامة العظمى.

رابعا : أن يكون الإمام ذكرا، ليتفرغ ويتمكن من مخالطة الرجال، فلا تصح ولاية امرأة، لما ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» ولا تصح ولاية خنثى.

خامسا : أن يكون قريشيا، وذلك لما رواه الشيخان: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» ولما رواه البخاري: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين» ولما رواه النسائي: «الأئمة من قريش»، وبه أخذ الصحابة رضي الله عنهم، ومن جاء بعدهم، إذا وجد قريشي جامع للشروط، فإن عدم، فمنتسب إلى كنانة، فإن عدم، فرجل من ولد إسماعيل، فإن لم يوجد فرجل من جرهم، فإن عدم فرجل من ولد إسحاق. ولا يشترط فيه أن يكون هاشميا باتفاق

فإن الصديق، وعمر، وعثمان رضي اللـه عنهم لم يكونوا من بني هاشم.

سادسا : أن يكون عدلا، وقال بعضـهم : إذا تعذرت العدالة في الأئمة والحكام قدمنا أقلهم فسقا.

سابعا : أن يكون عالما مجتهدا، ليعرف الأحكام ويعلم الناس، ولا يحتاج إلى استفتاء غيره.

ثامنا : أن يكون شجاعا، وهي قـوة القلب عند البأس، لينفرد بنفسه، ويـدبر الجيوش، ويقهر الاعـداء ويفتح الحصـون، ويقف أمام أحداث الأيام، ومـا يحدث له من فتن، وما يجد في عهده من أزمات.

تاسعا : أن يكون ذا رأي صـائب، حتى يتمكن من سيـاسة الرعية، وتدبير المصالح الدنيوية.

عاشرا : أن يكـون سليم السمع والبصر والنطق ليتأتى منـه فصل الأمور ومباشرة أحوال الرعية.

واتفق الأئمة على أن الإمامة تنعقـد ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء، والرؤسـاء، ووجوه الناس، الذين يتيسر اجتماعهم من غير شرط عدد محدد، ويشترط في المبايعين للإمـام صفة الشهود من عدالة وغيرها.

وكذلك تنعقد الإمامة باستخلاف الإمام شخصا عينه في حياته وليا لعهـده ليكون خليفته على المسلمين بعـده، كما عهد أبـو بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول اللهﷺ عند آخر عهده من الدنيا وأول عهده من الآخرة في الحالة التي يومن فيها الكافر، ويتقى فيها الفاجر، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن بر وعدل، فذاك علمي به وعلمي فيه، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرىء ما اكتسب «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»...

وانعقد إجماع الأمة على جوازه.(8)

ولقد حاز الإسلام قصب في هذه النظم الاجتماعية من عقد البيعة بين الحاكم والمحكومين، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال، لا الحصر رسالة النبيﷺ إلى عمرو بن حزم، حيث بعثه واليا على اليمن، والتي حدد فيها مهمة الحاكم المسلم ومسؤوليته عن محكوميه، وأن ذلك يقوم على أساس الاتفاق والتعامل بين الحاكمين والمحكومين، وهو عقد اجتماعي بين الأمة والحاكم تلتزم فيه الأمة بالطاعة، ويلتزم فيه الحاكم بالعدل والمعروف.(9)

كيفية البيعة ؟

لقد كانت البيعة في زمن النبي ﷺ بالمصافحة؛ حيث كان الصحابة رضي الله عنهم يبايعون رسول اللهﷺ بمصافحته ووضع يدهم في يده، ولقد قال يحيى بن حسان: سمعت عبد الله

8) الجزيري على المذاهب الأربعة ج 50/416.

9) سيرة ابن هشام ج : 4/594.

ابن ياسر المازني يقول: «ترون يدي هذه، فأنا بايعت بها رسول اللهﷺ».(10)

فكانت بيعة الرجال بالقول والمصافحة، وأما بيعة النساء فكانت مبايعته لهن بالقول، ولم يصافح الرسولﷺ يد امرأة قط إلا امرأة يملكها، فإذا بايعته امرأة أجابها بقوله: «قد بايعتك».(11) وكذلك كانت مبايعة المسلمين بعد النبيﷺ باليد، فكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهدهم جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد.

«وقد قال عبد الرحمان بن عوف لعثمان رضي الله عنه: إرفع يدك يا عثمان، فبايعه». إلا أنه بعد هذه الفترة تطورت صفة البيعة، فاكتفي بالقول عن المصافحة، وأخذت تتم البيعة بأن يقال للخليفة: بايعتك بيعة رضى على إقامة العدل والإنصاف والقيام بفروض الإمامة، ولا يحتاج مع ذلك إلى المصافحة باليد، ثم تطورت بعد ذلك هذه البيعة فأصبحت تحية، وأصبح معناها مجازيا، وأصبح الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة، واستغني بها عن مصافحة أيدي الناس.

ولما للبيعة من عظيم الشأن في النظام الإسلامي نجد أن الله عز وجل حذر من نكثها فقال: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما﴾.**

10) مسند الإمام أحمد 4/189.

11) صحيح البخاري 8/14 طبعة دار الفكر.

2 ـ البيعة في العصر النبوي :

قال الله تعالى : **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما﴾**.

وقال تعالى : **﴿يا أيها النبيء إذا جاءك المومنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله﴾**.

إن المفسرين على رأي واحد بأن المراد بالمبايعة في الآية الأولى: **﴿إن الذين يبايعونك...﴾** هي بيعة الشجرة، وتسمى بيعة الرضوان، وهي التي تشير إليها الآية الكريمة بعد هذا حسب هذا الرأي، والآية هي قوله تعالى: **﴿لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾**.

والرأي عندي ـ والله أعلم ـ أن المبايعة هنا عامة، تدخل فيها البيعة على الإسلام، كما تدخل فيها بيعة الرضوان على القتال، وكل بيعة بين النبيﷺ والمومنين، فقد كان الذين يستجيبون لرسول اللهﷺ ويدخلون في دين الله كانوا يبايعون النبيﷺ على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجهاد في سبيله، كما بايع الأنصار النبيﷺ بيعتي العقبة الأولى والثانية على هذا الإيمان، وعلى أن يمنعوا رسول اللهﷺ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم...

والذي رجح عندنا هذا الرأي أمور، منها :

- **أولا** : بيعة الرضوان كانت لأمر عارض، وهو قتال المشركين، إذا ثبت أنهم اعتدوا على عثمان مبعوث رسول اللهﷺ إليهم، فلما ظهر أن المشركين لم ينالوا عثمان بأذى، بل إنهم عرضوا عليه أن يطوف بالبيت إذ أراده، ولكنه أبى أن يطوف إلا أن يطوف رسول اللهﷺ. لما ظهر هذا انحل عقد هذه البيعة، وبقي المبايعون على عقدهم الأول الذي دخلوا به في الإسلام، فلم يقع في هذه البيعة نكث، لأن المسلمين لم يدخلوا في حرب مع المشركين تحت حكم هذه البيعة، ومن ثم لم يكن متجه لهذا التهديد الذي جاء في قوله: ﴿**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾ وإنما هو متجه إلى عموم النكث، وفي جميع المواقف والأحوال...

- **وثانيا** : إن بيعة الرضوان قد ذكرت ذكرا خاصا في قوله تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا**﴾ ففي الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد رضي عن جميع المومنين الذي بايعوا رسول اللهﷺ تحت الشجرة، وأن الله قد علم ما في قلوبهم من إذعان لدعوة رسول اللهﷺ وولاء وتسليم له، مع ما كانوا يجدون في صدروهم من حرج في التوفيق بين ما جاءوا له، وهو دخول المسجد الحرام وبين هذا الصلح الذي تم بينهم وبين قريش، ولهذا أنزل الله السكينة عليهم، وجزاهم جزاء طيبا بهذا الفتح القريب، وهو فتح خيبر... فالمومنون الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة دخلوا جميعا في

هذا الحكم، وهو رضى الله عليهم، وإنزال السكينة في قلوبهم، وهذا يقطع بأن أحدا منهم لم ينكث أبدا...

وفي قوله تعالى : ﴿**إنما يبايعون الله**﴾ إشارة إلى أن مبايعة المومنين لرسول اللهﷺ ليست لحساب الرسول ولا لشأن من شؤونه الخاصة، وإنما هي بيعة خالصة لله وللجهاد في سبيله، وما الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلا قائم بأمر الله، قائد للمجاهدين في سبيله. وقوله تعالى: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ هو توكيد لهذه الحقيقة، وهي أن البيعة لله، وأن الذين أعطوا أيديهم مبايعين لرسول اللهﷺ إنما أعطوا أيديهم لله، ويد الرسولﷺ التي صافحت هذه الأيدي المبايعة هي – من غير تشبيه – نيابة عن يد الله سبحانه وتعالى، وهذا كله من قبيل التمثيل، كما في قوله تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوارة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به**﴾. فالأمر في ظاهره ليس بيعا ولا شراء، ولكنه في واقعه بيع ربيح...(12)

هذا وقد جاءت روايات متضافرة في شأن البيعة.

وقد انقسمت البيعة النبوية إلى قسمين :

أحدهما لتوثيق مبادىء الإسلام، وقد روى الإمام أحمد في هذا القسم، أن النبيﷺ قال فيه: «تبايعون على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر

12) التفسير القرآني للقرآن للخطيب. ج : 25ـ 26/405.

بالمعروف والنهي عن المنكـر، وأن تقولوا في الله لا تخافـون لومة لائـم».

وأمـا القسم الثـاني من البيعـة فهـو خـاص بنصرة رسـول اللهﷺ، وأن يمنعـوه، وقد جمعت بيعـة العقبة الثـانية القسمين. ولندع الحديث لمن حضر هذه البيعـة يحدثنا، فليس من رأى كمن سمع. أخرج الإمـام أحمد والبيهقي بإسناد جيد عن جـابر رضي اللـه عنه قـال: «مكث رسـول اللهﷺ عشر سنين يتبع النـاس في منـازلهم عكـاظ ومجنـة، وفي المواسم يقـول: «من يـؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة»؟ فلا يجد أحدا يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل ليخـرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قـومـه وذوو رحمه فيقـولـون: إحـذر غـلام قـريش لا يفتننك، ويمضي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فـآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منـا فيومن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمـون بإسلامه، حتى لم تبق دار من دور الأنصـــار إلا وفيهـا رهط من المسلمين يظهـــرون الإسـلام، ثم ائتمروا جميعا، فقلنا: حتى متى نترك رسول اللهﷺ يطوف ويطـرد في جبال مكـة ويخاف؟ فرحـل إليه منـا سبعون رجلا حتى قدمـوا عليه الموسم فواعدناه شعب العقبـة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنـا: يارسول الله، علام نبايعك؟ قـال: تبايعوني على السمع والطاعـة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقـولـوا في اللـه لا تخافـون في اللـه لـومـة لائم، وعلى أن

تنصروني فتمنعوني – إذا قدمت عليكم – مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة، فقمنا إليه، وأخذ بيده أسعد ابن زرارة رضي الله عنه – وهو من أصغرهم – وفي رواية البيهقي وهو أصغر السبعين إلا أنا، فقال: رويدا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول اللهﷺ. إن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة، وقتل خياركم، وتعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله، فقالوا: أبط(13) عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبدا، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة».(14)

وفي رواية ابن إسحاق أن أسعد قال لرسول اللهﷺ: سل يا محمد لربك ماشئت، ثم سل لنفسك ما شئت، ثم أخبرنا مالنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا، قال رسول اللهﷺ: «أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم».

وقد جاء ذكر البيعة في العصر النبوي من الصحابة رضي الله عنهم أفرادا وجماعات رجالا ونساء وأطفالا، بايعوا على الإسلام وعلى السمع والطاعة، وعلى الجهاد وعلى الصبر، وعلى عدم الفرار،

13) أبط : أي تأخر. أمر من أبط يبطى، وهو لغة في أبطأ، وفي المسند: أمط بالميم، وفي مجمع البحار: مط عنا أي أبعد.

14) رواه أحمد والبيهقي، وقال الحافظ في الفتح ج : 7/158 بإسناد حسن.

ومنهم من بايع على أن لا يسأل الناس شيئا، وأنهم بايعوا بيعة النساء المذكورة في سورة الممتحنة في قوله تعالى: **﴿ياأيها النبيء إذا جاءك المومنات يبايعنك...... فبايعهن واستغفر لهن الله﴾**.

والمقامات مختلفة، فإذا جاءه الشخص ليسلم بايعه على الإسلام. ولما كانوا في الحديبية مستعدين للقتال، وفي صدده بايعوا على الصبر وعلى الموت، ولما كانوا في العقبة – وهو أوائل الإسلام – مؤسسين للقاعدة الكلية بايعوا على السمع والطاعة على أي حال، وعلى ما في آية بيعة النساء وهلم جرا.

والبيعة على السمع والطاعة؛ أي نسمع أوامره ونواهيه، ونطيعه في ذلك امتثالا وانتهاء. ومن كمال شفقتهﷺ على أمته أنه زادهم عند البيعة – على سبيل التلقين – أن يقول المبايع: «فيما استطعت» فبايعوا رضوان الله عليهم قائلين: بايعنا رسول الله بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم» كما سيأتي ذلك مفصلا.

قواعد البيعة

لقد رتب العلماء قواعد البيعة استنادا على كتب الصحيح والسنن وكتب السيرة، فوصلوا بها إلى عشر قواعد:

1 – كان أول ما يشترط رسول اللهﷺ في البيعة إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس؛ وذلك ما أخرجه البخاري في «كتاب الإيمان» عند قوله: «باب قول النبيﷺ: «الدين النصيحة» فعن جرير بن عبد الله، قال: بايعت رسول اللهﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم».(15)

وأخرج النسائي في سننه (نفس الحديث) في كتاب البيعة «باب البيعة على قول الحق».(16)

2 – وكذلك كانت مبايعتهﷺ لأصحابه؛ بحسب ما يحتاج إليه من تجديد عهد، أو توكيد أمر، كما أوضح ذلك القرطبي.

3 – كانت مبايعة الرجال بالمصافحة بالأيدي، ومبايعة النساء بالقول فقط كما سبق.

4 – يمكن أن يبايع للمبايع نفسه أو بواسطة، كما في حديث أم عطية عند قدوم الرسولﷺ إلى المدينة وإرسال عمر إلى النساء لمبايعتهن، وذلك ما أخرجه البخاري في باب «إذا جاءك المومنات يبايعنك».(17)

فعن أم عطية رضي الله عنها قالت : بايعنا رسول اللهﷺ فقرأ علينا: «أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن...»، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها فقالت:

15) صحيح البخاري 20/1.
16) سنن النسائي 140/7.
17) صحيح البخاري 14/8.

أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها، فما قال لها النبيﷺ شيئا، فانطلقت ورجعت فبايعها(18) وفي مسند الإمام أحمد أيضا عن أم عطية قالت لما قدم رسول اللهﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام على الباب فسلم عليهن فرددن السلام، فقال: أنا رسول رسول الله إليكن، فقلن مرحبا برسول الله وبرسوله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف، فقلن: نعم، فمد عمر يده من خارج الباب، ومددن أيديهن من داخل الباب، ثم قال: اللهم اشهد»(19) وهذا دليل على أن المبايعة تكون بالواسطة أحيانا.

5 – بايع الرسول ﷺ عبد الله بن الزبير، وهو ابن سبع سنين.

6 – لا تجوز المبايعة لخليفتين في آن واحد، لما أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» لما يحدث في ذلك من فتنة بين المسلمين.(20)

7 – وجوب الوفاء بالبيعة للخلفاء، وإعطاء الحق لكل منهم، لما جاء في حديث الإمام مسلم، عن أبي حازم قال: قاعدت أبا

18) صحيح البخاري 61/6.

19) التراتيب الإدارية 222/1.

20) صحيح مسلم 1408/3.

هريرة رضي اللـه عنه خمس سنين، فسمعته يحدث عن النبيﷺ، قال: كـانت بنو إسرائيل تسـوسهم الأنبياء، كلما هلك نبـي خلفه نبي، وأنـه لا نبي بعـدي، وستكـون خلفـاء فتكثـر، قـالـوا: فما تأمرنا؟ قال: وفوا بيعـة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم». (21)

8 – لا يجوز نكث البيعة والـرجوع فيها، لحديث جـابر رضي الله عنـه، الذي أخـرجه البخـاري في صحيحه، أن أعـرابيا بـايع رسول اللـهﷺ على الإسلام فأصـابه وعك، فقـال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جـاءه فقـال: أقلني بيعتي فأبى، فخـرج فقال رسـول اللهﷺ: المدينة تنفي خبثها وينضح طيبها. (22)

9 – تجوز البيعة مرتين لخليفة واحد، لما جاء في حديث سلمة ابن الأوع، قال: بايعنا النبيﷺ تحت الشـجـرة، «فقال لي: ياسلمة ألا تبـايع؟ قلت يـارسـول اللـه، قـد بـايعت في الأول قـال: وفي الثاني». (23)

10 – أسـاس البيعـة الاختيار والرضـى بين المبـايع والمبايعين، وقد سبقت الإشارة إلى هذا.

أنـواع البيـعة وصيغها.

فإذا نظرنا إلى البيعة من حيث أنواعها وصيغها، فإننا نجد أن البـاحثين في هذا الميـدان استخلصوا منهـا أنواعـا وصيغا، كلهـا

21) صحيح مسلم : 3/1471.
22) صحيح البخاري : 8/123ـ 124.
23) الأحكام السلطانية.

مستنبطة من الكتب الصحاح والمسانيد والسنن، وذلك طبقا لما كانت عليه في عهد الرسولﷺ، ولقد كانت بيعة الرسولﷺ لأمته على أشياء كثيرة، نذكر منها على سبيل الاختصار مع الإشارة إلى ما ورد في شأنها من الأدلة: البيعة على الصبر، والبيعة على الموت، والبيعة على الجهاد، والبيعة على السمع والطاعة، والبيعة على عدم منازعة الأمير أهله، والبيعة على قول الحق، والبيعة على عدم العصيان، والبيعة على عدم الغش، والبيعة على الأخوة والمصاحبة، والبيعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* البيعة على الصبر وعلى الموت وعلى الجهاد، وما ورد في هذا ما جاء في كتاب البخاري في «باب البيعة في الحرب». فعن نافع قال: قال ابن عمر رضي الله عنهما: رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا إثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله، فسألت نافعا عن أي شيء بايعهم، على الموت؟ قال: بايعهم على الصبر. وأخرج البخاري أيضا في نفس الباب عن حميد، قال: سمعت أنسا رضي الله عنه يقول: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

فأجابهم النبي ﷺ بقوله :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة   فاغفر للأنصار والمهاجرة

وفي حديث مجاشع بن مسعود السلمي قال: أتيت النبيﷺ أنا وأخي فقلت: بايعنا على الهجرة، فقال: مضت الهجرة لأهلها، فقلت علام تبايعنا؟ قال: على الإسلام والجهاد».(24)

* البيعة على السمع والطاعة وعدم منازعة الأمر أهله وقول الحق:

وقد عقد الإمام البخاري في كتابه بابا «كيف يبايع الإمام الناس» فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول اللهﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».(25) والحديث أيضا أخرجه الإمام مسلم مع بعض الزيادة في «كتاب الإمارة»، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.(26) كما أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الجهاد «باب البيعة». ولقد بايع النبيﷺ على سياق السمع والطاعة فيما استطاع؛ وذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة «باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع». فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كان يقول: كنا نبايع النبيﷺ على السمع والطاعة، يقول لنا: فيما استطعت». ومن سياق البيعة على الجهاد أن تكون على عدم الفرار من الزحف، وقد يدخل هذا في المبايعة

24) صحيح البخاري : 4/908.
25) صحيح البخاري : 8/122.
26) صحيح مسلم 3/1470.

على السمع والطاعة في المنشط والمكره، ومن الذي تكرهه النفس مواجهة العدو في الجهاد. وكما هو معلوم أن الفرار من الزحف محذور في الإسلام، وقد نهى الله عز وجل المومنين عن ذلك عند قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره، إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم، وبيس المصير**﴾.

وقد عده النبي ﷺ من الموبقات؛ أي المهلكات، وفي باب البيعة، فإن الإمام أو الخليفة عند مبايعته للجيش فإن البيعة تكون على إرادة القتال.

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة «باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، وقال: بايعناه على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت، كما أخرجه الترمذي في سننه، والنسائي في سننه أيضا، ولقد كانت بيعة النبيﷺ على أشياء كثيرة نذكر منها:

- البيعة على عدم العصيان وعدم الغش.
- البيعة على الأخوة والمصاحبة.
- البيعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصر.

فأما البيعة على عدم العصيان، وعدم الغش، فلما جاء في مسند الإمام أحمد عن عبيد الله بن عدي أخبره أن عثمان بن

عفان رضي اللـه عنه، قـال له: ابن أخي، أدركت رسـول اللهﷺ؟ قال: فقلت له: لا، ولكن خلص إلي من علمه، واليقين ما يخلص إلى العـذراء في سترها، قـال: فتشهد ثم قـال: أما بعـد: فإن الله عـز وجل بعث محمداﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب للـه ولرسوله، وآمن بما بعث بـه محمـدﷺ، ثم هـاجـرت الهجـرتين، كما قلت، وقلت: صـهر رسـول اللهﷺ وبـايعت رسول اللـهﷺ، فواللـه ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل.

وأما البيعـة على الأخوة والمصاحبـة، فلما جاء أيضـا في مسند الإمام أحمد عن علي رضي الله عنـه قال: جمع رسول اللهﷺ، أو دعـا رسـول اللـهﷺ بني عبـد المطلب، فيهم رهـط، كلهم يأكل الجذعـة ويشـرب الفترق،(27) قـال: فصنع لهم مـدا من طعـام وأكلوا حتى شبعوا، قال: وبقي الطعـام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمم(28) فشربـوا حتـى رووا، وبقي الشراب كأن لم يمس أو لم يشـرب، فقـال: يـا بني عبـد المطلب، إني بعثت لكم خاصـة وإلى النـاس عـامة، وقـد رأيتم من هـذه الآيـة مـا رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكـون أخي ومصاحبي؟ قال: فلم يقم إليـه أحد، فقال: فقمت إليه وكنت أصغر القوم، قال: فقال: إجلس، قال ثلاث مرات، كل ذلك أقـوم إليه، فيقـول لي: إجلس حتى كان في الثـالثة ضرب بيده على يدي.

27) الفرق : بـالتحريك، مكيـال يسع ستة عشر رطـلا، وهي إثنا عشر مـدا، وقيل: الفرق: خمسة أقساط، والقسط: نصف صاع.

28) بغمر : الغمر بضم الغين وفتح الميم : القدح الصغير.

وأما البيعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصر، فلما أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: يا أبا هريرة: إنك لم تكن معنا إذ بايعنا رسول اللهﷺ، إنا بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في اليسر والعسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله تبارك وتعالى ولا نخاف لومة لائم فيه، وعلى أن ننصر النبيﷺ إذا قدم يثرب.

بالإضافة إلى البيعات الفردية التي كان الرسولﷺ يتلقاها من المومنين، والتي تعددت صيغها وأنواعها كما سبقت الإشارة إلى ذلك. كما أن هناك بيعات جماعية شهيرة كانت على عهد النبيﷺ، والتي كانت نموذجا أساسيا بقي آثارها منقوشا في تاريخ الإسلام والمسلمين، لما كان لها من الأثر العميق في الدعوة الإسلامية، تلك البيعات هي:

- بيعة العتبة الأولى.
- بيعة العقبة الثانية.
- بيعة الرضوان.

لقد كانت بيعة العتبة الأولى في السنة الثانية عشرة من البعثة في موسم الحج، وأما بيعة العقبة الثانية، أو بيعة العقبة الكبرى، فكانت في موسم الحج من السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية، وقد سبقت الإشارة إليها في حديث جابر. وأما بيعة الرضوان فكانت البيعة الخالدة في تاريخ الإسلام، وذلك لما ترتب عليها من نصر وظفر للمسلمين، وقد تمت في السنة السادسة من الهجرة

في شهر ذي القعدة عندما خرج الرسولﷺ ومن معه معتمرا لايريد حربا، وساق معه الهدي، وكان عدد من معه أربع عشرة: مائة رجل أو أكثر على اختلاف الروايات في عددهم، فلما سمعت قريش بمسيرته خرجت إليه برجالها ونسائها وأطفالها تريد منعه من دخول مكة وأداء العمرة بالبيت، وقد بعثت إليه رسولها يسأله عن أمره، فأخبرهم برغبته في العمرة، وأرسل إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه من قبله، فتأخر عند قريش حتى أشيع الخبر بموته، فقال رسول اللهﷺ لأصحابه: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، ولم يتخلف عنه من المسلمين إلا رجل واحد يدعى الجد بن قيس، وكان أول المبايعين أبو سنان الأسدي.(29)

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وقال: بايعناه على ألا نفر ولم نبايعه على الموت كما تقدم قبل قليل. وفي حديث يزيد بن أبي عبيدة، قال: قلت لسلمة: على أي شيء بايعتم رسول اللهﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.(30)

وقد أنزل الله عز وجل في بيعة الرضوان قوله تعالى: **﴿لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾.**

29) سيرة ابن هشام : 3/327ـ 330.

30) صحيح مسلم : 3/1486.

هذا وقد أنكر الشرع الحكيم على من بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا، أي من أجل الانتفاع بالدنيا فقط، ولا يبالي بما هو أهم كإقامة شرع الله، وانتشار الإسلام. ولقد عقد الإمام البخاري بابا في هذا الشأن، فقال: «باب من بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا». فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لايكلمهم الله ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، إن أعطاه ما بيده وفى له، وإلا لم يف له، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فصدقه فأخذها ولم يعط بها».(31)

تكلم كانت الإشارة المقتضبة إلى البيعة في زمن النبي ﷺ، وإلى أنواعها وصيغها، والنصوص التي تدل عليها، ويسمى هذا بالقسم الأول، أو العهد الأول من البيعة الشرعية. وننتقل إلى القسم الثاني من البيعة الشرعية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

3 ـ البيعة في عهد الخلفاء الراشدين

من المعلوم عند أصحاب السير والنصوص الثابتة أن رسول الله ﷺ لم يعين صراحة من يخلفه من بعده على رأس الدولة الإسلامية.

ولم يترك وثيقة مكتوبة لأحد، ماعدا ما استنبطه الصحابة رضي الله عنهم من أن رسول الله ﷺ كلف صاحبه أبا بكر رضي

31) صحيح البخاري : 124/8.

اللـه عنـه بإمـامة المسلمين في الصـلاة، وكـان هـذا ممـا دفعهم لاختياره أول خليفة للمسلمين بعد رسول اللهﷺ، وأن عدم تعيين النبيﷺ لخليفته من بعده، وعدم العهـد لأحد من أصحابه يعتبر في رأي الفقهاء من مزايـا الإسلام وخصائص نظامـه المثالي الذي قام على الشورى والاختيار والـرضى؛ وذلك مادفع المسلمين بعد وفـاة النبيﷺ إلى الاجتماع بالسقيفـة للتشـاور واختيار خليفـة لرسول اللهﷺ يجمع كلمة المسلمين.

ولقد ثبت في الصـحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، أنه لما توفي رسول اللهﷺ اجتمعت الأنصار بـرئاسة سعد بن عبادة رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة، فقال: منا أمير ومنكم أمير. فـالتحق بهم أبو بكـر رضي الله عنـه، وعمـر بن الخطاب، وأبـو عبيـدة بن الجراح رضي اللـه عنهم أجمعين، فـذهب عمـر يتكلم فأسكته أبـو بكر، وكـان عمر يقـول: ما أردت بذلـك إلا أنني قد هيأت كلاما أعجبني خشيت أن لا يقبله أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر أبلغ النـاس، فقال في كـلامـه: نحن الأمـراء وأنتم الوزراء، فقـال الحبـاب بن المنذر: لا والله لا نفعـل، منا أمير ومنكـم أمير. فقال أبو بكـر: ولكنا الأمراء وأنتم الـوزراء، فبايعوا عمر أو أبـا عبيدة. فقال عمر رضي الله عنه: بل نبايعك، فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول اللهﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايع الناس.(32)

لقـد كـانت بيعـة السقيفـة مبـادرة حسنـة من المهـاجـرين، والأنصار، حيث حضر الأنصـار بقيادة سعـد بن عبادة، وحضر

32) تفسير الطبري : 3/202.

المهاجرون للتشاور حول الخلافة، وكان ممن حضر من المهاجرين أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، وقد رأى سعد ابن عبادة أن يكون أمر الخلافة للأنصار باعتبارهم أصحاب الكرامة وأنصار الرسولﷺ، كما رأى أبو بكر رضي الله عنه أن يكون الأمر للمهاجرين. ثم تكلم الحباب ابن المنذر باديا اقتراحه بأن يكون من كل فريق أمير، غير أن عمر رضي الله عنه حسم الأمر بتدخله قائلا: هيهات أن يجتمع إثنان في قرن، فمن ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته؟، فانضم الأوس إلى المهاجرين في رأيهم، وبهذا اغتنم عمر رضي الله عنه الفرصة وبادر إلى مبايعة أبي بكر، قائلا: «أبسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعه، وبايعه المهاجرون والأنصار». وكانت هذه بيعة خاصة، على أن تمت البيعة العامة لأبي بكر رضي الله عنه من طرف عامة المسلمين في اليوم التالي؛ حيث جلس على المنبر وبايعه الناس، وصار إماما للمسلمين بمبايعة جمهور الصحابة رضي الله عنهم له، وقد ألقى أبو بكر إثر مبايعته من طرف المسلمين خطبة قصيرة وشهيرة في نفس الوقت، والتي حدد فيها سياسته التي سينهجها، كما بين الخطوط العريضة لما سيقيمه من العلاقة بين الأمة والخليفة.(33)

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه مسلحا بالثبات رغم الفتن التي تراكمت على الإسلام والمسلمين من وجود من يدعي النبوة، وكثرة الارتداد عن الإسلام، وتكالب الأعداء عليه، إلى أن وافاه الأجل.

33) من كلام يوسف الكتاني.

بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لما مرض أبو بكر رضي الله عنه وأحس بدنو أجله لم يترك الأمر قبل أن يشير على المسلمين ويقترح عليهم بعض الصحابة الأكفاء الذين يتحملون هذا العبء الثقيل لخلافة المسلمين؛ وذلك خوفا من انقسام الأمة وحدوث الفتنة، فأوصى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن استشار أصحاب الرأي من الصحابة، وأجمعوا على رأيه، فأملى على عثمان ابن عفان رضي الله عنه عهده لعمر بالخلافة من بعده، ولم تكن خلافة عمر من أبي بكر فرضا على المسلمين، بل كانت على رضا الناس ومشورتهم، والأخذ برأيهم بالموافقة والاختيار، فقام عمر رضي الله عنه بأعباء الخلافة وأبلى البلاء الحسن، وأقام العدل بين المسلمين، وكانت في عهده فتوحات كثيرة، وبقيت راية المسلمين مرفوعة ترفرف على الرقعة الإسلامية، مشيدة بالعدل والمساواة إلى أن استشهد رضي الله عنه.

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عندما طعن عمر رضي الله عنه وأوشك على الموت، سأله بعض الصحابة أن يستخلف عليهم، ويعهد لمن بعده، أو يشير عليهم بمن هو مؤهل للخلافة، فاختار ستة من كبار الصحابة: عليا وعثمان وسعدا، وعبد الرحمان بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة رضي الله عنهم أجمعين، وأوصى أن تكون الخلافة للرجل الذي يقع عليه الاختيار، فقام عبد الرحمان بن عوف،

وأخذ بيد عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وقال: «أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمان وبايعه الناس، المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد، وبايعه المسلمون(34) ولم يتخلف عن بيعته أحد، فقام عثمان رضي الله عنه بأعباء الخلافة على أحسن ما يرام إلى أن استشهد رضي الله عنه، ولم يشر إلى من يخلفه من بعده.

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لقد كانت وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه فجأة، حيث قتل دون أن يوصي لأحد، وكان أكثر الصحابة متفرقين بالأمصار، فتمت بيعة علي بالرغم من تخلف بعض الصحابة، فأصبح خليفة للمسلمين، وقد وجد في خلافته عقبات بسبب تخلف بني أمية عن البيعة، ومن ضمنهم معاوية والذين معه من أهل الشام.

ومن كتاب لأمير المومنين علي رضي الله عنه إلى معاوية يقول فيه:

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمره خارج بطعن أو ببدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه

34) للبيهقي جـ : 8/147.

غير سبيل المومنين، وولاه الله ما تولى»(35) وكان من نتائج هذا أن حدثت الفتنة الكبرى. ولما قتل علي رضي الله عنه بويع لابنه الحسن، غير أنه تنازل لمعاوية حقنا لدماء المسلمين، وحرصا على وحدتهم، فصارت الخلافة في بني أمية.

4 ـ البيعة في عصري بني أمية وبني العباس

وأما بالنسبة للفترة الثالثة بعد فترة الخلفاء الراشدين، فنقف وقفة قصيرة نستعرض فيها ظاهرة برزت واستحدثت في عصر بني أمية؛ وذلك من تأكيد البيعة بالحلف بالطلاق والعتاق ومغلظات الأيمان، وذلك خشية انتقاض المبايعين للخلفاء والثورة على حكمهم. وقد اقترنت هذه الأيمان بالبيعة في تاريخ المسلمين. نتيجة للفتنة الكبرى التي فرقت المسلمين أحزابا وشيعا، وتحول نظام الحكم بعد معاوية؛ حيث ابتدىء بأخذ البيعة على يد الحجاج ابن يوسف الثقفي لعبد الملك بن مروان، ثم تأكدت هذه الأيمان وصارت لازمة للبيعة على عهد بني العباس، منذ أن طلبها لهم أبو مسلم الخراساني على الصيغة التالية:

«وأبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والطاعة والرضى من أهل بيت رسول الله ﷺ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله الحرام على ألا تسألوا رزقا ولا طمعا حتى يبتدئكم به ولاتكم».(36)

35) نهج البلاغة جـ 3/320.
36) نظام الحكم في الإسلام للجبري.

وقد اختلف نص يمين البيعة وصيغتها وكيفيتها باختلاف الدول. ولقد كانت تؤخذ أحيانا بالإكراه، ومن ذلك محنة الإمام مالك رحمة الله عليه، عندما أفتى بسقوط اليمين المكرهة، والتي أنكرها الولاة عليه، ورأوا فتواه قادحة في أيمان البيعة، ووقع له ما وقع من المحنة وناله ما ناله بسببها.(37)

وبعد هذه الإشارة الوجيزة إلى الفترة الثالثة، والتي كانت البيعة فيها للأمويين والعباسيين، ننتقل إلى نظام البيعة في المغرب، والتي كانت قبسا وأسوة للبيعة الإسلامية عبر تاريخ الإسلام.

5 ـ نظام البيعة في المغرب

من المعلوم أن يكون تاريخ المغرب امتدادا وجزءا من تاريخ العالم الإسلامي في أنظمته وقوانينه وأحكامه وبيعته الشرعية، وكان هذا منذ أن حل بهذه الديار المغربية حفيد النبيﷺ المولى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي وفاطمة رضي الله عنهم.

وكان قيام الدولة الإدريسية التي أسست قواعدها بربوع المغرب على يد المولى إدريس الأول سنة 172هـ.

وكان هذا التاريخ امتدادا للحكم الإسلامي والدولة الإسلامية؛ حيث كان هذا النظام نظام البيعة الإسلامية والتي تعتبر وسيلة اختيار الخلفاء، وأساس العلاقة بين الحاكم والمحكومين في الدولة الإسلامية. وهذه هي القواعد التي بنى عليها المولى إدريس الأول

37) التراتيب الإدارية.

دولته، وأرسى قواعدها الثابتة على المبدإ الإسلامي، وكان أول إمام اختاره المغاربة لدولتهم الجديدة برضى وطواعية واختيار عن طريق البيعة. وهذا هو النظام الذي دام عليه المغرب وجعله أساس حكمه، إذ استمر نظام البيعة أساس اختيار الملوك المغاربة وخلفائهم منذ الدولة الإدريسية إلى يومنا هذا، عبر تاريخ المغرب الطويل، الأمر الذي بقي علامة بارزة ومظهر استقرار الحكم فيه واستمراره، مما يعتبر مفخرة لتاريخنا، ومجداً عريقاً لكياننا.

لقد كانت بيعة المولى إدريس على الخلافة بيعة مرضاة بين الخليفة ورعيته؛ حيث اجتمع على بيعته أهل الحل والعقد، ووجهاء الأمة وزعماؤهم وعامتهم؛ حيث نزل على الزعيم المغربي إسحاق بن عبد الحميد الأوربي الذي أكرمه وشرفه وعرف نسبه وشرفه للمغاربة، فقبلوا خلافته عن طواعية واختيار.

وقد كانت بيعة المولى إدريس بن عبد الله إماما ومؤسسا للدولة المغربية الإسلامية بمدينة وليلي بتاريخ 4 رمضان المعظم سنة 172هـ الموافق لـ: 789.2.6م على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في الصلوات والغزوات وسائر الأحكام، ولقد خطب فيهم خطبته الشهيرة والمذكورة بالتفصيل في كتب التاريخ.

لقد اتخذت البيعة في المغرب نظاما ومسلكا ثابتين بلغا أسمى الغايات وأنبل المقاصد لكونه قام على أسس مكينة وقواعد ثابتة، إذ كان أهل الحل والعقد يبادرون إلى بيعة الخليفة أو الملك بمجرد انتقال الملك السابق إلى جوار ربه، وذلك من طرف الشرفاء والعلماء والرؤساء بعد الاجتماع والمشاورة؛ حيث كان يقع

الإشهاد على ذلك أمام العدول، وهكذا يجري ذلك في كل المدن والقبائل، وفي سائر الحواضر والبوادي، ثم ينادى بالدعاء للملك الجديد بالعز والتأييد، ويتلو ذلك الإعلان مظاهر الأفراح، ثم ينصب الملك الجديد على العرش المغربي في مهرجان كبير وحفل بديع، وهكذا تكون البيعة على طريقة تحرير العقود في أسلوب أدبي يتضمن قواعد البيع وأركانها والتزامات كل من الرعية والملك، وتذيل بتوقيعات مختلفة لمختلف الطبقات والفئات والإشهاد على ذلك والإقرار به، كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب «العز والصولة».

ولقد كان عصر الموحدين مشهورا بالبيعة المكتوبة من خلال السجلات والمخطوطات والرسائل والظهائر، كما أكد ذلك بعض الباحثين، حيث ثبت لديهم أنه لم تكن البيعة مكتوبة قبل هذا العهد، وأضافوا قائلين: إنه لحد الآن لم يتصد أحد الباحثين لدراسة واستقصاء جميع البيعات المكتوبة ونشرها بين الدارسين لتتم الاستفادة منها ومن مجموع البيعات المغربية المنشورة في كتب التاريخ كمنهال الصفا، والقرطاس، وابن خلدون، والاستقصا، والعز والصولة، وغيرها».

وعلى ضوء هذه المراجع المهمة استخرج بعض الباحثين شروط تلك البيعات المغربية كلها، وتتلخص في شروط ثلاثة:

1 – البيعة بالاضطلاع بأعباء الرعية.

2 – الحرص على صيانة الشريعة الإسلامية.

3 – الإخلاص لله سرا وعلانية.

ويشير هذا كله إلى البيعة على السمع والطاعة والانتظام في سلك الجماعة، وعلى الأمن والأمانة والعفاف والديانة والعدل، كما جاء في بيعة أهل السودان للمنصور الذهبي. «منهال الصفا»، وعلى ما بايع الرسولﷺ وما بويع عليه من لدن الصحب والآل، وكذا ما بويع عليه خلفاؤه الراشدون على السمع والطاعة وملازمة السنة والجماعة في بيعة المولى يزيد بن محمد. كما جاء في كتاب الاستقصا إلى أن قال: وبيعة نبتغي بها رضى الله، وننتظم بها في جماعة المسلمين، وما ألزمه الله من حقوقنا في جملة الرعية... بيعة مستمدة من بيعة الرضوان، كما جاء في بيعة الرباط لمولاي عبد الرحمان العلوي سنة 1238هـ(38) وكما جاء في بيعة أهل تطوان للحسن الأول، وعلى استرجاع الأقاليم الضائعة، وتحرير المدن المحتلة، ورفض كل تدخل أجنبي في شؤون البلاد، كما هو الشأن في البيعة الحفيظية التي كانت تعتبر مطالبة من الشعب المغربي بالملكية الدستورية في وقت تكالبت فيه الأطماع الاستعمارية على بلادنا.

كما تعتبر من البيعات المقيدة بالشروط المنصوص عليها بعدم الاعتراف بمعاهدة الجزيرة، وإلغاء الامتيازات الأجنبية، وطرد جيوش الاحتلال والرجوع إلى الشعب والاستشارة معه.(39)

وهكذا مرت البيعة لملوك المغرب حسب تعاقب الدول التي حكمته عبر التاريخ، إلى أن آل الأمر إلى الدولة العلوية الشريفة

38) نص البيعة الموجود في كتاب : العز والصولة.

39) بحث يوسف الكتاني.

التي سبقت الإشارة إلى مقتطف منها، وإلى أن آل الأمر إلى البيعة الحسنية التي خولها له والده الراحل محمد الخامس رحمة الله عليه لما كان على قيد الحياة؛ حيث ولاه ولاية العهد وأجمع على ذلك المغرب عن بكرة أبيه؛ وذلك بتاريخ ذي الحجة الحرام عام 1376هـ الموافق لشهر يوليوز 1957م، ثم بايعه الشعب المغربي ملكا على المغرب ليواصل أعمال أسلافه الكرام؛ وذلك في شهر رمضان عام 1380هـ، الموافق لشهر فبراير سنة 1961هـ.

العصر الحسني :

لقد تميز العصر الحسني الحالي بتجديد بيعة أهل الصحراء، بعد أن جلا عنها الاستعمار، وتخلصت من ربقته إلى الأبد بفضل الله، ثم بفضل قيادة الملك الرائد الحسن الثاني وجهاد المغاربة ونضالهم من أجل توحيد وطنهم واستكمال تحريره، فكانت المسيرة الخضراء المظفرة، وتعلق الكل بأهداب العرش العلوي، وكانت هذه البيعات الخالدة في العصر الحسني من طرف الصحراويين في الداخلة ووادي الذهب، إيذانا بانتفاضهم على الحكم الدخيل، وانضمامهم إلى وطنهم الأم طائعين راضين مختارين حيث أقبلت وفودهم إلى مدينة الرباط للمبايعة وتجديد العهد وربط الصلة بملك البلاد، والدخول تحت الراية المغربية، وجمع الشمل، وصلة الرحم مع إخوانهم المغاربة الذين كان الاستعمار قد فرق بينهم وشتت جموعهم.

وها هو قضاء الله وقدره حكم باجتماع شمل الأمة المغربية، وأنعم عليها بوحدتها الوطنية، وعادت المياه إلى مجاريها. ولم

تكن جملة المغاربة الصحراويين منفصمة عن ملوكهم رغم حيلولة الاستعمار، وإنما الرابطة الشرعية، أي رابطة البيعة لم تنقطع، حيث كان علماء الصحراء يقومون بواجبهم بالدعاء والنصر والولاء لملوك المغرب في المناسبات وفي خطب الجمع والأعياد وغيرها، محافظين في ذلك على رابطة البيعة، وقد كان الاتصال متينا بين العرش والشعب الصحراوي الشرقي، كما تدل على ذلك الوثائق التي لا تزال محفوظة في خزانات المغرب.

ومسك الختام مقتبس من كلام سيد الأنام عليه الصلاة والسلام يبين فيه أن البعد عن الفتنة والنجاة من النار، والفوز بالجنة دار السلام في أمور ثلاثة:

1 – الإيمان بالله واليوم الآخر.

2 – أن تحب للناس ما تحب لنفسك.

3 – أن تبايع إمامك وتطيعه ما استطعت.

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: كنا مع رسول اللهﷺ في سفر، فنزلنا منزلا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول اللهﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول اللهﷺ، فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتن يرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة، فيقول المومن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة، فيقول

المومن هذه هـذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويـدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يوتى إليـه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يـده، وثمرة قلبه فليطعـه إن استطاع، فإن جـاء آخر ينـازعه، فـاضربوا عنق الآخر».

وعن ابن عمر رضي اللـه عنهما قال: سمعت رسـول اللهﷺ يقول: «من خلع يدا من طـاعة لقي الله يوم القيامـة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».(40)

وفي رواية لمسلم، قال رسول اللهﷺ : «ومن مات وهو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية».

الأستاذ البشير اليونسي

40) رواه مسلم.



ـ البحث السابع ـ

دور علماء المناطق الصحراوية
في تثبيت الوحدة الوطنية

لفضيلة الأستاذ محمد المنوني

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

- البحث السابع -

بسم الله الرحمن الرحيم

دور علماء المناطق الصحراوية في تثبيت الوحدة الوطنية

لفضيلة الأستاذ محمد المنوني

تهدف هذه المداخلة إلى عرض نماذج من مواقف علماء الصحراء إزاء تثبيت الوحدة الوطنية، وسننتزع هذه المبادرات من تعامل ثلة من علماء المنطقة حيال هذه الوحدة.

ومن هنا نلتقي - أولا - مع عبد الرشيد الشنجيطي، وقد ترجمه الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معجم المشايخ، وهو فهرس مطول لمشايخ المؤلف والآخذين عنه، فيذكر من بين تلاميذه الترجمة التالية:

عبد الرشيد الشنجيطي، الشاب الصالح، أحد المجاورين بالمدينة النبوية، سمع مني أشياء، وكان وصوله سنة 1199 ومعه فتوى، إذ عارض بعض أهل المدينة في إدخال أهل شنجيط في وقف المغاربة، وزعم أنهم من السودان، فوصل إلى مدينة فاس واستفتى علماءها، فكتب عليها شيخنا التاودي بأنهم من خلص المغاربة، وكذا كتب عليها غيرها من العلماء، واتصل خبره إلى السلطان (محمد بن عبد الله)، فكتب له منشوراً بإثبات ذلك،

فورد علي وأراني خطوطهم، وكتب عليها كذلك بعض علماء مصر، وتوجه إلى المدينة المنورة، ثم بلغني أنه توفي بعد سنة.(1)

وبعد عبد الرشيد نبرز ثلاثة من أعلام المنطقة، بادروا إلى تقديم بيعاتهم للسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام: بدءاً من الشيخ ابن طوير الجنة: أحمد المصطفى الوداني، ثم الشيخ المختار الكنتي الحفيد، وأخيه الشيخ أحمد البكاي الكنتي.(2)

وننتقل – الآن – إلى إمام تندوف: الشيخ محمد المختار ابن باللعمش الجكني، وقد قدم البيعة إلى السلطان محمد الرابع: أصالة عن نفسه ونيابة عن قبيلة، وصاغها – ضمن رسالته – في هذه الفقرة: «وقد بايعناك على السمع والطاعة، ولزوم السنة والجماعة، والتمسك بالدعوة ببقائها إلى قيام الساعة... وهات يدك يقبلها قرطاسي، نائباً عني وعن جميع ناسي».(3)

وإلى إمام تندوف نبرز الشيخ ماء العينين: محمد مصطفى بن الشيخ محمد فاضل بن محمد مامين الحسني الشنجيطي، وقد كان شعاره – دائما – أن منطقة شنجيط في بيعة العلويين من عهد السلطان مولاي إسماعيل،(4) وفي هذا الإطار زار المغرب تسع

1) «معجم المشايخ» «كان في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 12827.

2) عن هذه البيعات الثلاث يرجع إلى محمد المنوني: «نماذج من بيعات المناطق الصحراوية لملوك الدولة العلوية» منشور ضمن «سجل ندوة البيعة والخلافة في الإسلام» ص: 531 – 543.

3) نص الرسالة الجكنية بخط صاحبها: في خزانة خاصة.

4) من نماذج ذلك ما ورد في رسالة الشيخ ماء العينين للسلطان العزيز بتاريخ 13 رمضان 1322، حيث ورد نصها عند الشيخ محمد الإمام في «الجأش الربيط» مطبوعات «دار العلم» 1376/1957 ص: 22.

مرات للمفاوضة في الدفاع عن الصحراء،(5) وكانت قدمته الأولى على عهد السلطان الحسن الأول عام 1304، حيث أناط به العاهل المغربي مهمة الإشراف على الطرفاية والداخلة وما بينهما،(6) وكان في زياراته ترافقه أفواج من تلاميذه العلماء، حتى يساهموا في تعزيز الوحدة الوطنية، على أن أكبر وفد من علماء الصحراء، هو الذي رافق الشيخ ماء العينين في وفادته على السلطان مولاي عبد الحفيظ عام 1325، ولحسن الحظ احتفظت بعض المصادر بزمرة من هؤلاء العلماء، فلنذكرهم توّاً.

– سيد المختار بن الشيخ القاضي، من رؤساء الزوايا(7) من قبيلة أجيجت.

– الشيخ سيدي بن الشيخ أحمد بن سليمان، من قبيلة أبناء ديمان.

– ومن قبيلة تجكانت أبناء (أحمد) بن ما يأبى: الشيخ محمد الخضر وإخوته (محمد حبيب الله، ومحمد العاقب).

– ومن نفس القبيلة: الشيوخ محمد بن البيضاوي وإخوته، ومحمد البيضاوي بن أمانة الله.

5) فصل سبعة، منها الحسن بن الطيب بوعشرين، في تاريخه: «التنبيه المعرب عما عليه – الآن – حال المغرب «مخطوطة خاصة قيد الطبع 1/246 – 248.

6) محمد المختار السوسي (المعسول): 4/98.

7) في تعبير أحمد بن الأمين: «... صار لفظ الزوايا علما على قبائل كثيرة، أغلب سيرها في تعلم العلم وتعليمه، وتعمير الأرض بحفر الآبار، وتسيير القوافل، وقرى الضيف «الوسيط» المطبعة الجمالية بمصر 1329/1911: ص: 457، وفي تعبير آخر لنفس المصدر ص: 489: «أما الزوايا فلا يوجد من بينهم ذكر أو أنثى إلا يقرأ ويكتب...

– وأما بلاد أدرار: فلم يبق فيها أحد ممن يعتد به من العلماء والزوايا.(8)

– ومن هؤلاء العلماء: محمد تقي الله الجكني.(9)

– الأمين بن عبد الله الإيماني الذي قدم للعاهل الحفيظ قصيدة موضوعية.(10)

– وممن استوطن المغرب من هؤلاء الوافدين وغيرهم: محمد الأغظف بن أحمد مولود الولاتي الحوضي، شارح نظم المغني للسلطان الحفيظ.(11)

– ومحمد يحيى بن محمد المختار الولاتي الحوضي، المتوفى – بالرباط – عام 1330.(12)

– وأبناء ما يأبى الثلاثة سابقي الذكر: محمد الخضر، وكان يحضر الدروس الحفيظية(13) وأخوه محمد حبيب الله، وقد

8) «الجأش الربيط» مصدر سابق: ص: 24.

9) ترجمة الشيخ محمد حبيب الله الجكني من جمع بعض تلامذته، حيث نشرت بذيل «زاد المسلم»، دار إحياء التراث العربي – بيروت 5/550.

10) القصيدة مع تقديم صاحبها، في جريدة «صحراء المغرب» ع71 – 72 مزدوج ص: 17 – 18.

11) الشرح منشور بالمطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة 1325هـ في سفرين، ومنه مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 132، مكملة بخط مؤلفها الذي فرغ من تأليف الشرح في شعبان 1323هـ.

12) ترجمته عند محمد بن محمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» المطبعة السلفية بالقاهرة 1350هـ: ص: 435، وانظر عنه أيضا – «إيليغ قديماً وحديثاً» المطبعة الملكية بالرباط: ص: 296: تعليق.

13) من خط المؤرخ عباس بن إبراهيم في إحدى كناشاته.

أصحبه السلطان الحفيظ معه إلى طنجة لمذاكرته في المسائل العلمية، إلى أن هاجر منها للمدينة المنورة،(14) ثم أخوهما محمد العاقب المتوفى 18 رمضان بفاس 1327.(15)

– ومن هؤلاء المستوطنين بالمغرب، محمد العاقبْ بن محمد مبارك بن عبد آل الجكني، وكان يحضر الدروس الحفيظية بالرباط.(16)

– ومحمد البيضاوي بن أمانة الله سابق الذكر.(17)

– وماء العينين بن العتيق سبط الشيخ ماء العينين من بنته الفقيهة العالية.(18)

– وابن خالته المحفوظ بن الحضرمي.(19)

– وعبد الله بن الأديب اليعقوبي.(20)

– ومحمد الأغضف بن الشيخ ماء العينين.

– ومحمد بن عبد العزيز بن حامن، كاتب الشيخ أحمد الهيبة وقاضيه.(21)

14) «ترجمة الشيخ محمد حبيب الله» مصدر سابق: 5/550.
15) تاريخ وفاته ومكانها من «النفحة الأحمدية» للشيخ أحمد بن الشمس، المطبعة الجمالية بمصر 1330هـ: 2/122.
16) من خط المعتني محمد بن عبد القادر فرفرة الرباطي في إحدى كناشاته مع تتميم اسمه من «النفحة الأحمدية» مصدر سابق: 2/103.
17) «الجأش الربيط» مصدر سابق: ص: 41.
18) «المعسول» مصدر سابق: 4/295 – 298 وله ترجمة أخرى في جريدة «صحراء المغرب» ع 7.
19) «المعسول»: 4/299 – 302.
20) «الجأش الربيط» مصدر سابق: ص: 41 – 42.
21) ترجمته في المعسول 4/299.

- ومحمد المامون بن محمد الفاضل الشنجيطي، مؤلف:

1 - «لحظات القلوب» «المطبعة الجديدة بفاس 1348هـ

2 - «الأسئلة الناضرة عن الدابة المنتظرة»(22) «نفس المطبعة والسنة».

أما الشيخ أحمد بن الشمس الحاجي الأنصاري ثم الشنجيطي: فقد وفد لفاس من عام 1320(23) برسم النيابة عن شيخه الشيخ ماء العينين في زاويته بفاس، ثم استمر بها إلى أن هاجر - عام 1330هـ - للمدينة المنورة، وبها كانت وفاته عام 1342،(24) وكان بين علماء شنجيط الذين يحضرون الدروس الحفيظية بفاس.(25)

وقد كان بين هؤلاء العلماء من امتدت بهم الحياة، حتى جددوا - بعد الاستقلال - بيعتهم للملك المرحوم جلالة محمد الخامس، ومنهم الشيخ ماء العينين بن العتيق، حيث نزل بمراكش، وبها كانت وفاته عام 1376/1957، ثم الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين.

---

22) نقضه وأبطل تأويلاته العالم المحقق إدريس بن أحمد الوزاني الحسني الفاسي، في تأليف باسم «الرسالة الذابة عما ورد في شأن الدابة» المطبعة الجديدة بفاس 76 ص في قطع فوق المتوسط.

23) «النفحة الأحمدية» مصدر سابق: 1/2.

24) عبد الحفيظ الفاسي في «معجم الشيوخ» المطبعة الوطنية بالرباط 1350/1932: 126/127.

25) من خط المؤرخ عباس بن إبراهيم في إحدى كناشاته.

في آخــرين، في طليعتهم الشيخ محمـد الإمــام أخـو محمـد الأغظف، وقد اختاره جلالة الملك محمد الخامس لتمثيل الصحراء المغربية في المجلس الوطني الاستشاري.

وإلى هؤلاء نأتي بشهادة موضـوعية، سجلها عالم صحراوي هاجر إلى القاهرة واستوطنها، والقصد إلى أحمد بن الأمين العلوي الشنجيطي المتوفى عام 1331/1913، فينثر في كتابه: «الوسيط»(26) الفقـرة التـالية: «شنجيـط من المغرب على مـا كنـا نعهـد، وذلك معروف عند أهل شنجيط وأهل المغرب».

على أن النمـوذج المعاصر لاستـدامة هـذه الوحـدة، انبثق من الموقف المشرف الـذي تبناه قـاضي العيـون: العالم الغيـور الحاج إبراهيم الليلي، فقد حفزته وطنيتـه إلى تقديم استقالته من منصب القضاء بمنطقة العيون، احتجاجاً على استمرار الاحتلال للصحراء الغربية، وشفع مبادرته بـالهجرة إلى المغرب المحرر مجدداً البيعة لصاحب الجلالـة الملك الحسن الثاني: أصـالة عن نفسه، ونيـابة عن قبيلته، وكان ذلك بتاريخ 15 شوال 1394/31 يناير 1974،(27) وسيأتي نص الاستقالة في ملحق على حدة.

أخيرا، نذيل بالإشـارة إلى ثـلاث مؤلفـات تتـصل بموضـوع هذا العـرض، وأولـها رحلة دونها الشيــخ مربيـه ربه عـن سفر

26) مصدر سابق: ص: 410.

27) هناك مقـال في التمجيد لموقف قـاضي العيون كتبه العـالم الغيور المرحـوم عبد الحمن العمراني الإدريسي الفاسي، من أساتذة كلية الشريعة بفاس، وشره في مجلة «دعوة الحق» بالعدد 10 من السنة 16. 1395/1975: ص: 174 – 178.

والده الشيخ ماء العينين إلى السلطان العزيز عام 1322هـ (28)

ثانيا: «الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط» «تأليف الشيخ محمد الإمام المتكرر الذكر، من مطبوعات دار العلم» 90 ص.

ثالثا: «أرجوزة» مطولة، شاهدة برسوخ هذه الوحدة بين المغرب والصحراء، نظمها أديب شنجيطي معاصر احتفظ بذكر اسمه، من منشورات جريدة «صحراء المغرب» على امتداد تسعة أعداد: 8 – 16.

الأستاذ محمد المنوني

28) أشار لها في «المعسول» 4/ 98.

ملحق

نص وثيقة قاضي العيون

امتثالاً لأمـر الله عـز وجل، واستجابـة لنداء الـوطن العـزيز، جئت مجدداً البيعة لأمير المؤمنين، صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني دام ملكـه، وذلك أصالـة عن نفسي، وعن بقية أفـراد قبيلة الشرفاء نـوبالت جميعـاً بالجزء المحتل، وبـاسم زاوية أهل الليلي خاصة، معلنين لأمير المؤمنين أننا جنـود مجندون وراء جلالته في سبيل تحرير المناطق المغربية المغتصبـة، راجين من سدته العالية باللـه، أن يعتبر وفادتنـا تمثيلاً لجميع رعايـاه هناك، نظـراً لقوة الحواجز والموانـع التي أوجدها الاستعمار، وأصبحـت بها المنطقة تحت وطأة من القهر والغلبة شـديدة جدا، لا يمكن الخروج منها إلا بشق الأنفس لكل أحد، ولا الالتحاق بالجزء المحرر إلا نادراً.

وحرر بالعيون بتاريخ 15 شوال 1394هـ، موافق 31-1-1974.

إبراهيم بن سيدي يعقوب الليلي، ثم الطـابع بداخله: «المحكمة الشرعية بالعيون».



- البحث الثامن -

البيعة النبوية أساس في إقامة الدولة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ محمد الحبيب التجكاني

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

ـ البحث الثامن ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البيعة النبوية أساس في إقامة الدولة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ محمد الحبيب التجكاني

الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وبعد، فقد جاء في خطبة للنبيﷺ يدعو فيها أهله وعشيرته إلى الإسلام أنه قال:

إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدا، أو النار أبدا». (1)

بمثل هذه الكلمات والمبادىء كان الرسولﷺ، يدعو إلى الإسلام، في مراحل التبليغ الأولى، مركزا على الإيمان بالله، واليوم الآخر، وعلى تذكير الإنسان بمصيره الأخروي، دون أن يشير أية إشارة إلى طلب النصرة، وإن كانت هذه النصرة قد عرضت، وتم الالتزام بها من طرف المدعوين الذين آمنوا بالله وبرسوله، أو من طرف قرابة الرسولﷺ، كعمه أبي طالب بن عبد المطلب: وظل

1) الرحيق المختوم، المبار كفوري، ص : 90.

الأمر هكذا لمدة، تردد فيها الرسولﷺ على مجامع الناس في الأسواق والمواسم مناديا: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا».(2)

وبعد عشر سنوات من العمل الدعوي الذي انتهى إلى حصار قريش للدعوة والدعاة، توجه الرسولﷺ، إلى خارج مكة، ابتداء من الطائف، حيث دعا لا إلى الالتزام بالإسلام وحده، ولكن دعا إلى نصرة الرسولﷺ وحمايته، حتى يستطيع تبليغ رسالة ربه إلى الناس، قالﷺ: لبني عامر: «من رجل يحملني إلى قومه، فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشا منعوني أن أبلغ رسالة ربي»،(3) وقال لبني شيبان: «أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»(4). وقال لمجموعة من الأوس والخزرج في بيعة العقبة: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم، وأشترط لأصحابي المواساة في ذات أيديكم.

قالوا: هذا لك، فما لنا ؟ قال: الجنة؛ قالوا: أبسط يدك.(5)

2) المنهج الحركي للسيرة النبوية، الغضبان، ج 1، ص 142.
3) نفس المصدر.
4) نفس المصدر.
5) مجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله، ص : 48.

إن هذه البيعة على النصرة والحماية من أجل ممارسة الدعوة تعني أن الهدف الأسمى في الإسلام هو الدعوة لإقامة المجتمع المسلم، وأن الدولة ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي وسيلة للدعوة قصد إيجاد ذلك المجتمع الذي تسوده كلمة الله عز وجل، وكلمة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ وهذا ما يفسر لنا أن الرسولﷺ لم يكن يأخذ البيعة على الناس بالنصرة والسمع، والطاعة، والشهادة في سبيل الله، وحدها؛ وإنما كان يأخذ البيعة مع ذلك، أو بدونه، على الالتزام بأحكام الإسلام، أو بجملة منها، يقدر أن أخذ العهد بها يحتل مرتبة الأولوية في ظروف مكانية وزمانية معينة:

فعن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول اللهﷺ، على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول، أو نقوم، بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.(6)

وعن جرير قال: بايعت النبيﷺ، على السمع والطاعة، وأن أنصح لكل مسلم.(7)

وعن جرير قال : أتيت النبيﷺ، وهو يبايع، فقلت: يارسول الله، أبسط يدك حتى أبايعك، واشترط علي، فأنت أعلم، قال: أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين.(8)

6) صحيح سنن النسائي، رقم : 3.870.
7) صحيح سنن النسائي، رقم 3.876.
8) نفس المصدر، رقم : 3.892.

وعن أم عطية قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ البيعة على أن لا ننوح.(9)

وإذن : فمفهوم البيعة : أنها عقد رضائي بين الأفراد الراشدين للأمة، أو لشعب من شعوبها، والمرشح لقيادتها، على أساس التزام الطرفين بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ. ومن ثم، فالله عز وجل، بصفته مصدر النظام الاجتماعي، بما فيه عقد البيعة، التي لم تشرع إلا لحماية ذلك النظام، الله عز وجل ذو حضور متميز في العقد :

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما﴾. (الفتح: 10).

* * *

البيعة حق لمن يقومون بها تجاه المرشح، فالناس في الإسلام خلفاء عن الله تعالى في الأرض:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: 30). ومقتضى هذه الخلافة على مستوى البيعة أن الناس يتوفرون على الأهلية الكافية لاختيار من يقود مسيرة الأمة، أو الشعب، على أساس هدي الله ورسوله، الذي يحتكم إليه الجميع، بمقتضى شهادة الحق: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

9) نفس المصدر، رقم : 3.896.

ومعنى هـذا : أن السيـادة كسلطـة عليـا تشتق منهـا جميع السلطـات، هـي، في الإسلام للـه عـز وجل: على خـلاف النظريـة الـوضعية التي تسنـد السيادة لـلأمة، بينما لـلأمة في الإســلام، سلطة الممارسة بالخلافة، ضمن مقتضيات سيادة الله عز وجل:

﴿وهـو الذي في السماء إلاه وفي الأرض إلاه، وهـو الحكيم العليم، وتبـارك الـذي لــه ملك السماوات والأرض ومـا بينهما﴾. (الزخرف : 84 ـ 85).

ولقد خـاطب أحـد الوافديـن رسول اللـهﷺ، بعبارة: يـاسيد قريش، فقال الرسولﷺ: السيد الله.(10)

ومن جهة أخرى، تعتبر البيعـة واجبا ملقى على كاهل المكلف، بمقتضى عهد الأمانة، الذي حمله الإنسان:

﴿إنـا عـرضنا الأمـانـة على السماوات والأرض والجبـال، فأبين أن يحملنهـا، وأشفقـن منهـا، وحملهـا الإنســان﴾. (الأحزاب: 72) ومن الأمـانـات: أن يجد الإنسـان ليجعل الأرض عمـرانا مـاديـا، وثقافيـا، وحضاريـا متماسكـا، يكفل للإنسـان الشعور بنعمة الله تعالى، فيزداد توجهـه نحو الله تعالى بالعبادة والمحبة :

﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود : 61).

﴿والذي خلق الأزواج كلهـا، وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون، لتستووا على ظهـوره، ثم تذكروا نعمة ربكم، إذا

10) صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم : 3.594.
وانظر: الوجيز في الحقوق الدستورية، لمصطفى البارودي، ط 3، ص. 39 – 46.

استـويتم عليـه، وتقولـوا: سبحـان الـذي سخر لنـا هـذا﴾ (الزخرف : 12 ـ 13).

وأول شروط العمـران استتبـاب الأمن، وتـوفـر الاستقـرار، واستمرار التنميـة الشاملة المتـوازنة، وهذا لا يتحقق إلا بـوجود سلطة تنبثق من الأمة أو الشعب، بواسطة عقد البيعة، تتفاعل مع الرعية في كل الظروف.

من هـذه الوجهـة جعل الإسلام مبـايعة إمـام من الواجبـات التعبـدية التي تخرج الإنسـان المسلم من الجاهلية إلى الإســلام، كما جعل الاستمـرار على التـزامـات البيعـة كـالـولاء، والسمع، والطاعة في المعـروف، من وسائل النجاة أمام اللـه عز وجل، يوم العرض عليه:

(من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية).(11)

بل إن الإسلام اشترط لاعتبار الـوفاء بالتزامـات البيعة عبادة يتقرب بها إلى الله تعـالى أن يكون ذلك الوفاء مرتبطـا بمشاهدة الله تعـالى ومراقبتـه، كطرف في العقـد؛ بحيث لا يكـون للأطماع المادية أي دخل في هذا الوفاء، فقد قال الرسولﷺ:

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»:

ـ رجل على فضل ماء بفلاة، يمنعه من ابن السبيل.

11) صحيح الإمام مسلم رقم : 1.851.

- ورجـــل بايـــع رجـلا بسلعـة، بعـــد العـصـــر، فحلـف بالله: لأخـــذهـا بكـــذا وكـــذا، فـصـدقـه، وهـو علـــى غـــير ذلـك.

- ورجل بايع إماما، لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفَّــى، وإن لم يعطه نكث.(12)



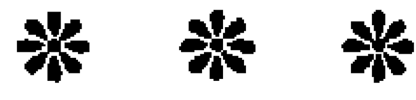
إن الترشيح للبيعة قد يتم بمبادرة من الأمة، أو الشعب، ممثلا في أهل الحل والعقـد، وقد يتم بمبـادرة من الإمـام السابق الـذي يرشـح خلفه، عن طـريق ولاية العهـد، كما فعل الخليفة الـراشد الأول أبو بكـر الصديـق، رضي الله عنه، الـذي عهد إلى عمـر بن الخطـاب، رضـي اللـه عنه، وكتب في ذلك، العهـد المشهور الـذي نصـه:

بسم الله الرحمن الرحيم،

هذا ما عهد به أبو بكر، خليفة محمد رسول اللهﷺ، عند آخر عهـده بالـدنيا، وأول عهـده بالآخـرة، في الحال التي يؤمن فيهـا الكـافـر، ويـوقن فيهـا الفـاجـر، أني استعملت عليكم عمـر بن الخطـاب، ولم آل لكم خيرا، فإن صبر وعـدل، فـــذلك علمي بـه، ورأيي فيـه؛ وإن جار وبـدل، فلا علم لي بـالغيب، والخير أردت،

12) صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم : 3.063.

ولكل امرىء ما اكتسب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون(13) (الشعراء: 227).



يترتب على البيعة وجود مؤسسة الإمامة، التي وظيفتها في الإسلام أن تنوب عن صاحب الشرع، الرسول عليه الصلاة والسلام، في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به؛ فالإمام يحفظ على الأمة كتابها المجيد، وسنة نبيها عليه السلام، فيحميهما من التعطل والتحريف، ويسير شؤون الأمة ومصالحها على مختلف المستويات، طبقا لمقتضيات شرع الله عز وجل.

ومعنى هذه الوظيفة : أن الدولة / الإمامة، هي دولة متدخلة، وليست دولة حارسة، كما هو مفهوم الدولة لدى الليبرالية القديمة، إلا أن تدخل دولة الإمامة مضبوط بسيادة الشريعة على مستوى الثقافة، وعلى مستوى الممارسة، حفاظا على مقومات الحياة الإسلامية وتنمية لسلوكاتها في الحرية، والمساواة، والعدل، والشورى، والوحدة: **﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾.** (المائدة: 49).

13) دراسة في منهج الإسلام السياسي، سعدي أبو جيب، ص: 217، نقلا عن العقد الفريد لابن عبد ربه في العقد الفريد، ج 5، ص: 18.

﴿يا داوود، إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى، فيضلك عن سبيل الله﴾. (ص: 26).

ونظرا لهذه الوظيفة التي يقوم بها الإمام، وينوب فيها عن الرسول عليه الصلاة والسلام ويخلفه فيها. اهتمت السنة النبوية بتحديد الالتزامات والآداب الإسلامية تجاه الإمام:

أ ـ الإمام هو درع الأمة أو الشعب، الذي يقيه المخاطر والمهالك، وهو رائده الذي يكد ويقاتل به، ومن ورائه، في معارك الحروب، والاستقرار، والتنمية، يقول الرسولﷺ «إنما الإمام جنة، يقاتل به».(14) «إنما الإمام جنة، يقاتل من ورائه».(15)

ب ـ الإمام يجب له الاحترام الشامل والإجلال من قبل شعبه أو أمته، لأنه رمز الوحدة، والفعالية المتجهة نحو الله تعالى: (من أجل سلطان الله في الأرض أجله الله)،(16) «ومن أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله».(17)

ج ـ الإمام تجب له المحبة الصادقة، حتى تنسجم القمة والقاعدة ويتجه حماس الكل لبناء المجتمع الصالح، وتشييد حضارته المجيدة، «خيار أئمتكم الذين تحبونهم، ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم».(18)

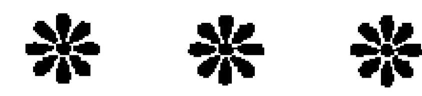
14) صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم : 2.317.
15) نفس المصدر، رقم : 2.318.
16) نفس المصدر، رقم : 5.827.
17) نفس المصدر، رقم : 5.987.
18) صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم : 3.253.

د ـ الإمام يجب أن يسمع كلامه بوعي واستيعاب، وأن يطاع، وأن تقدم له المعونة اللازمة بالغالي والنفيس، وبالتالي أن يطاع، ويعان ولاته الساهرون على تنفيذ أوامره، في إطار سيادة الله تعالى في الأرض.

على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يومر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة.(19)

(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني).(20)

﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله﴾ (المائدة: 2).



ولتحقيق التعاون المستمر بين الإمام ورعيته، شرع الإسلام حقين جعلهما مشتركين بينهما، هما النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالإمام يتعهد الرعية والولاة بالنصح في مختلف المجالات؛ والرعية، بدورها، كأفراد، وكمؤسسات للشورى، أو للعلماء، أو لغيرهما من المؤهلين، مأمورة بتقديم النصيحة لأجهزة السلطة بمختلف درجاتها، مصداقا لقول الرسول ﷺ:

19) صحيح الإمام مسلم، رقم : 1.839.

20) صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم : 5.920.

«الدين النصيحة، قلنا : لمن ؟ قال : لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».(21)

والحال بالمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن خواص الأمة الإسلامية أنها تقوم بهذه المهمة حكاما ومحكومين.

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتومنون بالله﴾. (آل عمران: 110).

إلا أن الممارسة لا تتم بوسيلة واحدة، فلكل مستواه ووسيلته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأب، فيما يخص أسرته، يغير باللسان واليد، وأجهزة الدولة / الإمامة/ تغير باللسان واليد كذلك، وأجهزة التوعية العبادية والسياسية تغير باللسان، وهكذا: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».(22)

يضع الإسلام هذه الدرجات احتياطا ضد الفوضى التي يسميها الفتنة، ويعتبرها أشد خطرا في الاقتتال، فالإسلام يتوفر على حساسية شديدة تجاه بوادر الإخلال بالأمن العام؛ فالرسولﷺ يقول: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه.(23)

لقد وضع الإسلام لهذه المهمة مؤسسة الحسبة، ووضع، كذلك دعوى الحسبة، التي بمقتضاها يرفع أي مواطن دعوى،

21) صحيح الإمام مسلم، رقم : 55.

22) صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم : 6.126.

23) نفس المصدر، رقم : 5.910.

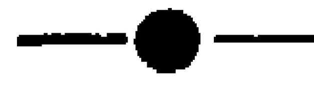
باسمه الخاص، على مرتكب منكر، يطالب بإزالة هذا المنكر، ومعاقبة فاعله، وفي هذه الدعوى ورد قول الرسول ﷺ:

«خير الشهادة ما شهد به صاحبها قبل أن يسألها». (24)



وأخيرا : هذه هي ملامح البيعة النبوية، وهذا دورها في إيجاد دولة الإمامة، التي تقيم مجتمع التلاحم، مجتمع التقوى، والقوة، والرفاهية، والوحدة. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا**﴾ (آل عمران : 103).

الأستاذ : محمد الحبيب التجكاني



24) نفس المصدر، رقم : 3271.



- البحث التاسع -

البيعة في السنة النبوية

لفضيلة الأستاذ إسماعيل الخطيب

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

ـ البحث التاسع ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البيعة في السنة النبوية

لفضيلة الأستاذ إسماعيل الخطيب

مفهوم البيعة :

لغة واصطلاحا : «الصفقة على إيجاب البيع ج بيعات: والصفقة على إيجاب الطاعة»،(1) «بايع السلطان إذا تضمن بذل الطاعة له بما رضخ له، ويقال لذلك بيعة ومبايعة، وقوله عز وجل: ﴿**فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به**﴾ إشارة إلى بيعة الرضوان المذكورة في قوله تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾، وإلى ما ذكر في قوله تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم**﴾ الآية.(2) «والبيعة الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة... وفي الحديث أنهﷺ قال: ألا تبايعوني على الإسلام؟ هو عبارة عن المعاقدة والمبايعة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته، ودخيلة أمره، وقد تكرر ذكرها في الحديث».(3)

1) معجم متن اللغة.

2) مفردات الراغب الأصبهاني.

3) لسان العرب.

و«المبايعة عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيها بالمعاوضة المالية كما في قوله تعالى: **﴿إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾**.(4)

و«البيعة هي مصدر بايع فلان الخليفة مبايعة، ومعناها المعاهدة»(5) فهي معاهدة على النصرة «أي إن أولي الحل والعقد والجنود وجماهير المسلمين يعطون الخليفة عهدا على السمع والطاعة في المنشط والمكره ما لم تكن معصية، ويعطيهم العهد على أن يقيم الحدود والفرائض، ويسير على سنة العدل وعلى مقتضى كتاب الله وسنة رسولهﷺ، وعلى هذا المنهاج كان الصحابة، وقد أخذوه عن النبيﷺ، فقد بايعوا النبيﷺ تحت الشجرة، كما قال سبحانه وتعالى: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما﴾**، وبايع النبيﷺ أهل المدينة عندما هم بأن يهاجر إليها، وبايع أهل مكة عندما فتحها ودخل أهلها في طاعته عليه الصلاة والسلام، ومنهم النساء فقد قال تعالى: **﴿يا أيها النبيء إذا جاءك المومنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾**.

4) فتح الباري 1 : 64.
5) صبح الأعشى 9 : 273.

وقد وردت مادة «ب ي ع» في القرآن الكريم في عدة صيغ، منها بصيغة «بيعكم» و«بايعتم» في قوله تعالى: ﴿**فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به**﴾ (التوبة 12) وبصيغة «يبايعنك» في قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ (الفتح 10) ﴿**لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾(6).

أما في السنة فقد وردت عدة صيغ لهذه المادة، مثل: بايع، باعيت، بايعني، بايعوا، بايعنا، يبايع...

الكتاب والسنة : المصدر الأساس لنظام البيعة :

جاء الوحي – الكتاب والسنة – بوضع العلامات البارزة لنظام الحكم في الإسلام:

1 – فأمر بالعدل : ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى**﴾.(7) ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾.(8) ﴿**قل أمر ربي بالقسط**﴾.(9) «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...» الحديث.(10) «إن المقسطين على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا».(11)

6) سورة الفتح الآية : 18.
7) سورة النحل الآية: 90.
8) سورة الحديد 25.
9) سورة الأعراف 29.
10) متفق عليه.
11) رواه مسلم.

2 – ونبه على المسؤولية : ﴿**فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾،(12) «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته».(13)

3 – وضمن الحرية :

أ – حرية التفكير : ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا**﴾.(14)

ب – حرية الاعتقاد : ﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مومنين**﴾.(15)

ج – حرية القول : ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾،(16) ﴿**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾،(17) «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه.....(18) الحديث.

4 – وأمر بالمساواة : ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**﴾.(19)

12) سورة الحجر 93.
13) متفق عليه، واللفظ للبخاري.
14) سورة سبأ 46.
15) سورة يونس 99.
16) سورة آل عمران 104.
17) سورة النحل 125.
18) رواه مسلم.
19) سورة النساء 1.

5 – كما أمر بالشورى : ﴿**فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين**﴾،(20) «وأمرهم شورى بينهم».(21)

والشورى، مثلها مثل تطبيق العدل، والمسؤولية والحرية – لم تبين طريقتها وترك للناس تنظيمها وتعرف طريقها، وذلك لأنها تختلف باختلاف الجماعات، وباختلاف العصور والأمصار، فما يصلح في عصر ربما لا يصلح في غيره، وما يصلح عند قوم ربما لا يصلح عند غيرهم، فالله سبحانه وتعالى أمر بالشورى كما أمر بالعدل، وترك للناس ترتيب أمثل طريق لتحقيق هذين المعنيين الساميين».(22)

والرسول عليه الصلاة والسلام استشار أصحابه بصفة عامة، كما خص أهل الرأي والمكانة منهم، فاستشارهم في الأمور التي لا ينبغي إفشاؤها، كما أنه أحيانا كان يقصر الشورى أو المشاورات على – وكلائه – الذين قام بتعيينهم، وأحيانا كان يرجع الأمر إلى رؤساء القبائل في المدينة التي كانت هي بلدته، وفي بعض الحالات كان يلتمس آراء كثير من الأشخاص الذين كانوا يعرفون بذكائهم لتقديم النصح حول المسألة المتنازع عليها، ولكن دون الالتزام بتطبيق آرائهم، وفي حالات أخرى فإنه كان يستدعي (العامة) لتقديم النصح، وكان يلتزم بوجهة نظر

20) سورة آل عمران 159.

21) سورة الشورى 38.

22) تاريخ المذاهب الإسلامية 86.

الأغلبيـة حتى لـو كـان هو شخصـيا يختـلـف معهم في الـرأي.(23)

أما البيعة فقـد جاءت السنة ببيان شـاف لها، فبينت شروطها وكيفيتهـا، ولمن تشرع، وحكم الإقـالـة منهـا... إلى غير ذلك من أحكـام البيعة، وقـد جـاءت أحـاديث البيعة مـوزعـة في مختلف مصنفات السنة:

ففي (الموطأ) وردت أحاديث البيعة في (كتاب الجامع).

وفي (صحيح مسلم) وردت أحـاديث البيعة في كتـاب الإمارة، غير أنه لم يجمع فيه كل الأحاديث الواردة في البيعة، والتي جاءت مـوزعـة في الكتب التاليـة: الإيمان - الحج - الإمـارة - الفتن - الحدود - الجهاد - القسامة - السلام - المساقاة - الجمعة.

وفي (سنن أبي داود) وردت أحاديث البيعـة في (كتاب الخراج والإمارة والفيء) (باب ما جاء في البيعة)، غير أنه لم يستوعب فيه جميع أحـاديث البيعـة، والتي جـاءت مفرقـة على الكتب الآتيـة: السنة، الـزكاة - البيوع - الملاحم - الطهـارة - الأدب - اللباس - المهدي الجنائز - الإمارة - الترجل.

وفي (سنن الترمـذي) وردت أحاديث البيعة في الكتـب الآتية : المناقب - البيوع - الفتن - السير - الحدود.

وفي (سنن النسائي) وردت جل الأحاديث التي رواها في البيعة في (كتاب البيعة) كما وردت في الكتب الآتية: البيوع - المساجد - الجنائز - الطهارة - الصلاة - التحريم.

23) مجلة (المسلم المعاصر) عدد 16 صفحة 39.

وفي (سنن ابن ماجه) وردت أحاديث البيعة موزعة بين الكتب الآتية: الجهاد – الفتن – الطهارة – اللباس – الإقامة – الطب.

أما (صحيح البخاري) فقد أورد المصنف أحاديث البيعة ضمن كتاب الأحكام، إلا أنه لم يستوعب فيه جميع الأحاديث المتعلقة بالبيعة والتي أوردها موزعة في مختلف كتب جامعه الصحيح، وهي: الإيمان – مواقيت الصلاة – الجنائز – الزكاة – الحج – فضائل المدينة – البيوع – الشرب والمساقاة – الشهادات – العتق – الشروط – الجهاد – الأنبياء – المناقب – مناقب الأنصار – المغازي – التفسير – الطلاق – الأدب – الرقاق – الحدود – الديات – التعبير – الفتن.

وكتاب الأحكام من صحيح البخاري ضم مختلف الأبواب المتعلقة بالبيعة، وهي :

1 – باب كيف يبايع الإمام الناس، أورد فيه ثمانية أحاديث.

2 – باب من بايع مرتين. أورد فيه حديثا واحدا.

3 – باب بيعة الأعراب. أورد فيه حديثا واحدا.

4 – باب بيعة الصغير. أورد فيه حديثا واحدا.

5 – باب من بايع ثم استقال البيعة. أعاد فيه حديث باب بيعة الأعراب.

6 – باب من بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا، أورد فيه حديثا واحدا.

7 – باب بيعة النساء، ذكر فيه أربعة أحاديث.

8 – باب من نكث بيعة، أورد فيه حديثا واحدا.

9 – باب الاستخلاف ذكر فيه خمسة أحاديث.

وهكذا يتبين لنا أن أحاديث البيعة لم تجمع كلها في كتاب من كتب المصنفات الحديثية حتى التي أفردت البيعة بكتاب أو باب، ولذلك، ونظرا لأهمية الموضوع، فإنه يجدر بالباحثين والدارسين للسنة أن يعملوا على جمع جميع الأحاديث المتعلقة بالبيعة في مختلف مصنفات السنة، وتبويبها، وبيان ما يستفاد منها من أحكام ليتبين للناس هذا المنهج الأمثل الذي وضعه الإسلام لنظام الحكم والذي يسمو على كل الأنظمة البشرية.

وكمحاولة مني للمساهمة في هذا العمل الجليل عملت – في هذا البحث المتواضع – على جمع أحاديث البخاري الموزعة في صحيحه وتبويبها، مع بيان بعض ما يستفاد منها من أحكام.

البيعة على السمع والطاعة :

1 – «عن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم – أو نقول – بالحق حيثما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم».(25)

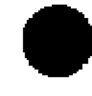
2 – «عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعتم».(26)

25) البخاري : كتاب الأحكام – باب كيف يبايع الإمام الناس.

26) السابق.

3 – «عن جرير بن عبد الله قال : بايعت النبيﷺ على السمع والطاعة، فلقنني: فيما استطعت، والنصح لكل مسلم».(27)

4 – «عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبيﷺ. قال: دعانا النبيﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان».(28)



في هذه الأحاديث يدعو النبيﷺ المبايعين إلى السمع والطاعة للمبايع على أي حال كانوا، سواء في حال العسر والشدة، أو الرخاء والسعة. قال في (الفتح): «وأن لا ننازع الأمر أهله، أي الملك والإمارة، زاد أحمد من طريق عمير بن هانيء عن جنادة: وأن رأيت أن لك – أي وأن اعتقدت أن لك – في الأمر حقا فلا تعمل بذلك الظن، بل إسمع وأطع إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة». على أن الخروج عن الطاعة لا يكون إلا عند الكفر الصراح «عندكم من الله فيه برهان»، أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل. ونقل في (الفتح) قول النووي: معنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام. وقد بين العلماء

27) السابق.

28) البخاري : كتاب الفتن – باب قول النبي ﷺ سترون بعدى أمورا تنكرونها.

أن المنازعة في الولاية لا تكون إلا إذا ارتكب الكفر الظاهر، أما غير ذلك فلا ينبغي فيه إلا النصيحة برفق ولين ليتوصل إلى تثبيت الحق بغير عنف.

التحذير من نقض البيعة :

1 – عن نافع قال : «لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشبه وولده فقال: إني سمعت النبيﷺ يقول: ينصب لكل غادر، لواء يوم القيامة، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه».(29)

2 – «عن محمد بن المنكدر، سمعت جابرا قال: جاء أعرابي إلى النبيﷺ فقال: بايعني على الإسلام فبايعه على الإسلام، ثم جاء الغد محموما، فقال: أقلني، فأبى، فلما ولى قال: المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها».(30)

3 – «... حدثني أنس أن نفرا من عكل ثمانية، قدموا على رسول اللهﷺ فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا الأرض فسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول اللهﷺ، قال: أفلا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصيبون من ألبانها وأبوالها؟ قالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا، فقتلوا راعي رسول اللهﷺ،

---

29) البخاري : كتاب الفتن – باب إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه.
30) البخاري : كتاب الأحكام – باب من نكث بيعة.

وأطردوا النعم، فبلغ ذلك رسول اللهﷺ فأرسل في آثارهم فأدركوا، فجيء بهم فأمر بهم، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسمز أعينهم ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا».(31)

●

الغدر أنواع ودرجات : وقد بين ابن عمر أن أعظم الغدر وأقبحه هو الخروج عن الطاعة، ونكث البيعة، وقد بين الكتاب الحكيم ذلك في قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما**﴾. وروى مسلم في صحيحه أن رسول اللهﷺ قال: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».(32) ولذلك كان موقف ابن عمر حازما من الذين عملوا على خلع يزيد، ونقضوا البيعة التي عقدت بينهم وبينه على شرط ما أمر الله ورسوله به من بيعة الإمام، وذلك أن من بايع أميرا فقد أعطاه الطاعة. ونقل في (الفتح) رواية صخر بن جويرية: «وإن من أعظم الغدر بعد الاشراك بالله أن يبايع رجل رجلا على بيع الله ثم ينكث بيعته» ثم قال: «وفى هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة والمنع من الخروج عليه ولو جار في حكمه وأنه لا ينخلع بالفسق».

31) البخاري : كتاب الديات – باب القسامة.

32) مسلم : كتاب الإمارة – باب لزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر.

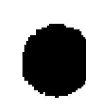
وقد ذكر أن وفدا من المدينة ذهب إلى يزيد بعد أن ولى عليهم ابن عمه عثمان، فلما رجعوا من عند يزيد أظهروا عيبه ونسبوه إلى شرب الخمر وغير ذلك، فطردوا عثمان وخلعوا يزيد، وقد تسبب ذلك في فتن واضطرابات ما كان أغناهم عنها، ففي الوفاء تحقيق للاستقرار وإشاعة للأمن.

والحديث الثاني فيه امتناع النبيﷺ من الموافقة على نقض البيعة، ذلك أنه لا يقر على معصية، وهو القائل: «من أعطى بيعة ثم نكثها لقي الله وليست معه يمينه».(33)

كما بين الحديث الثالث عقوبة أولئك الذين نقضوا البيعة وقتلوا وسرقوا.

الوفاء بالبيعة

1 – «عن النبي ﷺ قال : كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم».(34)



من صفات المومنين الوفاء بالعهد، قال تعالى : ﴿**والموفون بعهدهم إذا عاهدوا**﴾ ومعنى الحديث: «إنه إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني

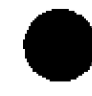
33) نقله في (فتح الباري 13: 205) وقال: أخرجه الطبراني بسند جيد.
34) البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

باطلة»(35) ذلك أن الثاني خارج عن الجماعة، ناكث للبيعة. روى مسلم عن عرفجة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه».(36) وروى مسلم - أيضا - عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».(37)

والحديث يأمر بإعطاء الخلفاء حقهم، أي الطاعة الواجبة لهم ومعاشرتهم بالسمع والطاعة (فإن الله سائلهم عما استرعاهم) أي إن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم. وقد أشار في الفتح إلى أن توفية حق السلطان فيه إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر.

تكرار البيعة

«عن سلمة قال : بايعنا النبي ﷺ تحت الشجرة، فقال لي: ياسلمة ألا تبايع؟ قلت: يارسول الله قد بايعت في الأول، قال وفي الثاني».(38)



الحديث يفيد أن سلمة بن الأكوع كان ممن بايع تحت الشجرة، ثم عدل إلى ظل شجرة - كما جاء في رواية أخرى -

35) فتح الباري 6 : 497.
36) صحيح مسلم : كتاب الإمارة - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.
37) صحيح مسلم : كتاب الإمارة - باب إذا بويع لخليفتين.
38) البخاري - كتاب الأحكام - باب من بايع مرتين.

فلما خف الناس، قال له النبيﷺ: يـا ابن الأكوع ألا تبايع، فقال قد بايعت يارسول الله، قال: وأيضـا.(39) وقد ذهب البعض إلى أن المراد من ذلك تأكيد بيعـة سلمة لعلم النبيﷺ بشجاعتـه وعنائه في الإسلام وشهـرته بالثبات، فأمـره بالتكرار ليكـون له في ذلك فضيلة، ولذلـك، فالبيعة يمكن تكرارهـا وتأكيدها خاصـة عندما تدعو الظروف لذلك.

البيعة العامة

«عن الزهري : أخبرني أنس بن مـالك رضي الله عنه أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر – وذلك الغد من يوم توفي النبيﷺ، فتشـهد، وأبو بكر صـامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيـش رسـول اللـهﷺ حتى يدبـرنـا – يريـد بذلك أن يكـون آخرهم – فإن يك محمـدﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نـورا تهتدون به بما هـدى الله محمداﷺ، وإن أبـا بكر صاحب رسـول اللهﷺ، ثـاني اثنين، فإنه أولى النـاس بأموركم، فقوموا فبايعـوه، وكانـت طائفة منهـم قد بايعـوه قـبل ذلـك في سقيفـة بني سـاعـدة، وكانـت بيعة العامـة على المـنبر، قـال الزهـري عن أنس بن مالـك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: إصعـد المنبر، فلم يـزل بـه حتى صعـد المنبـر، فبايعـه النـاس عامـة».(40)

39) البخاري – كتاب الجهاد – باب البيعة في الحرب أن لا يفروا.
40) البخاري – كتاب الأحكام – باب الاستخلاف.

أورد البخاري هذا الحديث في باب الاستخلاف، الذي عمل به الصحابة، نظرا لأنه أضبط لأمر المسلمين، ولذلك أجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف - والحديث يبين أن البيعة قد تتم على مراحل، فبالنسبة لأبي بكر بويع أولا في سقيفة بني ساعدة من طائفة من المهاجرين والأنصار يوم الإثنين - أي يوم وفاة رسول اللهﷺ - فلما كان من الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد، فتممت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة. فكانت البيعة الثانية، أعم وأشهر وأكثر من المبايعة التي وقعت في السقيفة.

بيعة النساء

«عائشة رضي الله عنها زوج النبيﷺ قالت : كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى النبيﷺ يمتحنهن بقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن**﴾ إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المومنات فقد أقر بالمحنة، فكان رسول اللهﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن، قال لهن رسول اللهﷺ: إنطلقن فقد بايعتكن، لا والله ما مست يد رسول اللهﷺ يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام، والله ما أخذ رسول اللهﷺ على النساء إلا بما أمره الله، يقول لهن إذا أخذ عليهن: قد بايعتكن. كلاما».(41)

41) البخاري - كتاب الطلاق - باب إذا أسلمت المشركة والنصرانية تحت الذمي أو الحربي.

2 – «عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيﷺ يبايع النسا بالكلام بهذه الآية (لا يشركن بالله شيئا) قالت: وما مست يد رسول اللهﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها».(42)



شاركت المرأة المسلمة في الهجرة – كالرجل – وقد أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بامتحان المهاجرات، فكان يمتحنهن: «والله ما خرجت من بغض زوج، والله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، والله ما خرجت التماسا لدنيا. والله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله».(43)

فإذا علم صدقهن بايعهن واشترط عليهن ما في قوله تعالى: **﴿يا أيها النبي إذا جاءك المومنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين﴾** الآية.(44) فإذا أقررن بذلك بايعهن، وبذلك تقر المؤمنة بالمحنة، وتتحمل المسؤولية كأخيها المؤمن، وإذا كان النبيﷺ يبايع الرجال بضرب اليد على اليد فإنه بالنسبة للنساء كان يكتفي بالكلام.

البيعة على بيعة النساء

عن «عبادة بن الصامت رضي الله عنه – وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة – أن رسول اللهﷺ قال وحوله عصابة

42) البخاري – كتاب الأحكام – باب بيعة النساء.

43) فتح الباري 9 : 425.

44) سورة الممتحنة 12.

من أصحابه: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك». (45)



هذه البيعة وقعت بعد فتح مكة، (46) وقد تمت فيها المبايعة للرجال على مثل ما بايع عليه النساء. روى مسلم عن عبادة قال: «أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني».

البيعة على النصح

«عن جرير بن عبد الله قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم». (47)



قال عياض : «اقتصر على الصلاة والزكاة لشهرتهما، ولم يذكر الصوم وغيره لدخول ذلك في السمع والطاعة». روى مسلم عن جرير قال: «بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني: فيما استطعت، والنصح لكل مسلم.

45) البخاري – كتاب الإيمان – الباب الحادي عشر.
46) انظر البحث الدقيق لهذه المسألة في (فتح الباري) عند شرحه للحديث.
47) البخاري – كتاب الإيمان – باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة.

وقد كانت مبايعة النبيﷺ لأصحابه بحسب ما يحتاج إليه من تجديد عهد أو توكيد أمر، ولذلك اختلفت ألفاظهم.

وقد تكرر من النبيﷺ اشتراط النصح عند البيعة، والنصيحة مطلوبة لولاة الأمر. قال عليه الصلاة والسلام: «الدين النصحية، لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(48) قال في (الفتح): «النصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن».(49)

«والنصيحة لعامة المسلمين : الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه».(50)

وفي الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام كان «أول ما يشترط بعد التوحيد، إقامة الصلاة، لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس، فبايع جريرا على النصيحة، لأنه كان سيد قومه، فأرشده إلى تعليمهم بأمره بالنصيحة لهم، وبايع وفد عبد القيس على أداء الخمس لكونهم كانوا أهل محاربة مع من يليهم من كفار مضر».(51)

48) البخاري – كتاب الإيمان – باب قول النبيﷺ الدين النصيحة.

49) فتح الباري 1 : 138.

50) السابق.

51) فتح الباري : كتاب مواقيت الصلاة – باب البيعة على إقام الصلاة.

كما أنه عليه الصلاة والسلام بايع بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد: روى مسلم عن مجاشع بن مسعود السلمي، قال: أتيت النبيﷺ أبايعه على الهجرة، فقال: إن الهجرة قد مضت لأهلها، ولكن على الإسلام والجهاد والخير». (52)

بيعة الرضوان

1 – «عن قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول: كانوا أربع عشرة مائة. فقال لي سعيد: حدثني جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبيﷺ يوم الحديبية». (53)

2 – «عن البراء رضي الله عنه قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبيﷺ، فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض، ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا». (54)



52) صحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى «لا هجرة بعد الفتح».

53) البخاري – كتاب المغازي – باب غزوة الحديبية.

54) السابق.

في شهر ذي القعدة آخر سنة ست للهجرة كان صلح الحديبية، الذي سماه القرآن بالفتح المبين، وهو بحق يعد من الأحداث الحاسمة في السيرة النبوية، وإلى جانب ذلك كان هناك «فتح آخر، فتح في النفوس والقلوب، تصوره بيعة الرضوان التي رضى الله عنها وعن أصحابها، ذلك الرضى الذي وصفه القرآن، ورسم لهم على ضوئه تلك الصورة الوضيئة الكريمة في نهاية السورة: محمد رسول الله، والذين معه...»، فهذا فتح في تاريخ الدعوات له حسابه، وله دلالته، وله آثاره بعد ذلك في التاريخ». (55)

وفي سورة الفتح نزل قوله تعالى : ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾. لقد جاءﷺ «ليصلهم بالله ويعقد بينهم وبينه بيعة ماضية لا تنقطع بغيبة رسول اللهﷺ عنهم، فهو حين يضع يده في أيديهم مبايعا فإنما يبايع عن الله... وهو تصوير رهيب جليل للبيعة بينهم وبين رسول اللهﷺ، والواحد منهم يشعر وهو يضع يده في يده أن يد الله فوق أيديهم، فالله حاضر البيعة، والله صاحبها، والله آخذها، ويده فوق أيدي المتبايعين، ومن؟ الله. ياللهول، ويالـلروعة، ياللجلال». (56)

وفي سورة الفتح نزل قوله تعالى : ﴿**لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...**﴾ فالله تعالى رضي عنهم

55) في ظلال القرآن.
56) السابق.

لذاك الموقف الكريم والبيعة التي فازوا بها وأحرزوا خير الدنيا والآخرة. عن جابر عن رسول اللهﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».(57)

وقد ذكر البخاري في مختلف الأحاديث أسماء طائفة من الذين بايعوا بيعة الرضوان. منهم: عبد الله بن عمر، عبد الله بن أبي أوفى، كعب بن مالك، عبادة بن الصامت، عبد الله بن زيد، ثابت ابن الضحاك، البراء بن عازب، سلمة بن الأكوع، زاهر الأسلمي.

وكانت بيعة الرضوان على عدم الفرار : «عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت».(58)

وقد خاطبهم النبيﷺ بقوله: «أنتم اليوم خير أهل الأرض».(59)

الأستاذ إسماعيل الخطيب

57) أبو داود – كتاب السنة – باب في الخلفاء.

58) صحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب استحباب مبايعة الإمام الجيش.

59) صحيح مسلم – الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش.



- البحث العاشر -

وفاء علماء الصحراء لبيعة الملوك العلويين

لفضيلة الشيخ ماء العينين لارباس

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

البحث العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وفاء علماء الصحراء لبيعة الملوك العلويين

لفضيلة الشيخ ماء العينين لارباس
رئيس المجلس العلمي للعيون والأقاليم الصحراوية

مقدمة :

من المعلـــوم ضرورة عنـــد المطلعين مـــن أهل العلم أن الاجماع انعقد على وجوب نصـــب الإمام الأعظم، وقد عرفه الآمـــدي بأنه : الخليفـــة الـــذي لـــــه الخلافـــة، والخلافـــة هي: خـــلافـــة شخص للرسولﷺ في إقـــامة الشرع وحفظ الملة على وجه يـوجب اتباعه كافة الناس.

وقال الماوردي :

الإمامة موضوعة لخلافة النبوة لحراسة الدين وسياسة الدنيا. والشروط المعتبرة عند أهل الإمامة سبعة:

أحدها : العدالة على شروطها الجامعة.

الثاني : العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام.

الثـالث : سلامـة الحواس من السمع والبصر واللســان ليصح معها مباشرة ما يدرك معها.

الرابع : سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض.

الخامس : صحة الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

السادس : الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

السابع : النسب، وهو أن يكون من قريش، لوجود النص فيه وانعقاد الاجماع عليه.

واشتراط كونه قرشيا هو مذهب أهل السنة، وخالف في ذلك الخوارج وبعض المعتزلة.

والإمامة تنعقد بوجهين :

أحدهما : اختيار أهل الحل والعقد.

الثاني : بعهد الإمام من قبل لمن يراه أهلا لولاية عهده.

ولقد حافظت هذه الأمة المغربية على سلوك سبيل السلف الصالح في هذا المضمار، من عهد مولاي إدريس الأول إلى عهد الدولة العلوية الشريفة التي وحدت الوطن وحمت ثغوره من العدو، ونشرت الإسلام، وحافظت على الدين، وأمنت البلاد، وعملت على رقيها وتقدمها. ولقد نال عهد سيدنا أمير المومنين الحسن الثاني حظ الأسد في تقدم هذه الأمة والدفع بعجلة سيرها إلى الأمام لتحتل المكان اللائق بها بين الأمم.

فمنذ عهد إدريس الأول إلى يومنا هذا لم تدرك هذه الأمة المغربية ما أحرزت عليه في عهد نجل الرسول الأعظم

أمير المومنين الحسن الثاني أبد الله ملكه، وخلد في الصالحات ذكره.

ففي عهده الزاهر دام علاه انتشر الأمن وعم الرخاء، وتوحدت البلاد واجتمع شملها رغم كيد الكائدين ومؤامرات المتآمرين، وازدهر الوطن، وصار هذا البلد الأمين كعبة الزوار ومضرب الأمثال لحكمة قائده وحنكة رائده لما وهبه الله جلت قدرته من العبقرية النادرة وصدق الحدس، ونفاذ البصيرة، وبعد النظر وتمام الحكمة.

ولقد أظهر الإسلام على حقيقته للذين كانوا يجهلون منهاجه السليم أو يتجاهلون عقيدته النقية وأهدافه السامية.

وبهذا العمل الرائد الإنساني افتضحت خطة المناهضين لهذا الدين، وبرزت إيجابيته التي لا تنتهي، لكثير من المجتمعات، بالرغم من المشاكسين والمضللين الذين ينعتون الإسلام بما هو براء منه. ولقد وقع إقبال عظيم ـ ولله الحمد ـ على الإسلام واعتناق عقيدته النقية فوق إرادة الذين يغلفون الإسلام ويسيئون إليه بأعمال متطرفة ليشوهوا سمعته ويلصقوا به ما ليس من توجهاته وما هو بعيد من أهدافه النبيلة ومنهجه الإنساني الرحيم.

ولقد كان للدروس الحسنية الرمضانية الرفيعة المستوى التي يشرفها أمير المومنين برئاسته رغم ما لجلالته من مشاغل، والتي تبث وقتها بواسطة أجهزة الأقمار الاصطناعية لجميع سكان الكرة الأرضية.

كان لهذه الدروس دور فعال في إيصال الهدي النبوي للبشرية في صورته الحقيقية المشرفة، إذ تبارى علماء العالم الإسلامي من الصين وأمريكا وأوروبا وغير ذلك من جهات العالم في إبراز دعوة الرسول إلى الله بحكمة وموعظة حسنة.

وفر الله أجر هذا العمل البناء لأمير المومنين الحسن الثاني.

ولا يفوتني أن أذكر أنني في هذا البحث لم أتطرق إلى ذكر تاريخ البيعة في الإسلام وأحكامها، وأقوال الفقهاء فيها، لأن هذا الموضوع قتل بحثا، وسبق لي أن كتبت عنه في ندوة البيعة والخلافة في الإسلام الأولى المنعقدة بالعيون بتاريخ 19/22/ ذو الحجة 1405 موافق 5/8/1985.

إذ تحدثت في البحث لسابق عن الخلافة في الإسلام ومعناها لغة وعرفا وأصلها في الإسلام، كما تطرقت إلى البيعة ومعناها وأحكامها، وتحدثت بإسهاب عن بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، وبيعة الخلفاء الراشدين، إلى غير ذلك من المواضيع المهمة التي احتوى عليها هذا البحث السابق، وتجنبت كلما سبق لي أن تطرقت إليه، وحاولت أن آتي بجديد في هذه الكتابة الموضوعة بين أيدي السادة العلماء، حيث إني نفضت الغبار عن أسماء بعض السادة العلماء الأعلام الذين ساهموا بقسط وافر في الدفاع عن وحدة هذا الوطن وأخلصوا للبيعة الشرعية، وتفانوا في خدمة العرش العلوي المجيد والجالس عليه.

ولم يسبق لأحد أن كتب عن الكثير منهم حسب علمي.

وقد عملت على تخليد النزر القليل مما قام به البعض من علماء الجنوب من عمل جهادي، وفاء للبيعة، وخدمة للعرش، ودفاعا عن الوحدة وتمسكا بالحقيقة، ليعلم الكل الدور الطلائعي الذي لعب هؤلاء الأعلام من جهاد، تمسكا بالواجب، ولينير عملهم المشرف السبيل لنا ولأجيالنا الصاعدة كي نكرس الجهد لنحذو حذو أولئك العلماء الملتزمين الأوفياء المجاهدين الذين لا يحيدون عما أوجب عليهم الشرع قيد أنملة.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾.

بيعة علماء الصحراء المغربية لملوك المغرب منذ الفتح الإسلامي بكل اقتضاب

إن من تتبع تاريخ توارد علماء الجنوب على بيعة ملوك الدولة المغربية يجد أن انخراطهم في سلك البيعة بدأ منذ الفتح الإسلامي حتى يومنا هذا.

فالبيعة تعبير صادق عند الكل عن تماسك الوحدة وتلاحمها، واندماج البعض في البعض ترابيا وبشريا.

ومن المعلوم أن جيوش الفتح الإسلامي حسبما ذكره البكري، توغلت فيما وراء سوس حتى غانا، وذكر ابن عبد الحكم أن عقبة بلغ سوس، وإن كان لفظ سوس يعبر عنه بالصحراء المغربية

جميعها لدى جل المؤرخين ـ كما أثبت ذلك الدكتور إبراهيم حركات في بحوثه التاريخية.

ومن المسلم به أن عهد محمد بن إدريس الثاني، قد تولى عبد الله بن ادريس عمالة الصحراء الكبرى فنشر فيها الإسلام، ودافع عن الثغور، وأحيى البلاد: شرقها وغربها بحركة القوافل التي لا تعرف التوقف في عهده، فتوحد المغرب من شرقه لغربه، ومن جنوبه لشماله في ظل الإسلام وتحت العرش المغربي، وانطلق المرابطون من هذه الصحراء المغربية.

ومن قرأ تاريخ جهاد عبد الله بن ياسين يتجلى له الدور العظيم الذي لعبه في توحيد المغرب، ودك معاقل الكفر والإلحاد، وحرصه على نشر الإسلام وصونه لهذه الوحدة التاريخية التي لا ينال منها أي مناوىء شيئا. أحب ذلك أم كره، لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، والبقاء للأصلح كما يقال.

ولا أطيل في ذكر سوس الموحدية وما قامت به من جهاد للحفاظ على الوحدة، ومن أراد استقصاء ذلك فليرجع إلى كتاب عبد الواحد المراكشي.

ولقد تلقى المرينيون بيعة علماء الصحراء المغربية برئاسة معقل منذ عهد يعقوب، كما أشار لهذا الدكتور إبراهيم حركات.

ولقد أشاد ابن خلدون في تاريخه بعمران الساقية الحمراء في هذا العهد.

وفي عهـد السعديين توجه علماء الصحراء لتجديد البيعة لملوك هذه الدولـة، وعـين أحمد المنصور ولده أبـا فـارس نائبـا عنه في الصحراء المغربية.

وعندما شرف اللـه هذا الوطن المغربي العزيـز بقيادة العرش العلوي المجيد انطلق علماء الصحراء المغـربية، وأهل الحل والعقد منها، وأعيان السكـان، وقاداتهم بوفودهم متـوجهين لمدينة فاس العلمية الجهادية، فأدى الكل البيعـة لمولانا رشيد سنة [1081 / 1082]، وفي ظل هذه الـدولة العلـوية الشريفـة توحـدت البلاد، وأمنت الثغـور، وعـم الأمـن، وانتـشـر الرخـاء وصينـت الكرامـة.

إن أبناء الشعب المغربي عرفوا بـالوفاء للعرش العلوي المجيد وتفـانيهم في الإخلاص للمقـدسات الـوطنية على مختلف فئـاتهم وفصائلهم. ولقد لعب العلماء دورا طـلائعيا في الحض على القيام بواجب الطاعـة والتمسك بالبيعة الشرعية للملوك العلـويين ـ أبد الله ملكهم، وخلد في الصـالحات ذكرهم ـ

فمن تتبع آثـارهم العلمية ومـا خلفـوه من إنتاج فكـري رائع يتحدث عن مناقب سلالة الأشراف العلـويين الذين صـانوا المغرب ووحدوا أطرافه وجمعوا شمل أبنائه وبنوه بما لديهم من وسائل، يجد أن لهذا العـرش عملا رائدا انتـزع به إعجـاب أرباب الفكـر والقلم، فكم من عـالم نشر درر أفكاره الغـالية للإشـادة بأعمال ملوكنا الأفذاذ، وكم من شاعـر مجيد حبر قصائده الشعرية بما تحلى به هـؤلاء الملـوك من نعـوت المجـد وخصال الكمال.

لقد تفانى أبناء الصحراء المغربية كغيرهم من سكان المملكة بصفة شمولية في الولاء للعرش العلوي المجيد.

يقول العلامة «أجدود بن محمد الكبير العلوي» في حق هذا العرش، مظهرا تفانيه وحبه له وإخلاصه لسدته والدعاء لجنابه :

فلا كان يوم لست في صدره ضحى
ولا كان ليل لست في أفقه فجرا

إنه الإخلاص الصادق والحب العميق والشعور الفياض والعاطفة الجياشة.

لا يترك عالم الصحراء المغربية مناسبة سواء كانت وطنية أو دينية إلا وعبر عن محض حبه الصادق لهذا البيت النبوي الشريف المجاهد الذي تحنو ملوكه الجهابذة على جميع مواطني هذا الوطن الغالي. ولأبناء الصحراء المغربية حنو خاص وعطف متميز عند المعتلى على العرش العلوي المجيد.

يروي لنا الأستاذ الجليل عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية في ترجمته للشيخ ماء العينين بقوله:

«ولما زار السلطان مولاي الحسن الأول وادي نون [1303] استدعاه لزيارته ـ يعني الشيخ ماء العينين ـ وتمثل في رسالة استدعائه بقول الشاعر :

وأعظم ما يكون الشوق يوما
إذا دنت الخيام من الخيام

«وقــول آخــر» :

ولكــن للعيــــــــان لطيــف معنــى
لـــذا طلب المشـــاهـــدة الخليل

فلنتصور هذا العطف المولوي الشريـف الذي يخصنا به نحن أبناء الصحـراء المغربية ملـوكنا دام علاهم وأبـد ملكهم وخلد في الصالحات ذكرهم.

ولقد ازدادت هذه العناية المولوية بجميع فصائل الأمة المغربية في عهد أمير المؤمنين الحسن الثاني الذي ننعم بقيـادته الرشيدة، ونسمو ببيعتنـا له ولأجـداده الغر الميـامين وسبق لي أن قلت من قصيدة مديحية لجنابه الشريف، قلت :

بيعـــة في أعنـــاقنـــا لم نخنهـــا
تـــركتهـــا الأجــــداد لـــلأحفـــاد

لك يــــاخير من تقلــــد ملكـــا
وسليـل النبـي أعظم هـــــــادي

إن الأصرة المتينة التي تربط هذا الشعب الوفي بالعرش العلوي المجيد لا تزيدها الأيام إلا رســوخا، ولا الأحداث إلا صلابة وقوة التحام.

فــالتعبير عن الوفـاء للبيعة الشرعيــة للعرش العلـوي العظيم يشخصه المواطنون في أعمالهم اليوميـة زيادة على أقوالهم حسب تنــوعها وعلى تعـدد أشكالها، فكل طبقـة من هذا الشعب المثـالي تعطيك برهانا صادقا بالعمل الملموس على مدى إخلاصها ـ وإن كان ذلك لا يحتاج إلى برهان ـ

كما أن كل شريحة من هـذا المجتمـع المغـربي المسلم تتحلى زاهية بتفـانيها المطلق لواجبـات البيعة، وتمسكهـا بالطاعـة لولي الأمر.

وبما أن الموضوع الـذي أتحدث عنه هـو دور علماء الصحراء في توثيق روابط البيعة، فإني سـوف أقتصر جدا على ذكر أسماء البعض من علماء هذه الجهة، بدون أن أتصدى لتاريخ ازدياد كل عالم ذكـرته ولا ذكر إنتاجـه، ولا كذلك ذكر شيـوخه ولا العصر الموجود فيه لما يحتاج لـه هذا العمل من وقت، وسيلاحظ القارئ أنني لم أذكـر من العلماء ممن ترجمت لـه إلا من عاش في عهـد الـدولة العلـويـة الشريفة، أدام اللـه ملكهـا وخلد في الصـالحات ذكرها، ما عـدى عالمين اثنين عاشا في عهد الدولـة السعدية هما: العـالم الشيخ سيـد أحمد الـرقيبي، والعـالم الشيخ سيـد أحمد لعروصي.

ولضيق الوقت فقد نشر في هذا العرض الذي طبع البعض منه في نـدوة البيعـة والخلافـة في الإسـلام الـدورة الثـانيـة بتـاريخ 12/11/10 صفـر الخير 1415 مـوافق 23/22/21 يوليـوز 1994 البعض من أسماء أعـلام هذه الجهـة، وبقي البعض من الأسماء لم يتمكن من إدراجـه في الطبعـة التـي وزعت على المؤتمرين، وتفضلت وزارة الأوقاف مشكـورة لتضمين الأعلام الـذين كتبنا عنهم حتى تستكمـل الفـائدة، مع العلم أن الكثير مـن علمائنـا الأجلاء مـازال لم يشمله هذا العـرض الوجيـز الذي لم يكتب إلا عن النزر القليل من أعلام صحرائنا المغربية.

ولا شك أن المهتمين من أهل العلم والمعـرفة سوف يكـرسون الجهد لتخليد ذكـر ما أمكن من فقهاء وأعلام وأجلـة هذه الجهة الذين لم يتناول الكتاب دراسة حياتهم لحد الساعة.

وأهيب بأصحـاب الفكر والقلم مـن أبناء وطني الغـالي بأن لا يألو جهـداً لنفض الغبار عن أسماء أعـلامنا والكتـابة عنهم، فكل من كتب عن أي منهم، فقد قـام بعمل يشكر عليه ويحمـد سواء عن الكثير أو القليل، المهم هـو الاهتمام بإحيـاء تـاريخ أمجادنـا بصفة شمولية، ولا غضاضة على من كتب عن واحد أو اثنين، بل بالعكس فذلك قام بعمل يستلـزمْ عليه الشكر والثناء من المنصف المترفع صاحب الهدف السامي والعمل البنـاء وخدمة العلم وأهله لوجه الله لا لغيره، وانطلاقـاً من حب إبراز وفاء علماء الصحراء المغربيـة للبيعة للعرش العلـوي المجيد وللجالس عليـه وانصهار أعلام هذا الجزء مـن المملكة المغربية في بـوتقه الإخلاص لمن ولاه الله الملك في بلـدنا الأصيل، من عهد مـولاي إدريس إلى عهد أمير المومنين الحسن الثاني.

فلقـد حـاولت أن أكتب عن القلـة القليلـة من فقهـاء وأعـلام وعلماء وأتقيـاء ومجاهدي هـذه الجهـة الصحـراوية من المملكـة المغربيـة بكل اختصـار لكثرتهم، وأكـرر استنهاض همم العلماء والمثقفين أصحـاب الاختصاص بأن يتـوجهـوا لنشر حياة أعـلام بلادنـا من شمال المغرب لجنـوبه، وشرقه لغـربه الـذين ساهموا

بـالعمل الجاد لدور الفعـال في بناء وطننـا، والدفـاع عن وحدتـه وصيانـة العقيدة الإسلامية، والإخـلاص للبيعة الشرعية لملـوكنا العلويين الأماجد، دام عزهم وعلاهم.

وأكرر أن الأغلبيـة الساحقة مـن علماء هذه الجهة الأفـذاذ ما زال لم يكتب عنهـا، وسنحـاول إن شـاء اللـه حسب المستطـاع الكتابة عمن أسعفنا الوقت الذي لا يرحم لتخليد حياته.

ممن وجـدنا لـه إنتـاجاً مكتـوباً أو كتب عنـه عـالم موثـوق بكتابته، أو وجدنا في شأنه وثيقة صحيحة تتناول هذا الجانب أو تومئ إليه، أو رسالـة صادرة من السلطان أو من بعض العلماء، مع العلم أن العلماء الـذين وظفـوا أقـلامهم وسخـروا مـواهبهم للحديث عن البيعة وواجب الطاعة والإخلاص لملوكنا، لا يمكن أن نحصيهم كلهم أو جلهم في هـذه العجالـة للاختصـار المطلوب في كتابة هذا البحث، وكذلك لضيق الوقت.

وإذا لاحظ البعض مستقبلاً إغفال اسم كان من الأجدر به أن يدرج، فعـدم ذكر اسمـه ينطلق من سببين، إمـا لعدم وجـود ما أكتب عنـه لقلة المراجع التي تحدثت عنـه، أو إذا كانت مـوجودة فإنني لم أطلع عليهـا، أو لكـون المطلوب ذكـره لم يخلـد إنتاجـاً يذكر، أو لم يكتب أحـد يوثق بكتابته عنـه، أو إذا نشر عنه عملاً وطنياً فإني لم أعثـر عليه، وأرجـو ممن عنده وثيقـة أو إنتاج أو كتابـة يوثق بها صادرة عن أحـد علماء الصحراء أن لا يبخل بها علينا لتشملـه الدراسة التي أنـوي القيام بها عن أعـلام الجنوب المغربي الصحراوي.

ومازال البعض من العلماء ممن يتوفـر على ما أشرت عليه لم يـدرج في هذا العـرض لضيق الـوقت. وسأحـاول إن شاء اللـه الكتابة عن الكل أو ما تيسر لي الكتب عنه حسب المستطاع.

والأسماء التي أدرجتهـا في هذا البحث هي قليلـة من كثير من أسماء العلماء الذيـن لم يتسن لنا الكتب عنهـا برمتهـا، لأنه كما يقـال: «من يدع الإحصـاء هـذاء» وفي المثل: «ما لا يمكن كلـه لا يترك بعضه أو جله».

ولابد لمن يريد الكتابة عن هؤلاء الأعلام أو يوفر المدة الكافية، ويبحث عن تفـريغ الوقـت للقيام بجمع أسماء العلماء الـذين لم يكتب عنهم وهم كثيرون، وأرجو أن يتم لنا ذلك لننال أجر تخليد أسماء أماجدنا وعلمائنا وأفاضلنا ومجاهدينا، ولكن الشيء المسلم به عنـدي هو أن إخلاص الجميع واضح، وتفاني الكل في خـدمة المقدسات الـوطنية والمعارك الجهادية المشرفة التي خـاضـها أبناء الصحراء المغربيـة مع غيرهم من أبناء المملكة المغربيـة دفاعاً عن الوحدة، وإخلاصاً للعرش العلوي المجيد خير دليل على ما بينته.

وإن دور علماء الصحراء المغـربية في تـوثيق روابط البيعة دور طلائعي متميـز خدموا العـرش العلوي المجيد، وأخلصوا للـوكنا، وتباروا في الثناء عليهم والوفاء لمقام جلالتهم السـامي.

فلم يكتف أي واحد من علماء الصحراء الأفـذاذ الأماجد بإبراز إخلاصـه بالقلـم شعرا ونثرا عـن مشاركتـه الفعلية والفعـالة في سـاحـة الوغى، فأعطـوا للقلم والسيف حقهما في الدفـاع عن هذا البلد الأمين.

وكم عانى أفراد هذا الوطن الغالي من مد الغزو الاستعماري على مختلف طبقاتهم وأشكالهم، وقد خلدوا لنا ـ جزاهم الله بأحسن جزائه ـ الذكر الحسن والأحدوثة الجميلة في مواجهة العدو وصون الكرامة، والمحافظة على الإسلام وعقيدته النقية.

فقد قلت في حقهم من قصيدة وطنية طويلة أستحث بها أبناء وطني العزيز على مواصلة الجهاد من وراء العرش العلوي المجاهد.

فما سجل التاريخ يوما عليهم
وجدهم غشا يشين ولا غدرا
فما منهم إلا تقي مهذب
رسول سلام فعله يلزم الشكرا
وقد جيد الدهر عقد مفاخر
فتاهت به الأيام حالية تبرا
ولقن من علم مفيد ونافع
ففاح شدى الأعمال من نشره عطرا
الخ...

إنهم أبناء هذا الوطن المغربي الأشاوس الذين لا يقبلون الضيم ولا يرضون بالهوان، قاد هذا الشعب الأبي عرش علوي مجاهد حرر أمته المغربية ورفع الظلم عن كثير من شعوب هذا العالم بثورة عارمة، قادها بطل التحرير المجاهد الأكبر والمقاوم

الأول جلالة المغفور له محمد الخامس وخليفته وارث سره ومجدد دين جده محمدﷺ جلالة الملك الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني، فكان لهذا العمل الجهادي الفريد من نوعه أكبر مردودية علينا نحن أبناء المملكة المغربية، فبه تحررنا وباستمرار جهاد الخلف الصالح استكملنا وحدتنا.

وللحقيقة والتاريخ فإن العلماء كان لهم الدور المحمود الذي تناقلته الألسنة بالشكر والإعجاب في التمسك بالإخلاص للبيعة والقيام بواجب الطاعة والحث عليها ومراعاة واجب الفناء فيمن ولاه الله على هذا العرش العلوي المجاهد. أيد الله ملكه وخلد في الصالحات ذكره.

وفاء الشعب المغربي للعرش العلوي المجيد ودفاعه من وراء العرش إخلاصا للمقدسات الوطنية

إن أبناء المغرب عرفوا بغيرتهم على وطنهم وتشبثهم بوطنيتهم المفطورة في الكبير والصغير من هذا الشعب المثالي الذي لم تنل منه الشدائد، ولقن للماكرين دروسا من التضحية أفشلت جميع مخططاتهم، وسلك أسلوب الحكمة لإفشال مؤامراتهم، ووقف مرات تلو مرات في وجه أطماعهم التوسعية.

فكان هذا الوطن العظيم بمواطنيه الأشداء قلعة حصينة لا يستطيع العدو أن يظهرها ولا يستطيع لها نقبا، وصخرة قوية بصلابة أهله وإرادتهم الهندوانية تتكسر عليها أحلام الطامعين،

وبركانا محرقا يلتهم كل من سولت له نفسه المس من كرامة هذا البلد الأمين، وتيارا جارفا لأهواء المغرضين الظالمين المتجبرين.

فبإيمان أبنائه وشهامة سكانه ونزوع رجاله ونسائه لأعلى مقامات الكمال خلد سفرا ضخما من تراكمات القيم يفخر بها هذا الشعب النبيل بقيادة العرش العلوي المجيد.

فقبل إشعاع نور الإسلام على هذه الأمة الصامدة أبى المغرب إلا أن يبقى الركن المنيع والدولة القوية المعتزة بمكانتها وأصالتها وحضارتها، وعندما فتح الله قلوب المغاربة جمعاء للدخول في الإسلام زرافات ووحدانا، قوى الله بهذا الجناح الغربي الإسلام فنشر العقيدة ودعا لهذا الدين الحنيفي، وبلوره في جميع فصائل هذه الأمة المومنة، فتخلقت بأخلاق الإسلام، وأتمرت بأوامره وانزجرت بنواهيه، فكانت كما قال فيها الباري ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**﴾.

فمنذ تأسيس الدولة الإسلامية بقيادة إدريس الأول، وهذا الوطن المغربي العزيز يبني ويشيد، ويذب عن حياض الإسلام متحديا كل الهزات التي تعتري هذه الأمة في مسيرة تاريخها العظيم.

ولقد تركت حضارة المغرب الإسلامية أثر بصماتها الأنيق في كثير من شعوب هذا العالم، والوقت لا يسمح بإعطاء الأمثلة على ما أومأت إليه، ولكن آثار المغرب الإسلامية مازالت ماثلة

للعيان في كثير من أقطار هذا العالم: أروبا وغيرها. فستبقى دائما هذه المعالم التاريخية خير شاهد على ما أشرت إليه.

وإذا كان تاريخ الأمم في ماضيها وحاضرها يعتريه مد وجزر، وتنتابه في بعض الأحيان شدة، وينعم في وقت آخر برخاء، فإن ما نال هذا الشعب الأبي في ظل العرش العلوي المجيد يتيه به على بقية شعوب العالم، فازدهر في ظل هذه الدوحة النبوية الوارف الدين الإسلامي، وبالتحام العرش والشعب تكسرت شوكة المعتدين الجاحدين.

وما ثورة الملك المجاهد والمقاوم الأول الرائد جلالة المغفور له محمد الخامس ببعيدة عنا هو ووارث سره أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني.

لقد أعلن المغفور له محمد الخامس تغمده الله برحمته، وأمير المومنين الحسن الثاني على المستعمر ثورة ساحقة ضد الوجود الاستعماري، فواجه الشعب المغربي العدو في السهول والجبال والمدن والقرى بشتى أنواع المقاومة وصنوف أشكال وأنواع الفدا حتى تيقن الغازي أن استقراره بهذا البلد الأمين مستحيل بدون أن يرجع المغفور له ووارث سره والأسرة المالكة من المنفى حاملين حرية المغرب واستقلاله.

واستؤنف الجهاد من جديد في واجهتين :

أولاهما : التصدي لبناء شعب عانى من ويلات الاستعمار الشيء الكثير، إذ خلف العدو المستعمر من ورائه لهذه الأمة الجهل والفقر وأنواع التخلف التي لا تحصى أشكالها، فانبرى المغفور له

ووارث سره أمير المومنين الحسن الثاني، والشعب المغربي من ورائهما، لمحاربة الفقر والجهل والتخلف، فحقق العرش والشعب في فترة وجيزة، المستحيل، فتغير وجه الحياة في هذه الأمة في مدة قليلة، وشاهد الكل نهضة عمرانية بهرت العقول وأعجبت الصديق وكبتت العدو، وانشرح لها الشعب واطمأنت نفوسه لها.

إذ عم الأمن والرخاء وانطلقت عجلة العمران تسير مع السبيل المؤدي إلى ساحة التقدم. والموصل إلى مقام رقي هذه الأمة.

وثانيهما : العمل من أجل استكمال الوحدة، وهذا الجانب يتطلب تجنيد كافة الشعب على مختلف طبقاته لسحق العدو الذي مازال جاثما بكلكله على أجزاء من وطننا ويستعبد مواطنينا. ولقد نالت هذه الواجهة حقها، إذ أعلنها هذا الشعب بقيادة العرش العلوي المجيد حربا لا تعرف التوقف على معاقل الظلم والطغيان حتى هز كيان العدو وهدم أركانه وسحق دعائمه، فحرر العرش العلوي المجيد والشعب المغربي الوفي منطقة طرفاية سنة 1958، وتسلم ولي العهد آنذاك أمير المومنين الحسن الثاني طرفاية هو بنفسه من يد المستعمر الإسباني.

ولم تتوقف ثورة الجهاد العارمة في كل من الساقية الحمراء ووادي الذهب وسيدي إيفني. فسكان هذه المناطق بالتحامهم مع باقي سكان مناطق المملكة المغربية الأخرى جاهدوا من وراء أمير المومنين الحسن الثاني لاستكمال الوحدة في عهده الزاهر،

فاستقل سيدي إيفني 1969 بحكمة سيدنا وصمود الشعب المغربي الوفي.

وتحققت الوحدة بإعلان جلالة الملك للمسيرة الخضراء التي حررت الصحراء وقضت على مسلسل مؤامرات، طويل المدى، متشابك الخيوط، دبره أعداؤنا لتشتيت شملنا وتمزيق وحدتنا، فخاب أملهم وفشلت مخططاتهم الماكرة، وانتصر الحق على الباطل، وفازت المشروعية على الظلم. وها هو الشعب المغربي بقيادة العرش العلوي المجيد يعيش في أمن واطمئنان ووحدة كاملة، رغم كيد الكائدين ومؤامرات المتآمرين، مخلصا لمقدساتنا الوطنية، وفيا لقسم مسيرة فتح القرآنية السلمية النادرة من نوعها:

(أقسم بالله العلي العظيم أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء، مكافحا عن وحدة وطني من البوغاز إلى الصحراء، أقسم بالله العلي العظيم أن ألقن هذا القسم أسرتي وعترتي في سري وعلانيتي، والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي).

من علماء الصحراء المغربية
الولي الصالح الشيخ سيد أحمد الرقيبي

الولي الصالح ذو الأتباع الكثيرة والمحامد الشهيرة، الشريف العلمي الإدريسي السيد الشيخ أحمد الرقيبي.

فكان هذا الولي تقيا ورعا محببا في قلوب الناس، كثرت أتباعه وانتشر صيته، وعمل على نفع العباد وتوحيد البلاد، فكان من المخلصين المتفانين في الوفاء لواجب البيعة لملوك المغرب الذين عاصرهم، وكان محل تقدير واحترام عند الجميع، وترك في ذريته الشرفاء الرقيبات الإخلاص للبيعة، والدفاع عن الوحدة، وبقي ذلك متوارثا فيهم يأخذه الخلف عن السلف، فصانوا ما عليهم من واجب البيعة الشرعية، ولقد بالغ العرش العلوي المجيد وملوكه الأماجد في العناية بقبيلة الشرفاء الرقيبات.

وسيجد القارىء لهذا البحث في الملحق نص الظهير الشريف المؤرخ بـ 15 شعبان 1325 الموافق لسنة 1905 المتعلق بإقرار ما تضمنته الظهائر المسلمة للشرفاء الرقيبات من السلطان مولاي الحسن وأسلافه من التوقير والاحترام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والسعي الجميل المستدام، إذ بين هذا الظهير الحفيظي أن الملوك العلويين أولوه عطفهم الأبوي وحنوهم السرمدي لقبيلة الشرفاء الرقيبات الذين أخلصوا للمقدسات الوطنية.

وإن المعارك التي خاضعها أبناء الشيخ سيد أحمد الرقيبي ضد الوجود الاستعماري ودفاعا عن وحدة هذا الوطني بقيادة العرش العلوي المجيد خير شاهد على ما لهذه النبعة الشريفة من التمسك بالبيعة.

ومن اطلع على ما كتب عن مكانة الشيخ سيد أحمد الرقيبي وما خلد أبناؤه الشرفاء من ذكر جميل وأحدوثة طيبة يعلم علم

اليقين أن دورهم الطلائعي في التضحية والجهاد والإخلاص للوحدة يفخر به المغرب وأجياله الصاعدة.

رضي الله عن الشيخ سيد أحمد الرقيبي الذي شرف بلده وخدم وطنه وأخلص للبيعة التي طوقه الله بها، امتثالا لكتاب الله وسنة رسوله.

فالله أرجو أن يسكنه في أعلى عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا.

العالم الولي الصالح الشيخ سيد أحمد لعروصي

كان هذا العالم الولي الصالح الشيخ سيد أحمد لعروصي من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين والأتقياء البارزين، ظهر على يديه من الفضل ونفع العباد ما لا يصفه الواصفون، ولهجت الألسن بذكره الجميل في كثير من البلاد، وأخلص رضي الله عنه لملوك المغرب الذين عاصرهم، وتفانى في حب هذا الوطن، وحمى أولاد الشيخ سيد أحمد لعروصي، المعروفون بالشجاعة وقوة الشكيمة وصلابة العود الثغور من الغزو الاستعماري بتوجيهات الملوك الذين عايشهم الشيخ سيد أحمد لعروصي، المعروف بصلاحه وعلمه واستجابة دعائه وتقواه.

وكان ملتزما غاية الالتزام بالوفاء لواجب البيعة والتمسك بالطاعة هو وذريته الأبطال.

ولقد تمسك أبناؤه الأوفياء بما كان عليه جدهم الشيخ سيد أحمد لعروصي الشريف الحسيني إلى يومنا هذا من الإخلاص لولي الأمر والتمسك بما يدعو له الكتاب وسنة الرسولﷺ من الوقوف عند الحدود الشرعية والإخلاص للبيعة لمن ولاه الله أمر هذه البلاد.

وهاهم أبناء الشيخ سيد أحمد لعروصي سالكين سبيل الطاعة والإخلاص للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه دام عزه ونصره، رضي الله عن الشيخ سيد أحمد لعروصي، وأسكنه أعلى عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولائك رفيقا.

ذكر بعض أسماء علماء الصحراء

سيد عبد الله بن محمد العلوي المعروف بابن رازك.

فمن العلماء العاملين والصلحاء البارزين والأتقياء الورعين سيد عبد الله بن محمد العلوي المعروف بابن رازك، فقد عرف هذا العالم بإخلاصه للعرش العلوي المجيد وحبه لآل البيت.

وكان رضي الله عنه من الأوفياء، فلم يثنه عن التردد على القصر الملكي بمكناسة من أجل تجديد البيعة هو ورفاقه من علماء الصحراء المغربية بعد الدار ومشقة الأسفار، كان كل واحد منهم جاعلا نصب عينيه قول الشاعر :

ولسنـا على طـول السفـار ومجهل
مهـول إليك المنتهى فيـه نأسف

وكان بن رازك من المحظوظين والمقـربين عند مولاي إسماعيل تغمده اللـه برحمتـه. وخلـد من إنتاجـه شعرا ونثـرا ما يعطيك الدليـل القاطـع على مـدى وفائـه لهـذه الـدوحـة العلويـة الشريفـة.

وكم حرر هذا العالم من رسائل وصكوك يبرز في الكل تجديد بيعته هو نفسه ومن ينوب عنه.

ولقد تقاطر في عهد مولاي إسماعيل تغمده الله برحمته علماء الصحراء وأهل الحل والعقد منها لتجديد البيعة.

وكان ابن رازك المتحدث عنه من ألمع الوافدين على السلطان في هذا العهد.

ومن قربه لمولاي إسماعيل وانخـراطه في سلك الأسرة الشريفة ربطته صداقة حميمة بسيد محمد بن مولاي إسماعيل.

فكان ابن رازك معجبـا بسيد محمد، فكم من مدائح مـرقصة مدحه بها وأشاد بفضل هذا البيت النبوي الشريف.

إذ يقـول في حق سيد محمـد بن مولاي إسماعيل ووالـده من قصيـدة طويلـة أجاد فيهـا كما هي عـادتـه في كلما يتنـاول من الإنتـاج:

وأعتـاد منـه مـا تعـودت من يـدي
أبيـه أمير المومنين المؤيـد
هما والـدهـا تـوج الملك مثلـه
ومـولـود صـدق بـالمكـارم مقتـد

لقد عبر هـذا العالم باسمـه واسم غيره من علماء الصحراء في عهد مولاي إسماعيل عن إخلاص الكل وحبه العميق لهذا العرش العلوي المجيد. فجزاه الله برضاه الأكبر.

فلقد ترك لنا أثرا علميا تفخر به الأجيال ويعطي صورة ناطقة عن مـدى ما وصل إليه الحقـل المعرفي من ازدهـار في عهد المولى إسماعيل، وفي ظل هذه الدوحـة دام لنا عزها وأبد اللـه ملكها إنه ولي التوفيق.

ورضي الله عمن أخلص للبيعـة وتمسك بواجبها كـالعالم ابن رازك تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته.

العلامة الجليل طود الجهاد والعلم
الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين

إن شيخنـا الشيـخ ماء العينـين بـن الشيـخ محمـد فاضل ابن مامـين الشريـف الإدريسـي نـادرة زمنه، وفـريـد عصـره في العلـم الـغـزير النـافـع والجهاد الصادق الـمكـلـل بالـنجاح، والمـتـوج بالانـتصارات تلو الانـتـصـارات.

فعندما صدره والده الشيخ محمد فاضل بن مامين ونهل وعل من ينـابيع المعرفـة وصار بحـرا يتـدفق بأنواع العلـوم النافعـة، ويتلقى منه كـل من خصه الله بـاللقاء معـه درر العلوم الغـالية توجـه لتجديد البيعـة سنة 1274 للسلطان مـولاي عبد الـرحمن الذي تلقاه في مـدينة مكناسة المحـروسة بكرم الله بكـامل عطفه ومـوفور عنـايتـه، وعينـه حالا على رأس وفـد الحج لبيت اللـه

الحرام. وبعد أن أدى هو ومرافقوه فريضة الحج كلفه السلطان بمهام جسام دينية واجتماعية، فكان هذا الشيخ محل ثقة واحترام كاملين عند الملوك العلويين الذين خصه الله بخدمتهم والعمل بتوجيهاتهم، وظهر على يديه من الأعمال الصالحة لهذا الوطن، خدمة للمقدسات الوطنية، ما جعله يزداد حظوة كبرى عند الملوك الذين عايشهم وتشرف بصحبتهم وخدمتهم بكل وفاء وهم على التوالي:

1) مولاي عبد الرحمن تغمده الله برحمته وأسدل عليه رضاه الأكبر.

2) ومولاي سيد محمد رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

3) ومولاي الحسن الأول أسكنه الله فسيح جناته.

4) ومولاي عبد العزيز رزقه الله أعلى عليين.

5) ومولاي احفيظ متعه الله بالنظر في وجهه الكريم وأنزلهم جميعا أعلى عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا.

فنال بهذه العناية المولوية مكانا مرموقا وسمعة طيبة، وانتشر صيته لعلمه وورعه وجهاده وكثرة أتباعه ومريديه، ولما حباه الله به من سلوك مستقيم وورع عجيب وتمسك بجادة الشرع لا يحيد عما يجب عليه قيد أنملة، يطبق ما يدعو له الكتاب والسنة بكل شفافية، صاحب حزم ويقظة كاملين، يعيد النظر في مستجدات الأحداث، ذو حنكة سياسية غريبة، سخر مواهبه العجيبة لخدمة ملوكنا العلويين ولصالح وطنه وتوحيد بلاده في

ظروف صعبة، فكان لا يستقر له قرار دون الاتصال المباشر بملوكنا الأماجد الذين كرسوا جهودهم لحماية هذا الوطن وللدفاع عن الدين الإسلامي بحكمة وموعظة حسنة، وفي نفس الوقت لا يترك ولو لحظة واحدة الاحتكاك المباشر بجميع طبقات هذا الشعب المغربي، وإبداء النصح له ورشده وتوجيهه بالتمسك بما يجب عليه وفق ما يتلقى من توجيهات سامية من ملوكنا العلويين.

والشيخ ماء العينين مثال في التضحية والجهاد والإخلاص. له عدة مؤلفات في شتى أنواع المعرفة تزيد حسبما وقفت عليه على مائة وخمسين مؤلفا.

وذكر الكثير من الباحثين والدارسين لشخصية الشيخ ماء العينين على أن مؤلفاته وصلت إلى ثلاثمائة وخمسين مؤلفا.

فمثله في العطاء العلمي والجهادي ونفع البلاد والعباد نادر.

ولقد سخر كثير من العلماء والأدباء والفقهاء والباحثين أقلامهم لدراسة شخصية الشيخ ماء العينين، فحير الكل ما أعطاه الله من العلم والاستقامة والجهاد ونفع البلاد والعباد.

قال بعضهم :

إن امرأً فاته المختار من مضر

أو فاته الشيخ ماء العينين مغبون

وسيرى القارىء في ملحق هذا البحث نماذج من بعض الرسائل الموجهة للشيخ ماء العينين من بعض الملوك الذين

عاصرهم وتشرف بخدمتهم، وسيعلم من خلالها مدى الثقة المولوية الموضوعة في هذا الشيخ الجليل الذي خدم العرش العلوي المجيد والملوك الذين خصه الله بالعمل بجنبهم بكل تفان ووفاء للبيعة الشرعية التي يعلم شيخنا الشيخ ماء العينين ما يترتب عليها من واجب الطاعة والامتثال. رضي الله عن شيخنا الشيخ ماء العينين وأسكنه فسيح جناته، راجين من الله جلت قدرته أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن لا يغيب عن الشيخ ماء العينين أجر ما قام به من عمل مشرف، دفاعا عن وحدة مغربنا الكبير ونشرا لدين جده المصطفى في قلوب الناس، ونفعا لعباد الله على مختلف طبقاتهم، ووفاء لمقدساته الوطنية تشبثا منه بكل إخلاص للبيعة الشرعية التي أخلص لها وتفانى في حب الجالس على العرش العلوي المجيد.

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته راجين من الله جلت قدرته ألا يفتننا بعده، إنه سميع مجيب.

العالم الجليل سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي

الذي اشتهر بالعلم والولاية وكثرة الأتباع في غرب إفريقيا، وقد صحب السلطان المقدس سيد محمد بن مولاي عبد الله تسع سنين، وكان في محل حفاوة وإكرام عند السلطان.

وكان العالم سيد عبد الله المتحدث عنه وفياً مخلصاً، ويذكر دائما في مجالسه العلمية مناقب السلطان سيد محمد بن عبد الله وخلاله الجميلة من جهاد وعلم وإيمان صادق وحب للصالحين وتكريم للعلماء.

ولقد أمد السلطان سيد عبد الله بخزانة كتب نادرة، اعتبرت أعظم خزانة شوهدت في الجنوب في تلك الفترة حسبما حدثني به الدكتور محمد الكبير العلوي الذي له اطلاع واسع وخبرة شاملة على حياة هذا العالم الفذ النادر من نوعه.

ولهذا العالم الشهير عدة مؤلفات في شتى أنواع المعرفة، شاهدة له على علمه واتساع مادته وغزارة معلوماته رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

ومن علماء الصحراء الشيخ سيدي المختار الكنتي

الشيخ سيدي المختار الكنتي عالم عامل ذو صيت واسع وشهرة عمت الكثير من الأقطار لما له من أعمال بناءة وأخلاق حميدة وعلم غزير، فلخلاله المحمودة كثرت أتباعه وعز جاره، ونال حظوة في قلوب الملوك عظيمة، وكان رضي الله عنه من المخلصين للعرش العلوي المجيد والجالس عليه، ومن اطلع على مراسلاته وكتاباته الشيقة لهذا

البيت النبوي الشريف يدرك ما له من فناء وإخلاص كاملين.

ولقد كرس جهده لخدمة المقدسات الوطنية، وليس هذا بغريب عليه، فهو العالم الحكيم الذي يخدم مصلحة أمته ولا يترك ما أوجب الله عليه من الامتثال لعلمه وطاعته لولي الأمر وتمسكه بجادة الشرع وصلاحه.

ولقد شغل وقته الثمين بنفع العباد وتلقين العلوم والدفاع عن وطنه المغرب بما آتاه الله من إمكانيات، وكان مولعاً بالعلم واقتناء الكتب والبحث عنهم.

وفي رسالته التي بعثها لأمير المومنين مولاي عبد الرحمان بن هشام التي سيجدها القارئ في ملحقات هذا الكتاب ما يؤكد ما أشرنا عليه، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته بفضله وجوده وكرمه.

من علماء الصحراء المغربية أيضا
الشيخ محمد المامي

ومن علماء الصحراء المغربية المعروفين بالعلم وقوة الابتكار والشجاعة في الرأي حسب ما يظهر له من المصلحة وفق كتاب الله وسنة رسوله ذو التآليف العديدة والأنظام الفريدة في شتى أنواع الفنون، العلامة الجليل الشيخ محمد المامي

الذي أكثر سكناه في البادية، وبالأخص في الصحراء المغربية.

فيقول عن نفسه في نظمه لمختصر خليل:

محمد الذي له إلمام علم   ابن البخاري بين ضال وسلم

قال شارح هذا البيت: إن قصده في قوله بين ضال وسلم إشارة إلى أنه من أهل البداوة، فينتهي نسب هذا العالم إلى جعفر ابن أبي طالب بن عبد المطلب حسبما وجدته في مجموعة أنظام مباركة للعلامة الشيخ محمد المام.

فكان هذا العالم من الأوفياء للعرش العلوي المجيد، فمن تتبع أدعيته يجد أن ما دعا به لمعتلي العرش العلوي المجيد من الأدعية الصالحة يبرهن عن إخلاصه ووفائه لآل هذا البيت النبوي.

فالشيخ محمد المام من الأعلام المدافعين عن الحق والتمسك بواجب البيعة الشرعية والتشبث بواجب الطاعة لمن ولاه الله أمر المومنين.

فكان الشيخ محمد المامي من الدعامات المشهورين، يحب العرش العلوي في هذه الجهة من المملكة الشريفة.

ولقد ضمنت في البحث الذي سبق لي أن قدمته في ندوة البيعة والخلافة في الإسلام في دورتها الأولى بالعيون أبياتاً من أدعيته لآل البيت الشرفاء العلويين دام ملكهم وخلد في الصالحات ذكرهم.

ولمن أراد الاطلاع على هذا الإنتاج فعليه بالرجوع لكتاب الجزء الأول من ندوة البيعة والخلافة الذي طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية طبعة جيدة مشكورة على هذا العمل.

ولست بمبالغ إذا قلت: إن الشيخ محمد المام بن البخاري فريد عصره ونادرة زمنه في العلم والورع والتقوى. فقد نال شهرة عظيمة لمكانته العلمية والاجتماعية رضي الله عنا وعنه، ونفع الكل بعلومه وإنتاجه المتنوع.

العالم الجليل الشيخ سيد اعل بن الشيخ محمد فاضل

ومن ألمع المجاهدين العلامة الشهير والألمعي النحرير ذو التآليف العديدة والفتاوى المفيدة من جعل قلمه وسيفه فرسى رهان في الدفاع عن وحدة الوطن المغربي، إخلاصاً لله وللعرش العلوي المجيد والجالس عليه، العلامة العامل. والدراكة الفاضل الشيخ سيد أعل بن الشيخ محمد فاضل الشريف الإدريسي أحد أعلام مدرسي مدرسة الصمارة. فكان هذا العلم اللامع والغيث النافع والبدر الساطع والقدوة الجامع أعجوبة عصره في علم الأصول والفروع، وكانت مدرسته العلمية متنقلة معه لا تفارقه في حضره وسفره، تراه طول حياته مشتغلاً بالعلم تدريساً وتأليفاً يحتضن كل من آوى إليه قصد التعلم وتهذيب النفس،

نفعه على من خصه الله بصحبته والنهل من معين علمه الفياض باد، وتجمع مدرسته العلمية أبناء الكثير من جهات المملكة، وبالإخص أبناء تادلة وبني ملال وخنيفرة، زيادة على المواريد والطلبة الراغبين في العلوم من هذه الأقاليم الصحراوية المغربية وغيرها.

وكان الإقبال على هذا العالم العامل شديداً لتواضعه، وغزارة علمه، وفنائه في الله وحبه للخير، وكان كثير الترحال نشيطا في نشره للعلم صلباً في مواجهته للعدو، كرس حياته لبث العلم وتلقينه وضبطه وتأليفه وإخلاصه للملوك العلويين، وكان من الذاكرين الله كثيراً والواقفين عند حدود الشرع متفانياً في الإخلاص للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه.

ولقد تربى وهو مخلص للبيعة الشرعية التي طوق الله بها شعبنا المغربي للعرش العلوي المجيد أبد الله ملكه وخلد في الصالحات ذكره.

وكانت دروسه ومحاضراته وأحاديثه تدعو إلى التمسك بالطاعة لولي الأمر، امتثالاً لما يدعو إليه كتاب الله وسنة رسوله.

وانتشر صيته في كثير من أقطار العالم، ولقد تربى وهو على هذا السبيل المستقيم رضي الله عنه وأرضاه.

ولا غيب عنه أجر الإخلاص للمقدسات الوطنية والعلم والجهاد، إنه مجيب لمن دعاه.

العالم الجليل محمد بن محمد العلوي

كان السيد محمد بن محمد العلوي رضي الله عنا وعنه فريد دهره ونادرة عصره في سرعة البديهة وقوة الابتكار وحسن السبك ورفعة الإنتاج نظماً ونثراً، وله محبة لآل البيت خلدها في شعره وحلى بها نثره. وإخلاصه للعرش العلوي المجيد وخدمته لهذا البيت النبوي الشريف يعرفها الخاص والعام.

ومن تتبع ما له من إنتاج عال وظفه لتمجيد الملوك العلويين أبد الله ملكهم يدرك مدى وفائه وإخلاصه.

فكان تغمده الله برحمته يخدم وطنه وملكه ودينه بصدق وشرف، وقد تستشف ذلك من قصيدته المشهورة التي مدح بها السلطان المعظم مولاي عبد الرحمان يبين له في هذه القصيدة مدى حرص جلالته على رعاية شعبه والقيام بمصالحه بالرغم من ترامي أطراف المملكة وشساعة مساحتها.

يقول:

الله منك حقوق الناس قلدها
يقظان لا غافل عنها ولا ناس

وزاد قائلا:

عمرت عمرت من عهد الشريعة ما
باض النعام بدور منه أدراس

داركتها بعد ما صالت دعائمها
فاستحكمت واطمأنت فوق آساس

إن العلامة محمد بن محمد العلوي خدم العرش وأخلص للوطن، وساهم مساهمة ماثلة للعيان في نشر مآثر ملوكنا الأماجد، وما قاموا به من عمل بناء، إحياء للبلاد، وغيرة منهم على مصالح العباد. فرضي الله عنه وجزاه جزاء الوفي للبيعة الذي تفاني في خدمتها عن طواعية ونكران ذات.

العلامة محمد بن محمد سالم

كان محمد بن محمد سالم العالم العامل من مشاهير علماء الصحراء المغربية.

فلقد بث من العلوم في صدور الرجال والنساء ما انتفع به كثير من عباد الله على الصعيد الوطني المغربي وخارجه، وكانت له عدة تآليف مفيدة في شتى أنواع العلوم، ومن الذين خدموا العرش العلوي المجيد بكل إخلاص وتفان، ولطلابه المتخرجين على يديه وفاء خاص وغيرة وطنية تصاحب سلوكهم لما رباهم عليه هذا العلامة الجليل من حب آل بيت النبيﷺ والتشبث بالجالس على العرش العلوي المجيد.

ويحبر مدائحه الشعرية لهذه الدوحة النبوية بالدعاء دائما وأبدا، ومن ذلك قوله:

إلاهي لا تشمت بآل محمد
مدى الدهر أعداء ولا تشف حسدا
أئمتنا الأعلون أنصار ديننا
فابق تليد الملك فيهم مخلدا
بجاه شفيع المذنبين محمد
عليه إلاه العرش صلى ومجدا

العالم الورع سيد يعقوب ولد الليلي

إن العالم العامل والشريف الفاضل العلامة سيد يعقوب بن الليلي عرف بالصلاح ونشر العلم وبثه في قلوب الناس، تقي متواضع سالك سبل السلف الصالح، طيب الذكر، تلهج الألسن بخلاله الحميدة هو وإخوته الكرام، ومن جملة إخوته العلامة محمد الحسن ولد الليلي المترجم له في هذا البحث.

ولولا خوف التطويل لتحدثت عن كل واحد من إخوته الكرام، ولكن لضيق الوقت ولالتزامي بتوثيق ما أكتب لم يسمح الظرف بالتفصيل الكامل في ذكر علماء الصحراء برمتهم ونشر فضلهم اللامع وذكر دفاعهم عن الوحدة وإخلاصهم للبيعة الشرعيةللعرش العلوي المجيد دام نصره وعزه.

ومن المعلوم أن هذا الجانب من حياة علماء الصحراء الأماجد يعلمه القاصي والداني ممن يهتم بهذا الموضوع من حياة أعلام الأمة الإسلامية، ولقد ذكرت في صلب هذا البحث أنني عازم إن

شاء الله على استقطاب ذكر الجميع عندما يسمح بذلك الوقت الذي يضغط بأعماله المتراكمة.

ولقد عرف هذا العالم المشهور بالتقوى والولاية، عرف بالإخلاص للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، فكان من المتفانين البارزين في الوفاء للبيعة الشرعية المطوقة لأعناقنا لهذا العرش أبد الله ملكه وخلد في الصالحات ذكره.

وكان رضي الله عنه يحث على التمسك بما يدعو له الكتاب وتهدي له السنة من السلوك المستقيم، ولم يحد عن ذلك هو ولا أتباعه قيد أنملة إلى أن لبى داعي ربه وفياً متمسكاً بالبيعة لولي الأمر على الوجه المطلوب شرعاً رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنة الفردوس مثواه إنه ولي التوفيق.

العلامة الجليل نائب الخليفة بتطوان
يجدد البيعة للمغفور له محمد الخامس

إن الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين الذي كان ينوب عن خليفة السلطان بالمناطق الصحراوية عرف بوفائه وإخلاصه واستقامته وثباته على التشبث بالمقدسات الوطنية.

فكان رضي الله عنه مثالاً يحتذى به في حبه للعرش العلوي المجيد وخدمة هذا الوطن العزيز وتكريس جهده في طاعة الله ونفع عباده.

وفي وفادته على المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه كتب العلامة الكبير والوطني الغيور والزعيم الشهير والباحث النحرير صاحب القلم السيال، من وظف شبابه وكرس جهده ووهب حياته لوطنه وأخلص لمقدسات هذا البلد الأمين ولشعارنا المقدس إذ شهرته تغني عن التعريف بمكانته العلمية ودوره الجهادي الرائد أستاذنا الجليل السيد علال الفاسي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، كتب متحدثاً عن آل الشيخ محمد فاضل بمناسبة وفادة الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين نائب خليفة السلطان بتطوان في الصحراء المغربية على جلالة مولانا الملك محمد الخامس طيب الله ثراه ورضي عن الجميع وأسكنه في أعلى عليين. قال:

«كان في جملة الوافدين على صاحب الجلالة لتجديد بيعة الصحراء الشيخ الأغظف خليفة الشيخ ماء العينين الذي قدم من اسمارة والعيون في نحو الستمائة خيمة وفي جملة وافرة من علماء تلك الناحية وأشرافها.

وقد أقاموا مدة في اكلميم ثم دخل منهم إلى محلاته، وانتقل الشيخ الأغظف إلى الرباط حيث حظي بمقابلة جلالة الملك. وأكد له بيعته وبيعة مريديه وأتباعه والصحراء عامة.

وهو الآن ضيف على جلالته كما كان والده الشيخ ماء العينين ضيفاً على جلالة جده مولاي الحسن وعميه مولاي عبد العزيز، ومولاي احفيظ». انتهى كلام العلامة علال الفاسي.

وبعد أن أعطى عرضاً ضافياً وقيماً عن جهاد أبناء هذه الجهة وما قدمه مجاهدو الجنوب من تضحيات جسام، ذباً عن الوحدة ووفاء للبيعة، زاد السيد علال الفاسي قائلا: «ولما تم الاحتلال الإسباني لمنطقة النفوذ الإسباني بهذه الجهة سلك سمو الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي مع هذه العائلة مسلك التقدير والاحترام، فعين الشيخ محمد الأغظف نائباً عنه بالجنوب، ولم يزل كذلك حتى زعمت إسبانيا أن لها الحق في اقتطاع صحراء المغرب وضمها لممتلكاتها، وزاد قائلاً بتصرف: وإننا إذ نحيي هذه الذكرى إنما نسجل صفحة من صفحات الجهاد التي قام بها شعبنا المغربي من أقصى جنوبه إلى أقصى شماله تحت قيادة العرش العلوي الشريف في سبيل دفع عاديات المستعمرين، والمحافظة على المغرب بجميع خدوده كوطن عربي إسلامي». انتهى كلام السيد علال الفاسي الذي نشرته صحراء المغرب الأسبوعية الوطنية للدفاع عن حدود المغرب الطبيعية والتاريخية. رئيس التحرير علال الفاسي السنة الثانية في عددها 72/71 الإثنين 24 محرم عام 1378 موافق 11 غشت 1958.

وعندما تشرف نائب خليفة السلطان بالمنطقة الشمالية الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين بالمثول بين يدي المجاهد الأكبر والمقاوم الأول والمحرر لنا ولكثير من شعوب العالم جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه. ألقى الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين الكلمة التالية بين يدي المغفور له محمد الخامس تغمده الله برحمته:

الحمد لله وحده، وصلى الله على أفضل من عبده.

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. مولاي صاحب الجلالة الملك الشرعي لهذه البلاد المقدسة. هذه الجوهرة من الزمن التي أتشرف بالمثول بين يدي إمام عادل ضحى بنفسه وعائلته وعرشه في مصلحة هذه الأمة إلى أن أنقذها الله تعالى من العبودية والشقاء، فوجب على كل فرد منها تجديد ولائه وإخلاصه، امتثالاً لأوامر الله تعالى ورسولهﷺ قال تعالى: ﴿**يأأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم**﴾.

فها أنا باسمي واسم سكان الصحراء الأماجد أجدد الإخلاص والولاء لجلالتكم كما كانت أسلافنا متمسكة بذلك لأسلافكم.

وبكوني كنت نائباً عنكم في ذلك الجزء من الوطن، باعتراف من الدولتين الإسبانية والفرنسية، بعد أن كان والدنا رضي الله تعالى عنه هو الواسطة فيما بين أسلافكم المقدسين مع ذلك الجزء من رعيتكم من عهد جدكم الأكبر مولاي عبد الرحمان إلى أن توفي والدنا رضي الله عن الجميع وأسكنهم فسيح جناته.

ومن ذلك الوقت إلى الآن وأنا قائم بتلك المسؤولية العظمى رغم ما أجده من الصعوبات والأمواج المتلاطمة في هذا الوقت الخطير إلى أن رأيت من واجبي أن أبلغكم تعطش رعاياكم التي لم تعرف ولم تعترف بسواكم في ذلك الجزء الصحراوي من الوطن - إلى الانضمام في أسرع وقت ممكن إلى حظيرة الوطن الوالد.

وبما أن ذلك الجزء هو عضو المغرب الأيمن منذ نشأت الدنيا وتقاسيمها التاريخية والجغرافية كذلك لايمكن لأهله أن يبقوا محرومين مما فيه إخوانهم من حرية واستقلال.

مولاي: إن أهل الصحراء رغم ما يلاقونه من ويلات الاستعمار وعذابه لم يزدهم ذلك إلا تشبثاً وتعليق آمال عليكم، ونحن واثقون بأن الله تعالى كما حرر بكم هذا الجزء سيحرر بقية الأجزاء الأخرى.

فكما أحسن الله فيما مضى. كذلك يحسن فيما بقي، راجين من المولى جلت قدرته أن يتم نصركم ويؤيدكم بروح منه إلى أن تروا في شعبكم ما تأملون من رقي وازدهار، وأن يحقق رجاءكم في سمو ولي عهدكم حفظه الله وباقي إخوانه الكرام، إنه سميع مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

نشرت هذه الكلمة بصحراء المغرب الأسبوعية الوطنية للدفاع عن حدود المغرب، رئيس تحريرها علال الفاسي بعدد: 69 – 70 بتاريخ الإثنين 10 محرم 1378 موافق 28 يوليوز 1958.

إن علماء الصحراء المغربية وزعماءها وقاداتها وجميع كبرائها على مختلف فصائلها وبمجموع قبائلها وعشائرها برهنوا كلهم عن وفائهم وتفانيهم في الإخلاص للبيعة الشرعية التي يفتخرون بها لملوكنا العلويين، وورث هذا الإخلاص الأبناء عن الآباء للجالس على العرش العلوي المجيد كما كان أجدادنا مخلصين لأسلافه المنعمين الذين دافعوا عن هذا الوطن بكل غال ونفيس،

وحافظوا على وحدته التاريخية رغم ما عاناه العرش والشعب من مؤامرات الغزو الماكرة.

فكان نضال العـرش والشعـب دفاعاً عـن الحقـوق المشروعة مكللـين دوما وأبدا بالتوفيـق والنجـاح الباهريـن.

إن لعلماء ووجهـاء المملكة المغـربيـة في شرق المغـرب وغربـه وشمالـه وجنوبـه عمـلاً رائداً في الحفاظ على القيـم والدفـاع عن وحدة هذا الوطن العزيز.

وسيبـقى الخلــف مستمراً على منهـــج السلـف في الــدفـاع عن شعـــارنا المقـــدس «اللــه الوطــن الملك» إلى أن يــرث اللــه الأرض ومن عليـــها رغـــم كيـــد الكـــائـــديـــن ومـــؤامـــرات المتآمــرين.

﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

فكـان العـلامــة الجليل السني ذو الأخـلاق الحميـدة والمزايـا العديدة والتضحيات الجسام مع نكران الذات مدى الليالي والأيام شيخنـا الشيخ محمد الأغظف متمسكـاً أشـد ما يكـون التمسك بالوفاء للبيعـة للعرش العلوي المجيد، امتثالاً لما يدعـو له الكتاب والسنــة متفانيــاً في حب العــرش العلــوي المجيد، والجالس عليـه جـلالة المغفـور له محمـداً الخامس طيب اللـه ثراه لا يحيـد عما أوجب عليه الشرع في طـاعة ولي الأمر قيد أنملـة. ولقد أبلى البلاء الحسن في دفاعــه عن المقـدسات الوطنيــة، فما وهن وما ضعف ولا استكــان، وبقـــي على الخط السليم والطــريق المستقيم حتى عـاش انتصار العــرش والشعب على أعـداء هـذا الوطـن الـذين

أفشل الله مؤامراتهم بانتصار الحق على الباطل والمشروعية على الظلم.

رضي الله عن هذا العالم العامل التقي الورع الملتزم، الفاني في الله والذائب في امتثال أمره، واجتناب نهيه شيخنا الشيخ محمد الأغظف الذي أخلص للعرش العلوي المجيد، وبقي على سبيل والده شيخنا الشيخ ماء العينين في التفاني في خدمة هذه الدوحة النبوية الشريفة والإخلاص لها والوقوف عند أمرها ونهيها، تمسكاً بالبيعة الشرعية لملوكنا العلويين الأماجد.

العلامة الجليل الشيخ محمد الإمام ابن الشيخ ماء العينين

كان لهذا العالم الجليل بلاغة نادرة وحكمة شاملة وعقل رجيح ولسان فصيح وإدراك لدقائق الأمور غريب، مجالسه يحلو له المجلس.

عالم عامل تقي ورع وفي، مخلص لله ولرسوله ولآل البيت. سخر قلمه ووظف فكره، خدمة لهذا الوطن ولمن أعطاه الله قيادته، فمن راجع مدائحه للمغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وما نثر من درر غالية في مدح مولانا الحسن الثاني يدرك مدى حبه لهذا العرش وإخلاصه وتمسكه بالبيعة الشرعية التي يقدسها ويعلم حكمها ولا يتعدى عما يجب عليه قيد أنملة، رضي الله عنه وأرضاه.

ومن تتبع كتاباتـه الشيقة وقصائده الشعريـة الرفيعة يتيقن أن هذا العـالم الموفق خدم دينه ووطنه وملكـه بكل شرف وإباء رضي الله عنا وعنه، ولا غرابة في ذلك، فهو ابن بجدتها، والدر من معدنه، ورث الإخلاص للملوك العلويين الأماجد من آبائه وأجداده الذين صدقوا ما عاهدوا اللـه عليه فلم تأخذهم في الدفاع عن هذا الوطن بقيادة العرش العلوي المجيـد لومة لائم. لا غيب الله أجر ذلك عنه، إنه سميع مجيب.

الشريف الصالح محمد الحسن بن الليلي

كـان السيـد محمـد لحسن بن الليلي من الصلحـاء الـورعين والأتقياء الزاهدين وحفاظ كتاب الله الماهرين، وكان محبباً للناس، لاستقامتـه واتباعه ومجاهـدته لنفسـه، عاش ولله الحمـد، عمراً مـديداً قضـاه فيما يعنيـه مما يجب عليـه من الطـاعة والعبـادة المستمرة، مخلصاً للـه ولدينه ولملكه، لم يحترمـه العدو الإسباني لكبر سنـه وضعفه، فـألقى عليه القبض لما لمس فيـه من وطنيـة صـادقة ووفـاء للبيعة التـي أخلص لها الشريف الصالح السيـد محمد الحسن بن الليلي. وعندمـا أطلق المستعمر الإسباني سراحه من سجن عيون الساقية الحمراء تـوجه توه للوطن المحرر لمدينة طرفاية، وبقي سالكاً الطـريق المستقيم ينصح ويوجه ويدعو إلى الله بـالتي هي أحسن، متشبث بالبيعـة الشرعية التي طوقـه الله بها، كما طوق بها جميع سكـان المملكة المغـربية للعـرش العلوي المجـاهـد والجالس عليـه، رضي اللـه عنـه وأرضـاه وجعل جنـة الفردوس مثواه.

العالم الشيخ سيد محمد ولد لبصير

إن الحديث عن هذا الولي الصالح والعالم الفذ الناصح والشهم القوي في الله يحلو، لعلمه استقامته وظهور الكرامة على يديه وحب الناس لشخصه الكريم وتسخيرهم له.

فكان الشيخ سيد محمد بن لبصير رضي الله عنه وأرضاه من ألمع أعلام أهل هذه الجهة، لما لوحظ في هذا الشريف التقي الوفي الورع من الاستقامة وحب الجميع، والتمسك بما يدعو له الله ورسوله، والفناء في الله قولاً وفعلاً، فمثله رضي الله عنه نزر قليل، ولقد ضاعف جهده في العمل البناء لنفع البلاد والعباد يحث أتباعه ومواريده على الامتثال والطاعة والإخلاص لله ورسوله وللجالس على العرش العلوي المجيد. فأخلص تغمده الله برحمته للبيعة، لعلمه وورعه وتمسكه بما يدعو له الكتاب والسنة من الوفاء لولي الأمر والإخلاص للبيعة الشرعية التي شرفنا الله بها للعرش العلوي المجيد والجالس عليه دام عزه وعلاه.

فكان الشيخ سيد محمد بن لبصير من أقوى العلماء وأصلبهم عوداً وأشدهم تمسكاً بما يأمر به الله ورسوله، فجند نفسه ومواريده وأتباعه الكرام للدفاع عن مقدسات هذا الوطن العزيز تغمده الله برحمته بفضله وجوده وكرمه.

العالم كمال ولد امحيفيظ

من العلماء الذين اشتهروا بالعلم وحسن الخط والصلابة في الحكم والفتوى، العالم الجليل، والقاضي الشهير في هذه المناطق الصحراوية، السيد كمال ولد امحيفيظ. فلقد كان من البارزين في ميدان الفقه، وله عدة أحكام تدل على شمولية معرفته الفقهية، وكانت آراؤه في فتاويه مصيبة لدقة ملاحظته، وسرعة بديهته وكمال نباهته. ولقد ترك السمعة الطيبة في جميع أوساط السكان الذين عاشوا معه وتعرفوا على سلوكه المستقيم. فكان محل تقدير من الكل، وينصف المظلوم بكل سرعة حين يتبين له الحق.

والعالم السيد كمال ولد امحيفيظ من الذين برهنوا عن إخلاصهم ووفائهم للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه.

وكان لا يحيد عما يمليه عليه واجب البيعة الشرعية للعرش العلوي، فقد أخلص لهذا الواجب الشرعي بطواعية ووفاء، امتثالاً لما جاء في الكتاب والسنة من طاعة ولي الأمر، وبقي سالكاً الخط السليم والطريق المستقيم حتى لقي ربه رضي الله عنه وأرضى عنه. إنه ولي التوفيق.

العالم الجليل السيد ماء العينين بن العتيق

ومن علماء الصحراء المغربية العلامة الجليل صاحب التآليف العديدة والفتاوى المفيدة والمواقف النبيلة والعطاءات العلمية الجليلة.

من زين عصره بإنتاجه الرفيع، وانتزع إعجاب طبقات المجتمع من رفيع ووضيع، فضيلة أستاذ الأجيال سيد ماء العينين ابن العتيق ذو النفس الأبية والأخلاق المحمدية.

فلقد جاهد هذا العالم بسيفه وقلمه ضد الوجود الاستعماري دفاعاً عن الوطن، وإخلاصاً للعرش العلوي المجيد، وقياماً بالواجب.

فلقد تخرج ابن العتيق من مدرسة الجهاد والعلم، مدرسة الصمارة الوحدوية، فأبناء هذه الحاضرة العلمية جاهدوا في الله حق جهاده، وأوذوا في سبيله لجزر المد الاستعماري، ولم ينهنه أي واحد منهم ما يلاقيه من الشدائد والضنك وطغيان المستعمر وأذنابه.

وماء العينين بن العتيق بإيمانه الصادق ووطنيته الجامحة وغيرته المتحفزة واجه المد الاستعماري في بدايته غزوه، واستمر في جهاده بإصرار الواثق من نفسه حتى حرر الله المغرب على يد المجاهد الأكبر جلالة المغفور له محمد الخامس... واطمأن بذلك قلبه وحقق الله له أمنيته...

إذ هو من المدافعين الأوائل عن حوزة هذا الوطن بقيادة العرش العلوي المجيد.

ولقد خلد من الكتب والفتاوى والقصائد الشعرية ما يبرهن عن غزارة علمه في ضروب أنواع المعرفة، وله عدة كتابات قيمة وقصائد شعرية في غاية الحسن.

في مناقب ملوك العرش العلوي المجيد. ومن ذلك قوله في مدح جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه من قصيدة طويلة:

زانت إمامتك الزمان وكيف لا
تزدان أزمنة وأنت إمامها

لم تبق من رتب الكمال مزية
إلا وأنت ملاكها وقوامها

لله درك ياابن يوسف من فتى
يرعى به للمكرمات ذمامها

أنت المليك الكامل الكرم الذي
نجلتك من غر الملوك كرامها

أجدادك الصيد الغطارقة الألى
غبطت بها الغرب العراق وشامها

موفورة أعراضها مبذولة
أموالها، موصولة أرحامها

وحميدة أخلاقها، وسديدة
آراؤها، وحديدة أفهامها

فمحل إيطـــان السماحـــة راضهـــا
ومحل تيجـــان الخلافـة هـــامهـــا

إلى آخر القصيـدة، وهي طويلـة في مدح العرش العلـوي، وله عدة قصائد مديحية أبرز فيها كثيرا مما حقق هذا العرش العلوي المجيد من بناء لهذا الوطن، ودفع العدو عن حياضه، والسهر على جمع شمل أبنائه وتوحيد ترابه التي هاجمها العدو حقداً وحسداً لهذه الدولـة المنيعة بـالعرش والشعب. هـذه الدولـة التي تفتخر بتاريخها وجهاد أبنائها صيـانة لكرامتها، ووفاء من هذا الشعب لـواجب البيعـة التي أخلص لها العلامـة مـاء العينين بن العتيق، لالتزامه بما يدعو له الكتاب والسنـة. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته.

العالم باب أحمد بن سيد يوسف

العـالم الفـاضل المجـاهـد الـوفي المتمسك بما يجب عليـه من الطاعة، الغيور على مصـالح بلده، حكيم زمنه، من إذا تكلم أفاد، وإذا عمل أجاد، العلامة باب أحمد بـن سيد يوسف الذي اشتهر بـالـوفـاء وحسن السلـوك وطيب النفس، والأخـلاق الحميـدة، والخلال المفيدة. ولقد بذل جهده في الإخلاص للـه وللوطـن وللملك.

وكان محل تقديـر عند الجميع لمكانة البيـت المنحدر منه، ولما وهبـه الله من علم وحسن تعبير وحكمـة بالغـة تظهر في نطقـه وتتشاهد في حسن سلوكه.

ولقد سمعت ممن عاصره من أهل العلم والورع يثني عليه الثناء العطر ويشيد بعلمه وحكمته وإخلاصه وحزمه ويقظته.

وكان حلو الفكاهة سريع الجواب صلب العود، قوي الشكيمة، لا يرضى بذل، ولا يخضع لهواه، وفياً ومخلصاً لله وللوطن وللملك. عينه مولاي عبد العزيز أميناً في الصحراء المغربية، وعمل بجد وإخلاص، وكانت أعماله يحالفها النجاح لاستقامته وحسن سلوكه ووفائه للبيعة الشرعية التي خدمها العالم العامل السيد باب أحمد بن سيدي يوسف بقلبه وقالبه، ولم يحد عما أوجب عليه الله ورسوله لعلمه وعمله بما علم إلى أن لقي ربه وهو على الجادة السوية. تغمده الله برحمته وأنزله أعلى عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

العالم السيد أحمد محمود ولد الشيخ سيد بوبكر العلوي

كان هذا العالم التقي صاحب الفتاوى العديدة فضيلة السيد أحمد محمود ولد الشيخ سيد بوبكر من العلماء الزاهدين والنبهاء المتطلعين، والأتقياء والورعين، يرجع إليه في هذه الجهة الصحراوية من المملكة المغربية في الفتاوى، لما حباه الله به من علم وورع وتمسك بالحق بكل موضوعية.

ولقد عرف بين السكان بوفائه وإخلاصه الصادق للعرش العلوي المجيد، وللجالس عليه جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه. ولقد زرته بمقر مزار أهل الشيخ سيد بوبكر بالحكونية سنة 1957، وكنت آنذاك مع مجموعة من قادة المقاومة وجيش التحرير، واستبشر بقدومنا غاية، وسره ما لاحظ من الاستماتة فيمن لقي من المجاهدين، إخلاصاً لله وللوطن وللملك. لما لهذا العالم الجليل من الغيرة على الوطن المغربي ولدفاعه بقلمه وفكره المتوقد عن واجب البيعة التي أخلص لها هو وأجداده الكرام تمشياً مع ما يحتم الشرع من واجب الطاعة لولي الأمر. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته. إنه قريب مجيب لمن دعاه.

العالم سيد لعروصي ولد اعل ولد مولود

لقد نال هذا العالم السيد سيد لعروصي ولد أعل ولد مولود حظوة وتقديراً كاملين عند ذويه. ومن تعرف عليه لعلمه ونشاطه في نشر الدين، فكان مسموع الفتوى، وله وزن وقيمة تشرفان لإقباله على العلم والاشتغال به، ولقد أخلص رضي الله عنه لوطنه ولواجب البيعة الشرعية التي طوق الله بها شعبنا المغربي للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه.

فكان سيد لعروصي تغمده الله برحمته من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في التمسك بواجب الطاعة والنصيحة لأبناء وطنه للقيام بما يجب عليهم ديناً ودنيا، وتحفيز هممهم للذب عن

مقدساتنا الوطنية. رحمه الله ولا غيب عنه أجر عمله الصالح، إنه ولي التوفيق.

العالم الشيخ سيد ابراهيم بن لبصير

العلامة الجليل والدراكة النحرير صاحب الأتباع الكثيرةوالآثار المحمودة الشهير فضيلة الشيخ سيد ابراهيم ابن لبصير.

كان هذا العالم التقي المعروف بالاستقامة محل إكرام وتقدير فائقين ممن لقيه أو صحبه أو تعرف عليه، لأخلاقه الحميدة وعلومه الجمة واستقامته الفطريةوطيبوبته الطبعية.

فانتشر صيته وانتفع به كثير من خلق الله، لعلمه وإنفاقه وحبه الخير لجميع البشر، وكان من الأعلام البارزين والأولياء الصالحين لما عرف في شخصه من الأتباع والالتزام بما يدعو له الكتاب والسنة، فقد انتشر صيته وكثرت أتباعه في تادلة ونواحيها، زيادة على مواريده وأتباعه وذويه الموجودين بالساقية الحمراء ووادي الذهب.

ولقد عبأ ما له من تأثير بارز ووزن ملحوظ لخدمة المقدسات الوطنية، فأخلص لله وللبيعة التي أوجب عليه الله ورسوله الوفاء لها، وكان عند الأمر والطاعة للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، وجهاده هو وأتباعه بالنفس والنفيس كنار على علم، ويشهد بذلك من تتبع حياته المشرفة. وتاريخه الجميل، طيب الله ثراه ورزقه النظر في وجهه الكريم، إنه ولي التوفيق.

ـ البحث العاشر ـ

العلامة الجليل سيد عبد الله ولد الشيخ سيد بوبكر العلوي

إن من تتبع ما عم هذه الجهة من الذكر الجميل الذي خلد هذا العالم التقي النزيه المترفع، الغني بالله عمن سواه، يعلم علم اليقين أن مثل العلامة الجليل سيد عبد الله نادر في التقوى والورع والاستقامة والاعتماد على الله والوفاء للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، فلقد عينه المغفور له قاضياً بدائرة باني كلها، فكان شريحي زمنه في الورع والاستقامة والصرامة في قول الحق والحكم به والسهر على تنفيذه ليحق الحق كما هي عادته ويسهر على زهق الباطل بنفسه، إرضاء لله ولرسوله، وليكون عند حسن ظن القاضي الأول، فكان رضي الله عنه مضرب المثل في النزاهة والاستقامة والتقوى.

زيادة على ما يشحذ به همم السكان من الوقوف في وجه العدو، ومن الإخلاص للعرش العلوي المجيد والدفاع عن الوحدة بصدق ووفاء كاملين.

وكان رضي الله عنه محل تقدير واحترام من طرف الجميع، لما شوهد فيه من التحلي بالصفات المحمودة، فانتزع إعجاب الجماهير، بل وكافة طبقات السكان، بسلوكه السبيل المستقيم، وامتثاله للسنة وكتاب الله الكريم، وتمسكه بالبيعة الشرعية

للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه بكل إخلاص وصدق ويقين، تغمده الله برحمته ورضي عنه، ورزقه جنة الفردوس في أعلى عليين، إنه قريب مجيب لمن دعاه وسأله.

العلامة سيد عثمان بن الشيخ حسن

من العلماء المعروفين بالشجاعة والكرم وقوة الشخصيةوالدفاع عن الحق وحب الخير للجميع، والوقوف في وجه العدو، زيادة على ماله من علم غزير وفتاوى رائدة وكتابات مفيدة، لما له من اطلاع واسع، العلامة الجليل الشيخ: سيد عثمان ابن الشيخ، حسن خريج مدرسة الصمارة الجهادية.

فبعد تخرج هذا العالم الشهم من هذه المدرسة العديمة الشكل في عطاءاتها العلمية والجهادية تصدى لغزو المد الاستعماري، فكان من ألمع المجاهدين تضحية ودفاعاً عن الوحدة، ووفاء للبيعةبقياة العرش العلوي.

فلقد ألب المجاهدين غير ما مرة على مراكز العدو، وخاض معارك ضد الوجود الاستعماري، وكان النصر حليفه في كثير من هجوماته المتكررة على الغازي، ولكن الحرب كما يقال سجال، وقد قيل: يوم لك ويوم عليك ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾.

ولم يحد عن الخط المستقيم الجهادي الوحدوي إلى أن أسدلت الحماية رداءها على جميع التراب الوطني، آنذاك عينه خليفة السلطان بتطوان مولاي الحسن ابن المهدي قاضي القضاة على هذه المنطقة المغربية، فكانت إيالته القضائية التابعة له بمقتضى الظهير الخليفي تحد جنوباً بمنطقة لكوير، وشمالاً بسيدي إيفني. وتقلد هذا المنصب الذي أبان في ممارسته عما له من جدارة ومقدرة كاملين. وسيجد القارئ في هذا الملحق صورة فوتغرافية من ظهير تعيين العالم الجليل سيد عثمان بن حسن الذي أخلص لله وللوطن وللملك، ومات وهو متمسك بالبيعة الشرعية التي طوقه الله بها لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

فمثل هذا العالم نادر في الجهاد والعلم والإخلاص والكرم وطيب الذكر والسعي في مصالح البلاد والقيام بنفع العباد.

وله - ولله الحمد - الآن ذرية طيبة صالحة، سالكة سبيله في الاستقامة والإخلاص لولي الأمر.

تغمده الله برحمته وأسكنه أعلى مقامات الفردوس بفضله وجوده وكرمه.

ومن علماء الصحراء

السيد محمد محمود بيد الله

ومن العلماء الذين تعتز الصحراء المغربية بسمعتهم، العالم الورع المتعفف السيد محمد محمود بيد الله الذي عرف باستقامته وعبادته وتقواه، فكان من العلماء المتثبتين الذين يخشون ربهم بصدق وإخلاص، صادق لله تبارك وتعالى، فأكسبه سلوكه واستقامته حبا واعتباراً عند الجميع، وقد بلغني أن العالم الولي الصالح الشيخ الوي بن شيخنا الشيخ ماء العينين قال في حقه: إنه من أصدق أهل عصره في الفتوى. ومن جالسه يعلم أن مثله قليل في حسن السلوك وضبط النفس والاستقامة المجبولة في شخصه الكريم، وجاهد بنفسه وقلمه العدو، وأخلص للبيعة وتمسك بالطريق السوي، ولم يحد عما يجب عليه قيد انملة من واجب الطاعة لولي الأمر أو الإخلاص للبيعة لملوكنا العلويين إلى أن لبى داعي ربه بصدق ووفاء. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته بفضله وجوده وكرمه إنه ولي التوفيق.

ـ البحث العاشر ـ

العالم العبقري الشيخ لعبادل بن شيخنا الشيخ محمد الأغظف

لقد كان هذا العالم الوطني النادر من نوعه في الوفاء والإخلاص والغيرة على الوطن، لقد كان رضي الله عنا وعنه من الأوائل الذين نهلوا من مدرسة الوطنية في صباهم، فبعد أن تلقى علومه الأولية في الكتاب والمدرسة التقليدية في تافدرت قرب مدينة العيون ثم في مدينة الصمارة العلمية المشهورة توجه لاستكمال دراسته بتطوان، والتحق بالمعهد الخليفي، وكان من شيوخه في هذا المعهد الأستاذ الجليل عبد الوهاب بن المنصور مؤرخ المملكة والشيخ المكي الناصري، والأستاذ معنينو.

فالتقا في إبان دراسته بقمم العلم والمعرفة، فنهل من فيض علومهم، وشحنوه بوافر وطنيتهم وغيرتهم على التعجيل باستقلال المغرب تحت القيادة الرشيدة للعرش العلوي المجيد.

فرجع إلى الصحراء المغربية يتفجر علمًا ووطنية وحيوية.

فكان رضي الله عنه من أخلص رجالات هذا العصر واللامعين للبيعة وأكثر الوطنيين دفاعاً عن الوحدة.

وله عدة محاضرات وندوات ومناظرات تبرز [illegible] لإخلاصه ووفائه للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه.

والشيخ لعباديل في إخلاصه للعرش ودوره الطلائعي في الدفاع عن الوحدة أبى إلا أن يكون في هذا المضمار نادرة زمنه ووحيد عصره. صلب الإرادة كريم النفس، وفياً للعرش العلوي المجيد، يوالي من يوالي العرش العلوي ويبغض من يجانبه لالتزامه بواجب الطاعة، ولتمسكه بالبيعة الشرعية.

فالله أرجو أن لا يغيب أجر ذلك عنه.

العالم السيد عبد السلام بن الشيخ مفتاح

ومن العلماء المرموقين والشعراء المجيدين والأتقياء الورعين والشرفاء المجاهدين صاحب الفضيلة العلامة السيد عبد السلام ابن الشيخ مفتاح، فكان هذا الأديب اللغوي الأريب العالم الخارق الذكاء تقيا نزيها جديا، يتسم بالصدق والصفاء والاستقامة والوفاء، كرس جهده من أجل الدفاع عن الحق قولا وفعلا لا تستهويه الأطماع ولا تؤثر فيه المغريات عن سلوك سبيل الإسلام ديناً ودنيا.

صمد في وجه العدو، وبقي في مواجهة الغزاة يكافح بفكره وقلمه حتى هزم المناهضين قصائده المحرقة وتردهم على أعقابهم مواقه النضالية المشرقة يحب لله ويبغض له، متفان في الإخلاص للعرش العلوي المجيد، خلد حبه وإخلاصه ووفاءه في دواوينه الشعرية الرائقة ومقالاته النثرية الفائقة، وكم نالت قصائده المديحية للعرش العلوي المجيد من جوائز، لجودة شعره ورفعة مستوى نثره.

وقد مد في عمره (ولله الحمد) حتى شارك في المسيرة وارتاح لوحدة وطنه، ونال عدة أوسمة ملكية، مكافأة له على إخلاصه وجهاده الصادق.

لقد تمسك العالم السيد عبد السلام بالبيعة الشرعية ودافع عن وطنه قياما بالواجب وإخلاصاً للمقدسات.

تغمده الله برحمته وأسكنه جنته، إنه قريب مجيب.

الشيخ سداتي بن الشيخ أحمد الهيب

له مشاركة مشرفة في العلم والأدب، خدم هذا الوطن وأوذي من أجل تحريره واستكمال وحدته.

فلقد كان رفيقي رضي الله عنه في السجن، حيث ألقي عليه القبض في مدينة طرفاية لمواقفه الوطنية المشرفة، وألقي علي أنا القبض وبمدينة العيون، ونفانا المستعمر الإسباني مسجونين لجزيرة الداخلة، ومنها لجزيرة كناريا، ومنها لجزيرة أفيرتا بنتورا في الجز الخالدات الإسبانية.

وشاهدت في هذا الرجل الغيور على وطنه المخلص لملكه من الشهامة والشجاعة وقوة الشخصية ما جعلني أعجب به وبإخلاصه وثباته على المبدأ.

وكان لاتفوته مناسبة إلا ويقف خطيباً إذا سنحت له ظروف السجن بذلك ليشجع زملاءه في المحنة.

ومن ذلك قوله:

صبرا صحابي فالنجاح لمن صبر
والحر يعرف في الشدائد والخطر
فمقامكم بالخالدات مخلد
مجدا لكم، والمجد أسمى مدخر

فكان من المشاركين في العلم والأدب، الغيورين على وطنهم، المخلصين للبيعة المطوقة لأعناقنا.

وإن قصائده الشعرية التي حبرها بمدح العرش العلوي المجيد خير شاهد له رضي الله عنه على مدى تشبثه المطلق بواجبات البيعة الشرعية. فالله يرحمه ويتجاوز عنا وعنه. إنه قريب مجيب لمن دعاه.

العلامة الجليل السيد محمد الكبير العلوي

إن العالم العامل والتصوف السني والمجاهد الوحدوي فضيلة الشيخ محمد الكبير العلوي ناضل بكل ما أوتي من وسائل، من أجل تحقيق وحدة شاملة كان ينشدها تحت ظل العرش العلوي المجيد لإخلاصه وثباته على المبدإ، واستمراره الذي لا يعرف الكلل ولا الملل في العمل النضالي الصادق لكشف الحق وفضح الباطل.

واستمر هذا المجاهد يكافح ويعمل جادا ليل نهار، لما له من غيرة على وحدة وطنه الكبير، ولعدم تلكؤه وبعد الشك منه، فهو

المكافح الوحدوي بقلبه وقالبه، سخر قلمه السيال وقصائده المرقصة للدفاع عن وحدة الوطن.

وقد أطلق عليه الزعيم العالم المجاهد علال الفاسي رضي الله عنه إسم شاعر الوحدة، لما لمسه فيه من غيرة صادقة على وحدة وطنه المغرب، ولوفائه الصرف للمقدسات الوطنية، وتحمسه الفطري لجمع شمل الشعب المغربي تحت القيادة الرشيدة للعرش العلوي المجيد.

وما زال هذا الشهم المناضل والعالم العامل والشاعر المجيد سائراً على الخط ملتزماً بمبدئه النبيل، إخلاصاً منه لله وللوطن وللملك.

وإن ما له من مقالات وبحوث ومحاضرات وكتابات رفيعة دفاعاً عن الوحدة وإخلاصاً للعرش تبرز لك ما لهذا العالم الغيور من عمل علمي وجهادي وحدوي بناء، شغل وقته الذهبي بالدفاع عن وحدة بلاده.

وإن دواوينه الشعرية شرفها بمدح آل البيت النبوي الشريف، وجل إنتاجه الرفيع في مدح العرش العلوي المجيد والجالس عليه أمير المومنين الحسن الثاني دام في حرز السبع المثاني.

فالشيخ محمد الكبير عالم وفي ملتزم وحودوي، يشده إيمانه الراسخ، وإسلامه الصادق، وورعه الفطري، وشهامته

العرقية، وحبه العرش العلوي بالتمسك بالبيعة والوقوف عند حدودها، طبقا لما يدعو له الكتاب وتأمر به السنة.

الدكتور حمداتي بن الشيخ
الفضيل بن الشيخ شبيهنا

من علماء الصحراء المغربية الذين شرفوا جهتها المغربية بعلمهم ونضالهم وتضحيتهم ووفائهم، العلامة الدكتور شبيهنا حمداتي ماء العينين. فلقد ترعرع هذا العالم في مدرسة العلم وبحبوحة الجهاد تافدارت المجاهدة الصامدة بأبنائها وذويها وتاريخها المبيض، المليء بالمواقف المشرفة قرب مدينة العيون ومدرسة الصمارة العلمية الوحدوية التي عم نور نضال أبنائها الأماجد كثيرا من أقطار العالم، فكانت هذه المدينة بعمل أبنائها الرائد القلعة الصامدة في وجه العدو، وبركانا محرقا يلتهم أطماع الغزاة الظالمين، وأهواء عداة المشروعية الانفصاليين.

تخرج الدكتور شبيهنا حمداتي من هاتين المدرستين المجاهدتين، فكان من أبناء الصحراء المغربية المتمسكين بما تركه الآباء والأجداد من الإخلاص للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه فجاهد بنفسه ضمن رجال المقاومة وجيش التحرير البواسل، وسخر قلمه السيال وفكره المتوقد ولسانه الذرب وعلمه الغزير

لقضية وطنه، فكان من ألمع علماء الصحراء المجاهدين الذين آمنوا بالوحدة وقدسوا شعارنا الوطني، وتفانوا في حب العرش العلوي المجيد والإخلاص له والتمسك بالبيعة والوقوف عند واجباتها.

ومن اطلع على ما له من إنتاج فكري في شتى مجالات حقول المعرفة يرى أنه خصص جل نشاطه الثقافي والعلمي لتحقيق وحدة وطننا من طنجة إلى لكويرة.

وكان له عمل جهادي جاد يتجلى في محاضراته القيمة وندواته المفيدة ومناظراته الرائعة وقصائده الشعرية الجيدة، سلط بهذا الزخم من تراكمات العطآت المفيدة الضوء على أباطيل أعداء وحدتنا.

فبعد ما ضحى بنفسه في صفوف جيش التحرير والمقاومة كما أشرت لذلك آنفا أعطى للقلم حظه من مضمار الدفاع عن الوحدة الوطنية.

وإخلاصه للعرش العلوي المجيد، ودفاعه عن التمسك بواجب البيعة خلده في شعره الرفيع ومقالاته القيمة ونشاطه الفكري الذي يتفجر حيوية ويفيض عطاء.

وعلى من يريد أن يستفيد مما أشرت إليه بكل اختصار أن يطالع محاضراته وتآليفه ومقالاته ودواوينه الشعرية ليعلم علم اليقين أني لم آت إلا بتصوير النزر القليل من جهاده من أجل

الوحدة ووفائه للبيعة الذي ورث ذلك الوفاء والإخلاص من آبائه للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه. حفظه الله وزاده توفيقا.

الحاج يحجب بن خطر ماء العينين

ومن العلماء العاملين والشعراء المكثرين والشخصيات البارزين والأوفياء المجاهدين ذو الدواوين الشعرية الكثيرة والدراسات النثرية الشهيرة، العلامة الحاج يحجب بن خطر ماء العينين.

لقد ترعرع هذا العالم المقاوم في مدرسة العلم والجهاد: مدرسة السمارة، فنهل وعل من علومها الجهادية، وتربى تربية إسلامية تهذب الأخلاق وتقوي الشخصية وتغرس الإباء وتنقي السلوك، فكان حسن الخلق، قوي الشخصية، صلب الإرادة، حلو الفكاهة، ماضي العزم، قوي الحزم، ذا غيرة وطنية على بلده لا يقبل لأمته أن تعيش في ذل واضطهاد، وعلمته مسيرته النضالية الطويلة المشوار الصبر على الشدائد والمضي في سبيل التضحية والجهاد بكل إباء وشمم.

فسخر قلمه السيال للذب عن وحدة وطنه ونشر فضائل العرش العلوي المجيد.

ومن قرأ مقالاته في الصحف الوطنية وغيرها وكذلك قصائده الشعرية يدرك مدى إسهامات هذا العالم الشاعر في الجهاد وما

واجه به أعداء الوحدة، ومدد الله في عمره المليء بالتضحية والجهاد حتى شارك في مسيرة فتح الخضراء التي حررت الصحراء.

فحقق الله بذلك هدفه النبيل ولقي الله مسرورا بما كان يأمل تحقيقه، وهو وحدة هذا الوطن العزيز، بقيادة العرش العلوي المجيد، لما للسيد الحاج يحجب رضي الله عنه من وفاء للبيعة الشرعية والمتشبث بها الوفي لبنودها الشرعية لتمسكه بما يدعو الله له ورسوله. تغمده الله برحمته إنه على ما يشاء قدير.

العالم السيد سيد محمد بن سيد إبراهيم

إن العالم الفاضل السيد سيد محمد بن سيد إبراهيم من العلماء المستقيمين والحفاظ لكتاب الله الماهرين، والمقاومين المجاهدين، أوذي في سبيل الله والدفاع عن هذا الوطن، فألقي عليه القبض بمدينة العيون لمواقفه الوطنية وتضحياته القولية والعملية.

وسخر قلمه جهادا ودفاعا عن بلده الأمين بنثره الموضوعي وقصائده الشعرية الرائعة، وفاء للبيعة، وامتثالا لما يدعو له الله ورسوله من واجب الطاعة لولي الأمر التي أخلص لها السيد الداه سيد محمد بن سيد إبراهيم قولا وفعلا.

زاده الله توفيقا، وحفظه وزكى في عمره. إنه ولي التوفيق.

العلامة الجليل الشيخ الحضرامي ابن الشيخ أحمد

كان العالم العامل، والتقي الكامل، والشيخ المحبوب، والفذ الموهوب الفقيه الكبير، الشيخ الحضرامي ابن الشيخ أحمد، من ألمع علماء دهره وأجل فقهاء عصره، وألمع مشايخ مدرسة الصمارة المجاهدة، فكم تخرج على يديه الكريمتين من عالم عامل، وحافظ ماهر ومحدث ثبت، فانتفع به وعلى يديه من علمه الغزير، الكثير من طلاب العلم ورواد المعرفة، فنهل وعل من ينبوع علمه الفياض أجيال انتشر علمها في كثير من الآفاق، فنفعت به وانتفعت بما خلدت من أثر معرفي، كان فقيهنا المتحدث عنه الشيخ الحضرامي ابن الشيخ أحمد سببه.

ولقد اشتهر رضي الله عنه بالخبرة التامة، والمهارة الفائقة، في علوم القرآن وقراءاته، فأعطى جل وقته الملبى بالأعمال النافعة لدراسة القرآن والتدبر في معانيه، والانهماك في علومه الجمة، فكان الشيخ الحضرامي من أكبر المتخصصين في هذا الفن، ويعتمد عليه فيه وفي غيره من العلوم الإسلامية.

اشتهر بالاستقامة والورع والتقوى، لا غيب الله عنه أجر ما قام به من عمل صالح في تلقين العلوم الإسلامية وبثها في صدور الطلاب.

وعرف الشيخ الحضرامي بإخلاصه للعرش العلوي المجيد ووفائه للبيعة للجالس على العرش، فسخر قلمه وكرس جهده لخدمة المقدسات الوطنية تغمده الله برحمته، ورزقه النظر في وجهه الكريم، مع الذين أنعم عليهم بفضله وجوده وكرمه. إنه سميع مجيب.

العلامة الكبير الشيخ
اشبيه أن بن شيخنا الشيخ ماء العينين

لقد ازدان جيد الصحراء وتاريخ علمائها بواسطة عقد جوهر علمائها النفيس بالعالم العامل، والولي الكامل صاحب الفتاوى العديدة، والتآليف المفيدة، مالكي دهره، وحنيفي عصره، ونافع مصره وحنبلي قطره، المجاهد الشهير والعبقري النحرير، والشاعر المجيد، والناثر الوحيد، فخر الأولائل والأواخر، بحر المعارف الزاخر، شيخنا الشيخ اشبيه أن بن شيخنا الشيخ ماء العينين.

لقد كان هذا العلم النير كعبة الزوار للعفاة من جميع الأقطار، فشرب من معين علمه الفياض خلق كثير، وتساوى عنده في نفع الكل الكبير والصغير، وكرس الجهد للذب عن هذا البلد العزيز بسيفه وقلمه، فدافع عن وحدة بلاده المغرب، إخلاصاً منه للبيعة الشرعية التي خدمها الشيخ اشبيه أن بن الشيخ ماء العينين، بكل ما أوتي من علم غزير، وإرادة هندوانية لا تقهر، ووفاء للعرش

العلوي المجيد والجالس عليه، فكان من السباقين للقيام بالواجب نحو ملكه ووطنه ودينه، فقصائده المرقصة، ومقالاته الشيقة ومعاركه الجهادية، كل هذا وظفه الشيخ اشبيه أن للدفاع عن مقدساته الوطنية، فكان مثالاً يحتذى به في التضحية والجهاد وتسخير القلم نظماً ونثراً لأمته وملكه ووطنه، فبسلوكه يقتدى، وبعلمه الرائد يهتدى، فالله نرجو أن ينزله أعلى عليين إذ بإنتاجه نظماً ونثراً تفتخر أجيالنا، وبمواقفه الجهادية الخالدة نتحدى الطغاة المردة.

رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

العلامة الجليل الشيخ حسن ابن شيخنا الشيخ ماء العينين

ومن علماء الصحراء المغربية، عالم عصره وفريد دهره، التقي الورع، الزاهد الناسك، العابد المجاهد الصامد، العلامة الشيخ حسن بن شيخنا الشيخ ماء العينين. فلقد اشتهر هذا السني بحفظ القرآن والمهارة في قراءته والخبرة في تفسيره آثاراً ورأياً، وكان يرجع في أعماله اليومية للكتاب والسنة، لا يرى بالأصلين بديلاً. وقد انثالت إليه قلوب الناس، وانتفع به الكثير من الخلق ديناً ودنيا، ودافع عن وطنه بنفسه، فقاد معارك الجهاد، وحارب المد الاستعماري وفاء منه، تغمده الله برحمته للمقدسات الوطنية وإخلاصاً من شخصه الفذ للعرش العلوي المجيد.

ولقد كتب عن جهاده وعلمه وانتفاع البشرية كثير من أرباب الفكر والقلم، إعجاباً بمواقفه الوطنية، وأخلاقه المحمدية، وتخليداً لما اتسم به من وفاء للبيعة الشرعية، التي طوق الله بها عنقه، فلم تأخذه لومة لائم في المضي مع سبل الأوفياء المخلصين، لهذا العرش العلوي المجيد الذي تفانى شيخنا الشيخ حسن في حبه وخدمته، بكل غال ونفيس، فرضي الله عن هذا العالم العامل والمجاهد الكامل، والصالح المصلح، وأسكنه خالقه أعلى عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

العالم الولي الصالح الشيخ الولي بن شيخنا الشيخ ماء العينين

من المعلوم عندنا نحن أبناء الصحراء المغربية المطلعين أن العدد الوافر من علماء الصحراء الذين تركوا بصماتهم الجهادية، وخلدوا إنتاجهم العلمي، وبرهنوا عن دفاعهم عن وحدة الوطن المغربي إخلاصاً لله ولرسوله ولمن أوجب الله عليهم طاعته، لا يمكن أن يحصر في كتابة مختصرة كهذه العجالة لوفرة عددهم، ولكن كما يقال ما لا يمكن كله، لا يترك جله، وإن الحديث المختصر عن شخصيات لهم مكانتهم العلمية والجهادية والاجتماعية كشيخنا الشيخ الولي لا يعطي للقارئ الصورة

الحقيقية عن المكانة العلمية والجهادية التي أحرز عليها هذا المجاهد الكبير، والعالم النحرير. فلقد عرف العلامة الشيخ الولي بشجاعته وتصديه للغازي هو بنفسه. كما شاهد فيه الجميع ما يحير الألباب من عدم اكتراثه بالمستعمر، وانتشار ظلمه في البلاد. ولقد تحدث من حضر معه من غير واحد عن مدى قوة شخصيته الفذة، وإرادته الهندوانية عندما ألقي عليه الفرنسيون القبض غدراً وظلماً. فلقد واجه المعتدي بشهامة الواثق من نفسه، المومن بوطنه المعتز بشرف بلده المغرب المتشبث بإخلاصه للعرش العلوي المجيد الوفي لبيعته لهذه الدوحة النبوية الشريفة.

فكان العالم العامل الشيخ الولي من أولئك المجاهدين القلائل الذين برهنوا عن قوة احتمالهم، وصلابة عزمهم، ومحافظتهم على شرف أمتهم بكل عزم لا يقهر، وإيمان لا يتزعزع.

كان هذا العالم الملتزم من أمهر علماء الصحراء بعلوم القرآن، وحفظه وعلم قراءاته، زيادة على ما خصه الله به من نفع العباد، والسهر الدءوب على المصلحة العامة التي تربى في مدرسة تلقينها، مدرسة العلم والجهاد، ونكران الذات والإخلاص للمقدسات الوطنية مدرسة الصمارة اللامعة، بما حقق أبناؤها بعلمهم وعملهم وإخلاصهم لمقدسات وطننا العزيز المملكة المغربية.

فالله نرجو أن يتغمد برحمته هذا الشيخ الشهير، والمجاهد الكبير والعالم العامل والولي الكامل، شيخنا الشيخ ماء العينين الذي ترك ذكراً، يشرف الوطن ويفخر به أجيالنا الصاعدة،

ويقتدي بـه المواطن الصالح المتشبث بـدينه، المحـافظ على شرفه، والملتزم بكتاب الله وسنة رسوله على الوجه الصحيح.

رضي الله عن هذا الشيخ وأرضـاه وجعل الجنة مثواه، ورزقه النظر في وجهه الكريم في دار النعيم. إنه سميع مجيب.

العالم المتمكن الشيخ محمد تقي الله بن شيخنا الشيخ ماء العينين

لقد يـزهو الفكر ويتحرك القلم تلقـائياً عندما يتشرف بكتـابة حياة علم فذ، مقتدر نادر، ترك إنتاجاً تفخر به الأجيال، وتستفيد منه العلماء، وتزداد رغبة في مطالعته المثقفون.

ولا شك أن من أبرز هؤلاء العلماء الذين تـركوا لنا ما نستفيد منـه ويفخـر به وطننـا، هـو العـالم العامـل والمجاهـد الـواصل والعبقري النـادر، المتمكن من شوارد العلم بمقـدرة فائقـة، الماهر الألمعي النحـرير، والمؤلف الكبير صاحـب التصانيف العـديدة، في شتى أنواع العلوم الفريدة، الشيخ محمـد تقي الله، الذي شـهد له كل من رآه أو قرأ إنتـاجه الرفيع على أنه من أبـرز الأعلام الذين تعتز بهم أمتنا المغربية.

ولا غرابـة في ذلك، فهو نتاج مـدرسة الصمارة مـدرسة العلم والجهاد والوفاء، والمحافظـة على القيم الإسلامية، والتفاني للبيعة للعـرش العلوي المجيـد الـذي أخلص له العـلامـة الجليل الشيخ

محمد تقي الله، الملقب بالشيخ محمد بوي، فكان من أولئك الأعلام القلائل الذين ثبتوا على الخط المستقيم، قولاً وعملاً ووفاء للمقدسات الوطنية.

فالشيخ محمد تقي الله قل نظيره في العلم والاستقامة وصلابة العود، والذب عن ما يدعو له الكتاب والسنة. فهو رضي الله عنه الصالح في عمله والمصلح بسلوكه واستقامته.

ولنا شاهد لا يقبل الطعن فيما ترك من إنتاج ممتاز في شتى ميادين العلوم الإسلامية.

تغمده الله برحمته، وأنزله أعلى عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

العالم الفذ الشيخ الطالب اخيار

إن الحديث عن المجاهدين العالمين العاملين يحلو لمن يقدرهم حق قدرهم.

فما عبر الإنسان عن فضل نفسه
كمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

فتخليد ذكرى العلماء المجاهدين يخدم الأمة، وينير الطريق للمجتمعات الباحثة عن نفسها، كي تصل إلى مدارج الرقي ومقامات الكمال بالاقتداء بهؤلاء الرموز.

ومن أبرز المقاومين وأقوى الصامدين وأسمى المجاهدين الظافرين العلامة العامل، والدراكة الكامل من اشتهر بالجهاد والعلم وحب الرسول ﷺ خاتم دهره، وفريد عصره، العلامة الجليل شيخنا الشيخ الطالب اخيار بن شيخنا الشيخ ماء العينين، من سخر شعره الرفيع ونثره الممتاز لإبراز شمائل الرسول ﷺ وحث الأمة المغربية على الدفاع عن هذا الوطن العزيز، والتشبث بأهداب العرش العلوي المجيد، والإخلاص للبيعة الشرعية التي طوقنا الله بها للجالس على العرش العلوي، دام عزه وعلاه، فكان هذا العالم المجاهد من الذين تحدوا المستعمر، وخاضوا معه معارك جهادية يعلمها الخاص والعام، وفاء للمقدسات الوطنية.

ومن طالع دواوينه الشعرية وتآليفه النثرية التي تناول فيها موضوعات شتى يدرك ما لهذا العبقري الفذ من علم وغيرة على دينه ووطنه، وإخلاص لملوكنا العلويين الأماجد.

فالشيخ الطالب اخيار نادرة زمنه، فمن قرأ ما كتب عنه يتصور ما لهذه الشخصية الفذة من أعمال نبيلة، تفخر بها أجيالنا الصاعدة ابن شيخنا الشيخ ماء العينين، فكان هذا المثقف الكبير والكاتب الشهير من أكثر خريجي مدرسة الصمارة اقتداراً، ومن أسرع الأعلام للحق انتصاراً.

وكان من أكبر المدافعين عن وحدة الوطن المغربي بنفسه وبقلمه السيال شعراً ونثراً، فأخلص للبيعة الشرعية لملوكنا العلويين الأماجد، وسخر قلمه وكرس جهده للدفاع عن مقدسات

بلده المغرب العزيز، وكان لما كتب وقع في النفوس لمقدرته وكفاءته وروعة إنتاجه وصدقه وعدالته ووضوح مواقفه لشهامته وغيرته على الحق.

ولقد سمعت ممن أثق به من أهل العلم والورع والتشبث فيما يقول يثنى على شيخنا الشيخ محمد تقي الله الثناء العطر، وإن مع تتبع كتبه وكتاباته الشيقة، يتيقن أن مثله قليل في زارة العلم.

فهو نادرة زمنه، ومفخرة أقرانه، أخلص لله وللملك وللوطن إخلاص العالم العامل الواثق من نفسه، والمتوجه لربه بصدق وأمانة، لم تأخذه لومة لائم في الدفاع عن القيم الإسلامية الحقة، تمشياً مع الكتاب والسنة، فكان من علماء الصحراء المغربية الأفذاذ، الذين أخلصوا للبيعة الشرعية لملوكنا العلويين الأماجد، وتفانوا في خدمة الواجب عليهم، جاهد بنفسه وقلمه، كما أشرنا لذلك قياماً بالواجب والتزاماً بما يفرضه الواجب الوطني، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل البركة في ذريته وذويه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، ورزقه النظر في وجهه الكريم في دار النعيم.

العلامة الجليل الشيخ الفضيل
ابن الشيخ اشبيه أن

لقد حبى الله هذا البلد الأمين بنوادر شرفوه علماً واستقامة وإنتاجاً رفيعاً، ومن أولئك الأعلام الذين تعتز بهم صحراؤنا المغربية العالم العامل والولي الكامل، والناظم الناثر الذي ترك

إنتاجاً رفيعاً في شتى ميادين المعرفة، ألا وهو علامة عصره، مفخرة دهره فضيلة الشيخ الفضيل بن الشيخ اشبيه أن، خريج مدرسة العلم والجهاد مدرسة الصمارة. فلقد انتزع هذا العالم إعجاب الجميع بما خلد من علم، وما ترك من سمعة طيبة وأثر حميد.

فبعد أن تضلع من علوم الشرع، وظهر في شخصه الكريم من التفوق المشرف على كثير من علماء وقته لغزارة مادته، وحسن إنتاجه، ورفعة مستواه واجه المد الاستعماري، وجاهد بنفسه وقلمه إخلاصاً منه رضي الله عنه للمقدسات الوطنية، وتفانياً من سماحته للبيعة للعرش العلوي المجيد والجالس عليه جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

وبعد أن أسدلت الحماية رداءها على صحرائنا المغربية، عينه سمو الأمير مولاي الحسن بن المهدي قاضياً على مدينة طنطان المجاهدة بظهير خليفي، فكان محل تقدير واحترام من الجميع لعلمه وورعه واستقامته ويقظته، وشدة حزمه ونسكه وترفعه، فلخلاله الحميدة، وأعماله السديدة انثالت إليه القلوب، ومن اطلع على فتاويه الممتازة، وأحكامه الرفيعة وكتاباته الشيقة، وإنتاجه المتميز نظماً ونثراً، يعلم علم اليقين أن مثله في العلم وحسن الإنتاج قليل، ومن كتب عليه الله الاطلاع على ما خلف من كتابات في مواضيع شتى تفيد القارئ والسامع، يلمس ما أشرنا إليه وواقع العلامة الشيخ الفضيل أنه عالم ومجاهد، وفي ووطني تقي لم يترك وقته يضيع، بل صرفه لنفع وطنه ومواطنيه إخلاصاً

منه رضي الله عنـه للمقدسات الوطنية ووفاء منـه للبيعة للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه تغمده الله برحمته، ورزقه النظر في وجهه الكريم، مع الـذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

العالم النبيه محمد تقي الله ابن أحمد زايد

العبقري الفقيه والألمعي النبيه والشاعـر الناثر والحافظ لكتاب الله، الماهر والعالم العامل السيـد محمد تقي الله الملقب محمد بن أحمد زايـد، فلقد كـان هذا الفقيـه ملتـزماً بما يـدعو لـه الشرع، وأظهر إبان تعيينـه في منصب القضاء بمدينة العيـون من خليفة السلطان بتطوان مولاي الحسن بـن المهدي رحمه الله، ما يتحلى بـه من استقـامـة وعلم كـاملين، فترك الـذكـر الجميل في جميع الأوسـاط لورعـه وجديتـه ومقـدرته، وتمكنـه من مادة العلـوم الإسلامية، وإخلاصه للعرش العلوي المجيد والجالس عليه، وفاء للبيعة الشرعيـة التي طوق الله بها أعنـاقنا لهذه الدوحة النبـوية الشريفة، فكان السيد محمد تقي اللـه الملقب محمد قاضي العيون سابقـاً وفياً مخلصـاً مستقيمـاً جديـاً ورعاً، تغمـده الله بـوافر رحمته إنه قريب مجيب.

العلامة ماء العينين بن الحضرامي

العلامة ماء العينين بن الحضرامي الجهبذ الفذ، والطود الراسخ في العلم، العلامة ماء العينين بن الحضرامي، خريج مدرسة السمارة، ذو القلم السيال الخطيب المقوال، الكاتب الناثر والحافظ لكتاب الله، الماهر من أفنى وقته فيما يعنيه ولا له شيء عن اقتناء العلم وتلقينه يصيبه، فكم انتفع على يديه من طلاب العلم والمهتمين به عينه مولاي الحسن بن المهدي قاضياً على مدينة عيون الساقية الحمراء، إبان تأسيس مدينة العيون وظهورها إلى الوجود، شريحي زمنه في الاستقامة والورع والتحري والتثبت، وكانت أحكامه العادلة مرجعاً يستفيد منه الفقهاء لما له من علم غزير، ولمعت أطلاعه وخبرته وتفوقه في علوم الشرع، ونال عند جميع الناس محبة وتقديراً كاملين لحسن سلوكه وورعه واستقامته، والتزامه بجادة الشرع الإسلامي، وكم صدر على يديه من طلاب العلم ورواد المعرفة، فأعطى نفسه رضي الله عنه للعلم وخدمته والنفع به.

ولقد لاحظت فيه إبان دراستي عليه من الاهتمام والعناية الكاملين بطلابه ما يحير الألباب، إذ يحسبنا نحن طلاب العلم من أحب أبنائه عليه، فيظهر العطف والحنو الكاملين للطالب، ويراقب المتعلم بلطف ويقظة لكي يصرف اهتمامه لدروسه، فانتفع منه العدد العديد.

وكان من الحفاظ المهرة لكتاب الله، له معرفة كاملة بعلوم القرآن وقراءاته.

وهو من بيت علم واستقامة له فتاوى وكتابات مفيدة، أخلص للبيعة الشرعية للعرش العلوي المجيد، وللجالس عليه جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، رضي الله عنه وأسكنه فسيح جنته.

العالم السيد محمد الأمين بن خطار

الوفي التقي والألمعي الأريحي، والشاعر الناثر والحافظ الماهر الفقيه السيد محمد الأمين خطار، فكان هذا العالم من المخلصين الذين سخروا قلمهم لنشر محاسن العرش العلوي المجيد، ومن اطلع على ديوانه الشعري، وما ضمنه من قصائد مديحية للعرش العلوي المجيد، وللجالس عليه يدرك ما لهذا العالم الشاعر الناثر من مقدرة وعلم فائقين، وما يتحلى به من إخلاص للعرش العلوي المجيد والجالس على العرش،وما يفخر به من وفاء للبيعة التي أخلص لها العالم الشاعر محمد الأمين بن خطار، فكان من العلماء الذين شرفوا وطنهم والتزموا بواجبهم، وصانوا عهدهم تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بفضله إنه سميع مجيب.

ـ البحث العاشر ـ

العالم الفقيه السيد أحمد فال ابن محمد الأمين

كـان هذا العـالم النادر من نـوعـه في الذكـاء وقوة الابتكـار، وصفاء القـريحة وسرعة البديهة والاستحضار، السيـد أحمد فال ابن محمد الأمين من العلماء العاملين، والشعراء المجيدين والأوفياء المخلصين. فلقد نثـر درر علومـه الالية في مـدح العرش العلـوي المجيد والجالس عليه.

تخلى عن منصب القضاء الذي كان يشغله بالعيون عندما نفى المغفـور له محمـد الخامس احتجاجـاً على ما قـام به المستعمـر الفرنسي من عمل شنيع أثار غضب الشعب المغربي من طنجة إلى الكويرة ومن وجدة إلى أقوينيت. وكـان القاضي العلامة أحمد فال من أولئك المخلصين الـذين دافعـوا بقلمهم وأنفسهم عن الـوطن وفـاء من هـذا العالم الشـاعـر النـاثـر للعرش العلـوي المجيـد، وللجالس عليـه إخلاصاً منـه للبيعة التي التزم السيـد أحمد فال بواجبهـا، وتفاني في حـب من تجب طاعتـه، فكان القـاضي الوفي، وسخـر قلمه شعـراً ونثراً للـدفـاع عن مقدسـات وطنه الغـالي المغرب.

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته.

العالم التقي الشيخ محمد إبراهيم

الشيخ محمد إبراهيم بن الشيخ ماء العينين عرف بتقواه واستقامته وعلمه وورعه، حج لبيت الله الحرام في الثلاثينيات، وهو أول حاج من إخوته للديار المقدسة، وزار خليفة السلطان بتطوان مولاي الحسن بن المهدي، وقدم البيعة من خلاله لجلالة المغفور له محمد الخامس، فكان من المخلصين للعرش العلوي المجيد، والملتزمين بالقيام بالواجب على الوجه المطلوب.

تقي ورع يقرن علمه بعمله، دقيق الملاحظة، ويعلم ذلك من تصفح رحلته التي كتبها عن سفره للديار المقدسة، إذ من خلالها يدرك مطالعها سلاسة عبارته وذكاء إشارته. فكان رضي الله عنه مستهاماً بوطنه، غيوراً على مصلحة بلاده، مات ولم تأخذه في الإخلاص لمقدسات وطنه لومة لائم.

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته. إنه قريب مجيب.

العالم الندب الشيخ بشراي

التقي النزيه والألمعي الفقيه والعالم النحرير واللوذعي الشهير، الشيخ بشراي بن الشيخ ماء العينين. كان هذا العالم من المجاهدين والمحافظين على القيم، والأوفياء المخلصين للعرش

العلوي المجيد، والجالس عليه جلالة المغفور به محمد الخامس طيب الله ثراه، فاحتفظ بما كان عليه والده الشيخ ماء العينين من الإخلاص والالتزام وقوة الإيمان، فلم يمل عن سبيل الحق قيد أنملة، والتزم رضي الله عنه بواجب الطاعة لولي الأمر بالرغم مما لاقاه من الشدائد، وما واجهه في سبيل التمسك بالحق والمضي في الطريق المستقيم، فكان الوطني الغيور الصلب الإرادة الثابت على الشرعية والمتشبث بالمشروعية.

والعالم العامل الذي لا يحيد عن ما يمليه عليه الكتاب والسنة، تغمده الله برحمته بفضله وجوده وكرمه.

العلامة الدراكة الشيخ
محمد الغيث النعم

إذا حاولت أن أضع القارئ في صورة هذا العالم العامل والقدوة الكامل، والتقي الزاهد والولي المجاهد، والمنفق الناسك الذي لزمام المعارف ماسك، أكبر المؤلفين ونبراس العارفين، علامة دهره وشمس عصره الشيخ النعم محمد الغيث.

أجد العبارة لا تفي بالمقصود ولا تعطي للقارئ حقيقة المكتوب عنه إذ الشيخ محمد الغيث النعم نادرة زمنه في العلم والتقى والزهد والجهاد والإنفاق على العباد، والتمسك بجادة الشرع على الحقيقة على مقتضى الشريعة. ومن كتب الله عليه أن طالع

تآليفه المفيدة وكتاباته في شتى أنواع المعارف العديدة، يعلم علم اليقين أن هذا العالم الموهوب قليل مثله، فبذكره الجميل تحدث القاصي والداني.

فكان رضي الله عنه مفخرة دهره ونادرة مصره، ولا أجد وهذا واقعي شخصياً أسلوباً من القول الشيق والعبارات السامية تعطيك أيها القارئ المحترم صورة حية تجعلك تعيش ما لهذه الشخصية النادرة المثالية من نعوت المجد وسمو الكمال.

فقد خص الله الشيخ النعم محمد الغيث بما عجز عنه الكثير من العلم والتقى ونفع العباد وإحياء البلاد.

فكان العلامة الدراكة المخلص لله ولملكه، ولا تأخذه في الوفاء للعرش العلوي المجيد لومة لائم، جزاه الله عن هذا الوطن بأحسن ما جوزي به عالم عامل، ومجاهد كامل وولي صالح ومقاوم للعدو منافح، فزيادة على ما أحيا من دروس العلم وصدر من طلابه. فلقد أقض مضجع المستعمر وأذنابه، فكان القدوة في المقاومة والجهاد والإخلاص لظل الله في الأرض العرش العلوي المجيد والجالس عليه، فلقد كان وفياً للبيعة الشرعية لما يعلم رضي الله عنه من حكمها والتزامه بما يدعو له الكتاب، وتنص عليه السنة وهو من ألمع خريجي مدرسة الصمارة، مدرسة العلم والجهاد، والوفاء والتمسك بالجادة الشرعية.

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، إنه سميع مجيب، ورزقه النظر في وجهه الكريم.

العالم الشيخ أحمد الهيب

من العلماء الـذين تـركـوا بصماتهم في شتى ميـادين العلـوم تآليفـاً وفتوى ومنـاظرة، العلامـة الشيخ أحمد الهيب ابن الشيخ ماء العينين. فلقد بايع مولاي الحسن الأول ومولاي عبد العزيز، وكـان شاعـراً مجيـداً ونـاثراً فـريـداً من خـريجي مدرسـة السمارة الوحدويـة، ومن قرأ كتاباته العلميـة يعلم مـدى غـزارة علمه وحـدة فهمـه، له ديـوان شعر كبـير، وكتـب عن حياتـه كثيـر من الكتـاب المهتمـين والعلماء الدارسيـن والباحثيـن النابهيـن.

ولمن أراد المزيد من الاطلاع على شخصية الشيخ أحمد الهيب، فليرجع إلى ما كتب عنه وهو كثير.

تغمده الله برحمته إنه مجيب الدعاء.

العالم الشيخ أحمد بن الشمس

العلامـة الناسك الـزاهد الفقيـه الكبير والمؤلف الشـهير الشيخ أحمد بن الشمس، كـان هذا الصالح المصلـح، والمتصوف السـني رحمة للعباد، وملجـأ للرواد، ونادرة زمنـه في العلم والاستقـامة والإنفاق على عباد الله التي تأتيه من جميع الآفاق، فكم صدر من

مريد علم، وساعد من ضعيف وانتفع به الكثير، وجاهد في الله حق جهاده، ونال بسلوكه القويم واستقامته المثالية إعجاب الكل، وانثالت إليه القلوب، وترك من الصيت الجميل والذكر الحسن ما عطر الآفاق، وجعل لرؤيته تشتاق الآماق، وكم خلفه شيخنا الشيخ ماء العينين لينوب عنه في المهام الجسام لما لمس في شخصيته الفذة من المقدرة والكفاءة والاستقامة والقيام بالواجب على الوجه المطلوب، ونال حظوة كبيرة عند السلطان مولاي أحفيظ في الفترة الذي تركه شيخنا الشيخ ماء العينين ينوب عنه في زاويته العلمية بفاس، فقام بما كلف به على أحسن وجه وأتمه، من بث العلم والقيام بالدروس العلمية في الوقت الذي كان يتعود فيه شيخنا الشيخ ماء العينين تلقين العلوم لطلابه بمؤازرة ثلة من أعلام عصره.

فكان الشيخ أحمد بن الشمس محل تقدير واحترام عند الجميع. ولقد أخلص للبيعة للملوك العلويين حتى لقي الله، ولا يمكن لهذه السطور أن تفي بمناقبه الجميلة، ولا تتحدث عن تآليفه الكثيرة والمفيدة ولا تصور أخلاقه الرحمانية المحمدية، تغمده الله برحمته بمنه وكرمه للزخم الهائل الذي ترك من العلم والسمعة الطيبة والتأثير على قلوب الجميع، أسكنه الله فسيح جنته بفضله وكرمه.

العالم المجاهد الشيخ محمد المأمون
ابن الشيخ محمد فاضل بن محمد

العلامة الدراكة والمجاهد الكبير، والعالم الشهير والشاعر الناثر، من وظف سيفه وقلمه للجهاد، وناهض المستعمر في شمال المغرب وجنوبه على مرأى ومسمع من العباد، العالم الشيخ محمد المأمون بن شيخنا الشيخ محمد فاضل بن محمد، فكان هذا المجاهد صلب العود، قوي الإرادة، كرس جهده للدفاع عن وطنه بكل ما أوتي من إرادة لا تقهر، وإيمان صلب لا يتقهقر، وأمد الله في عمره حتى متعه بأن عاش استقلال بلده، نتيجة ثورة الملك والشعب، فكان الشيخ محمد المأمور من العلماء الملتزمين، والمجاهدين الأوفياء المخلصين، والأتقياء العالمين العاملين أخلص للبيعة للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، ولم يتراجع عن مبدئه في الإخلاص لمقدسات وطنه، حتى لقي الله تغمده الله بوافر رحمته وأسكنه فسيح جنته، إنه ولي التوفيق.

العالم الجليل الشيخ سيد محمد
ابن عبد العزيز

عندما أخذت القلم لأكتب عن علم من أعلام الصحراء المغربية ألا وهو الشيخ سيد محمد بن عبد العزيز ازدحم على فكري كثير من أوصافه الحميدة، وخلاله المفيدة، يلح على كل نعت من نعوت

كماله أن أكتب عنه بالدرجة الأولى، وإذا بي أمام علم عالم عامل مجاهد عبقري شاعر مبدع، وناثر ذي قلم سيال تفجرت ينابيع معارفه الفياضة، فانتفع منها كثير من البشرية، وترك من الإنتاج ما يعطيك الدليل القاطع على غزارة علمه وحيطة اطلاعه، فكان القاضي المبرز في مدينة الصمارة المجاهدة التي تستفيد من أحكامه الفقهاء، وتستأنس بآرائه القضاة وتسلم العلماء لفتاويه الرائدة وابتكاراته الاجتهادية الصائبة.

ومن اطلع على فتاويه من أهل الاختصاص يدرك أن هذا العالم النادر من نوعه قل نظيره في العلم والاستحضار، والتزم الحق فيما يكتب ويقول.

شاعر ناثر مؤلف، وكاتب تخرج على يديه الكثير، لقي ربه وهو ملتزم بخدمة العلم، وفي للبيعة للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه جلالة المغفور له محمد الخامس رضي الله عن الجميع وأرضاه.

فكان الشيخ سيد محمد بن عبد العزيز من علماء الصحراء المغربية، الذين يعتز بهم ويفتخر بما خلدوا من إنتاج علمي، وسمعة طيبة، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته.

ـ البحث العاشر ـ

العلامة المحدث الكبير الشيخ محمد حبيب الله بن مايابي وإخوته

كان هذا العالم التقي الورع الأصولي المحدث الكبير بخاري زمنه، ومالكي مذهبه وعلمه وورعه وسلوكه، وحنبلي همته في جمع الحديث، والاهتمام به، والتحري فيما يروي ويكتب شيخ الجماعة الشيخ محمد حبيب الله بن مايابي من ألمع علماء الصحراء المغربية. فلقد جاهد بنفسه وقلمه دفاعاً عن الحق ووفاء للقيم وذبا عن الشرع، فنافح عن ملة الهادي بإيمان العالم العامل الواثق من نفسه، فضرب في مشارق الأرض ومغاربها هو وإخوته الأماجد، شموس عصرهم، وأنوار دهرهم، إخوته في النسب والعلم والجهاد والتقوى والورع، وهم الشيخ محمد العاقب، والشيخ محمد الخضر أبناء مايابى. فلقد خلد كل واحد من هؤلاء الأعلام من العلم في مواضيع شتى ما يشهد له بالتفوق على من سواه. فكل واحد منهم مفخرة دهره وزينة عصره.

ولقد لهجت الألسن بالثناء عليهم لما قام به كل واحد منهم من خدمة للعلم ودفاع عن الحق، وتصد لكل من سولت له نفسه أن يمس من قيمة الإسلام وشرفه ودينه.

وتاريخ هؤلاء الأعلام تفخر به الأمة المغربية، بل والإسلامية بصفة عامة. ولئن كتبت كل عبارة دالة على المدح والثناء لا تفي بحق هؤلاء العلماء المحدثين الأصوليين المالكين المجتهدين، وكتبت

مـا كتبت عن إطلاع واقتنـاع، وتتبع لإنتـاج كل واحد من هـؤلاء خيرة أهل زمـانهم ومفخـرة عصرهم. ولقـد بـرهنـوا أيـامهم في وطنهم المملكة المغـربية عن وفائهـم للبيعة لملوكنـا العلويين تلك التي يعلم الشيخ محمد العاقب والشيخ محمد حبيب الله والشيخ محمد الخضر حكمها، ويلتزم كل واحد منهم بواجبها تغمدهم الله برحمته، وأسكنهم فسيح جنته، ولا غيب اللـه عنهم أجر ما قاموا بـه من بث العلم ونشره في جميع أقطار الـدنيا، ومـا تصدوا بـه لأعداء الـدين من جهاد في سبيل الله، ومـا تحمل كل واحد منهم من مشقـة في جمع شمل المسلمين والـدعـوة إلى اللـه بـالتي هي أحسن.

رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة مثواهم.

العالم الشيخ محمد عبد الله
ابن تكرور

لا شك أن مواهب البشر متفاوتة وقدراته متفاضلة، ومن أغزر علماء الصحراء المغربية علمـاً، وأوفـرهم مقدرة، العلامة الموهوب والمتصـوف السني السلفي، المحبـوب ذو القلم السيال، والإنتـاج الـرفيع في كل مجال من خلد ذكـره بـواسطة كتـاباتـه الرفيعـة ومـآثره الجميلـة، فكان محل تقـديـر وتجلة واحترام من طـرف الجميع لعلمه وورعه وسمو تفكيره، وكتاباته الشيقة التي تشـهد

لـه بـالتفوق في ميـدان العلـوم الإسـلامية، ولقـد أخلص للبيعـة الشرعية للعـرش العلوي المجيـد، وللجالـس عليه لعلمـه بحكمها والتزامـه بما تدعو لـه من واجب، فكان رضي اللـه عنه من أقمار صحـرائنا المغـربية المضيء بعملـه البنـاء وعلمه المنتشر وجهـاده الدءوب وسلوكه المستقيم وكتاباته المفيدة.

ولا غرابة في ذلك فهو من بيت العلم والاستقامة ونكران الذات وصون الفضيلة.

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته. إنه قريب مجيب لمن دعاه.

العلامة الجليل الشيخ عبداتي

سليل الأمـاجـد والأكـرمين من تخلق بأخـلاق جـده سيـد المرسلين، العـالم التقي المفضال من لهجت بمـدح أعماله النسـاء والرجـال، الولي الكـامل والعالم العـامل الشريف الإدريسي، التقي النقي زينة الماضي والآتي، فضيلة العلامة الشيخ عبداتي، كان هذا العالم الورع من ألمع المجاهدين وأقوى المصلحين، وأنبل الأطيبين وأوفى المخلصين، جـاهد بسيفـه وقلمه المد الاستعماري، وكـانت أعماله خالصـة لوجه الله العظيم، لا يريـد بما قام به من أعمال بنـاءة جزاء ولا شكـوراً من أي كـان، اتسم بحب الخير للجميع، ونكران الـذات والفناء في المصلحـة العامـة، له شرح لنظـم والده

شيخنا الشيخ ماء العينين المسمى حاكم الأحكام على العبادات أبان في هذا الشرح عن غزارة علمه وتحكمه في مادة الشرع، أخلص لله وللوطن وللملك، جدد البيعة لمحمد الخامس، وبقي على النهج الذي تركه عليه والده شيخنا الشيخ ماء العينين من الإخلاص والوفاء للبيعة للعرش العلوي وللجالس عليه، حتى لقي ربه وهو سالك السبل القويم والطريق المستقيم، وفق كتاب الله وسنة رسوله، محباً عند الناس ساهراً في عمله البناء لنفع البلاد وجلب الخير لها. ولقد عينه خليفة السلطان بتطوان بظهير خليفي نائباً عن نائب الصدر الأعظم بمنطقة درعة، فقام بعمله بكل إخلاص.

تغمده المولى بوافر رحمته، وأسكنه الله أعلى عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

العالم العامل الشيخ أجيه بن شيخنا الشيخ ماء العينين

لكل زمن رجاله كما يقولون، ومن الشخصيات المعروفة بصدقها واستقامتها وعلمها النافع، القدوة الصالح المصلح ذو الأخلاق الحميدة، والمآثر المفيدة والسمعة الطيبة، خريج مدرسة الصمارة مدرسة الجهاد والعلم والتقوى العالم العامل، والمفضل الكامل التقي النقي الوجيه عند الخاص والعام الشيخ أجيه.

لقد كان هذا العالم مضرب الأمثال في قـوة الذاكرة واستحضـار ما درس من العلوم.

فكان مـوسوعـة علمية متحركـة، مجلسه كلـه فائدة لا يترك وقتـه يضيع، مشتغل فيما يعنيه جهـاداً وعلمـاً وعملاً بنـاء في شتى مجالات الحيـاة، انتشر صيتـه وعم نفعـه، وكـرس جهـده للدفاع عن وطنه بالنفس والقلم، وبقي مخلصاً للبيعة التي طوقنا الله بها للعـرش العلوي المجيـد وللجالس عليـه حتى توفـاه الله إليه، ولقد أثنى عليه جلالة المغفـور له محمد الخامس عدة مرات عندمـا يتشرف الشيخ أجيـه بملاقاة المغفـور له محمـد الخامس الذي وفـد عليه مرات عـديدة في مدينة الـرباط، فيكرم المفـور له وفادة هذا العالم المخلص الـوفي، وبقي الشيخ أجيه سالكاً مسلك والده والعلماء المخلصين لهذه الدوحة النبوية الشريفة إلى أن لقي ربه. تغمـده الله بوافر رحمتـه وجزاه جزاء العالم العـامل الملتزم لجادة الشرع حسب ما يدعو لـه الكتاب والسنة. ورزقه النظر في وجهه الكريم. إنه مجيب لمن دعاه.

العالـم السيد المحفـوظ بن محمد جدوا

لقـد كـان المحفـوظ بن محمـــد جـدوا من العلماء الملتـزمين، والأتقياء الـورعين والحفاظ لكتاب اللـه الماهرين، والمجـاهدين في سبيل الله المخلصين.

وعرف بإخلاصه للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، وفي للبيعة الشرعية التي طوق الله بها أعناقنا، لا يتساهل في امتثال الشريعة لورعه والتزامه بجادة الشرع على الحقيقة، وهو من خريجي مدرسة الصمارة مدرسة العلم والجهاد والوفاء، والدفاع عن الوحدة من أهل التثبت والتحري، صلب العود قوي الإرادة ورع مستقيم لا تأخذه في الله لومة لائم، رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثوانا ومثواه.

إنه قريب مجيب لمن دعاه.

العالم السيد محمد يحظيه
ابن عبد الباقي

لقد اشتهر العالم الجليل السيد محمد يحظيه بن عبد الباقي الشريف العلوي بقوة الشخصية والنشاط في العمل والابتكار الخلاق، والفكر المتوقد، والعمل الدءوب، وتحدث من تعرف عليه على علمه ورجاحة عقله واتساع اطلاعه. وبعد نظره وتشبثه بسلوك السلف الصالح، وغيرته على دينه وتمسكه بجادة الشرع، واستقامته في دينه ودنياه، فكان ثاقب الفكر صائب الرأي لا يترك عمل يومه لغده لقوة حزمه ونشاطه العلمي المفطور في طبيعته، والمنبعث من حيويته محبوب عند الجميع، ويتفجر علما وغيرة على مصلحة أمته أخلص لله جل وعلا ولما جاء به نبي

الرحمة، فسلك السبيل المستقيم، والتزم بالكتاب والسنة في قوله وعمله لعلمه وورعه وقوة حفظه، فكان من أعلام الصحراء المغربية المشهورين، والمخلصين لواجبهم الوطني، تفانى رضي الله عنه في الإخلاص للبيعة الشرعية للعرش العلوي المجيد، وللجالس عليه جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه. فكان الفقيه الجليل السيد محمد يحظيه بن عبد الباقي قدوة في العلم والعمل والإخلاص والاستقامة والسمعة الحسنة.

رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثوانا ومثواه.

إنه مجيب لمن دعاه.

العالم المؤلف الكبير الشيخ أمربيه رب ابن شيخنا الشيخ ماء العينين

ومن أعلام علماء الصحراء المغربية كوكب المعرفة الوقادزينة عصره ومفخرة دهره، من وهب حياته للعلم والجهاد، فكان بذلك محل تقدير عند من تعرف عليه من العباد، العالم الشهير والمؤلف الكبير والشاعر المجيد والناثر السديد، ذو القلم السيال، في كل مجال، العلامة الشيخ محمد المصطفى أمربيه رب بن شيخنا الشيخ ماء العينين خريج مدرسة الصمارة المجاهدة.

فلقد أخلص هذا المجاهد لوطنه وحث على الجهاد بقلمه، وقاد المعارك ضد المد الاستعماري هو بنفسه، وكرس حياته لجزر مد العدو تفانياً منه في الوفاء للمقدسات الوطنية، فلم يكترث بقوة المستعمر وتفوقه في العدد والعتاد، فصمد في وجه الغزو الأجنبي على بلدنا العزيز بالسيف والقلم، حتى جثم هذا المارد الجبار بكلكله على جميع أطراف الوطن، والله غالب على أمره، فسلم للباري ما قدر، وتوجه لخليفة السلطان مولاي الحسن بن المهدي في تطوان فجدد له البيعة للجالس على العرش العلوي المجيد جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، فأكرم خليفة السلطان بتطوان على العلامة المجاهد الشيخ أمربيه رب بالتوجه لأداء فريضة الحج للديار المقدسة، يرافقه وفد من أبناء الصحراء وبعمرانة يضم خيرة من علماء هذه الجهة وأعيانها، تكريماً من هذه الدوحة النبوية العلوية الشريفة

لأبناء هذا الوطن المخلصين الأوفياء والمجاهدين الأتقياء.

ولقد كتب عن هذه الزيارة التاريخية لمدينة تطوان العلمية كثير من المهتمين. ومن أراد الاطلاع الشامل على هذه الوفادة السارة، فليرجع إلى ما كتبه العلامة الجليل ماء العينين بن العتيق عن هذه الرحلة، وما رافقها من عناية كاملة خص بها خليفة السلطان مولاي الحسن ابن المهدي فضيلة العالم العامل الشيخ أمربيه رب بن الشيخ ماء العينين الذي لقى ربه وهو متفان في الإخلاص للبيعة للعرش العلوي المجيد والجالس عليه جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

وسيجد القارئ في ملحقات هذا العرض المتواضع الذي يتضمن أسماء البعض من علماء الصحراء المغربية الأوفياء وثائق تؤكد ما أشرنا عليه.

تغمد الله الكل برحمته ورضى عنه وأرضاه إنه ولي التوفيق.

ولقد جدد هذا العالم بيعته الشرعية لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه بواسطة خليفة جلالته بتيطوان مولاي الحسن بن المهدي والوثائق الموجودة صحبة هذه الكتابة عن شخصية العلامة الشيخ أمربيه رب تدعم ما كتبنا.

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم



المحب الودي الأبر الفقيه العلامة الشهير الأمجد البشير ... ابن الشيخ المنعم

البشير ... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابكم

[illegible] من [illegible] سعادة الكويت

[illegible] نرجو الله تعالى أن يؤيده ويجعله [illegible] سبيل سعادة البلاد

والعباد فيسرنا أن نشكركم على هذه العواطف الحسنة والإخلاص

الطيبة المستحسنة التي [illegible] وسيلة [illegible] أسلاف الجميع

من [illegible] ودوام المودة [illegible] الله [illegible]

[illegible] والسلام في 29 [illegible] عام 1353

مختصر مسودة الرسالة التي رفعها المجاهد مربيه ربه ماء العينين بخط يده الى جلالة الملك المغفور له محمد الخامس يجدد فيها أواصر البيعة المتوارثة للعرش العلوي عند جميع سكان الأقاليم الصحراوية .

ويؤكد استعداده للقيام بما يرتئيه جلالة الملك .

العالم الشيخ محمد بن عبد الله القلاوي

إن الألمعي الذكر والعبقري الوفي والحافظ الماهر والشاعر الناثر السيد محمد بن عبد الله القلاوي، كان من خيرة علماء عصره في الاطلاع الواسع وقوة الذاكرة وذرابة اللسان، والتحلي بالأخلاق الكريمة والإخلاص للعرش العلوي المجيد والجالس عليه، وكان السيد محمد القلاوي وفياً للبيعة.

رحمه الله بمنه وكرمه.

العلامة محمد آب ابن الحبيب بن محمد

الفقيه المستقيم ذو الأخلاق الحميدة والسلوك المحمدي، فضيلة العلامة الفقيه محمد آب الذي عرفه سكان الصحراء المغربية بالعلم والورع، والتمسك بالسبيل السوي شاعر ناثر، ورع ملتزم بما يجب عليه أشد الالتزام، وفي للبيعة للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه.

رحم الله الفقيه محمد آب، وأسكنه فسيح جنته. إنه مجيب لمن دعاه.

العلامة الولي الصالح الشيخ
عبد العزيز الرباني

لقد اشتهر بالعلم والصلاح والوفاء ونكران الذات، وحب الخير للجميع والفناء الكلي لآل البيت النبوي العلامة التقي الزاهد الورع الشيخ عبد العزيز الرباني، فكان هذا العلم المفضال من بدور أعلام الصحراء المغربية، الذين كرسوا حياتهم المشرفة للعلم، ونفع العباد والوفاء للعرش العلوي المجيد، والإخلاص اللامتناهي للبيعة للجالس على العرش، لا غيب الله أجر العمل الصالح، الذي يقوم به الشيخ عبد العزيز الرباني عنه، وجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

العالم السيد ماء العينين بن محمد الأمين

لقد اشتهر بالفتاوى الصائبة والكتابات المفيدة، والقصائد الشعرية الرقيقة العلامة السيد ماء العينين بن محمد الأمين، أحد علماء مدرسة الصمارة المجاهدة. فكان هذا الفقيه الكبير من العلماء البارزين والشعراء المجيدين، والأوفياء المخلصين والشرفاء

المجاهدين، ومن تتبع إنتاجه الرفيع، يعلم أنه من كواكب العلماء اللامعين.

ولقد أخلص للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، أيد الله ملكه وخلد في الصالحات ذكره، وكان وفيا للبيعة التي يعلم حكمها، ويلتزم بما تدعو له من واجب، تغمده الله برحمته. إنه مجيب لمن دعاه قريب لمن سأله.

العالم أعل امبطالب بن ميار

كان هذا الفقيه السيد أعل امبطالب من الفقهاء المشهورين والعلماء المستقيمين، عرف بالاستقامة والصلاح والوفاء والإخلاص لمقدسات وطننا العزيز المملكة المغربية، ولم تأخذه لومة لائم في القيام بواجب البيعة للعرش العلوي المجيد، وللجالس عليه تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته.

ولقد خلف السمعة الطيبة والأحدوثة الجميلة، وكان محترماً عند من احتك به، وعاش معه وخالطه من الجميع.

رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه. إنه قريب مجيب لمن دعاه.

العالم الشيخ محمد بو الانوار بن الشيخ ماء العينين وإخوته

لقد كان العلامة الشيخ محمد بو الانوار من أقدر أهل زمنه على التأليف والكتابة، وكان شاعراً مجدا لما وهبه الله من الذكاء والعبقرية النادرة والعناية المطلقة بالعلم وتحصيله، فانتفع بعلمه ونفع به الكثير لدرسه لشتى مواد العلم، وتدريسه لمختلف فنونه. واطلع على كتاباته في مواضيع متنوعة من أنواع المعرفة، يدرك ما لهذا العالم الفذ من اتساع اطلاع وحسن أسلوب.

وقد التزم بالوفاء المطلق للبيعة للعرش العلوي المجيد والجالس عليه تمشياً مع ما يدعو له الكتاب والسنة، التي يعرف العلامة الشيخ محمد بوالانوار ما يدعو له الأصلان بكل دقة.

رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه. إنه سميع مجيب.

العالم السيد محمد بن محمد

كان فضيلة الفقيه محمد بن محمد من العلماء الذين خدموا دين الإسلام باستقامتهم، ونشر العلم في قلوب الناس، فكان ابن محمد رضي الله عنا وعنه من العلماء الورعين الملتزمين المتعففين، وحصل له من التقدير والاحترام في قلوب الناس، الشيء الكثير

وعرف بالوطنية والورع الكاملين والإخلاص للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه هو وذريته وإخوته أهل العلم والوفاء، والتشبث بالبيعة للعرش العلوي المجيد والجالس عليه.

فمنهم القضاة النزيهون والعالمون العاملون، ومنهم المعلمون الذين يلقنون شتى المعارف لما اتسم به كل واحد منهم من مقدرة وكفاء، وحسن سلوك، فرضي الله عن العالم السيد محمد بن محمد وأهله وذويه والمحيط الذي تربى فيه.

فلقد كان المجتمع الموجود به الفقيه محمد بن محمد مجتمعاً صالحاً مستقيمًا. وفق الله الجميع وسلك به سبل النجاة.

إنه مجيب الدعوات وجالب الخيرات ودافع المضرات.

العالم الشيخ مصطاف بن الشيخ ماء العينين

إن الكتابة عن عباد الله الصالحين والعلماء العاملين والأتقياء المجاهدين فيها إحياء لتراث الإسلام وتخليد لذكر أمجاده، وإذا تفضل الله على كاتب كيف ما كان مستواه بأن وجه قلمه وفكره للحديث عن أعلام أمته، ونشر فضائلهم، فتلك نعمة يحمد عليها الهادي لها الذي هو الله جلت قدرته.

ومن أعلام هذا الجناح الغربي من عالم أمتنا الإسلامي الذين دافعوا عن قيم الإسلام، ومثلوا أخلاق المسلم المتمسك بمنهاج الكتاب والسنة العالم التقي المهذب عصامي النفس، فضيلة الشيخ

مصطاف ابن الشيخ ماء العينين. فلقد تصدى هذا المجاهد بقلمه وسيفه للمد الاستعماري في أوائل هذا القرن العشرين إخلاصاً منه للعرش العلوي المجيد، وللجالس عليه، وبقي يدافع عن المقدسات الوطنية بإرادته الصلبة وإيمانه الهندواني، ولم تأخذه لومة لائم في القيام بما يجب عليه، وتلك تربيته وذلك ينبوع مدرسته مدرسة الصمارة التي سيبقى نور أعمال جهاد أبنائها الأوفياء يطرد ظلام الجهل والكفر، والتنكر للواجب الوطني، لما عرف في خريجي هذه المدرسة المجاهدة من التفاني في حب هذا الوطن والإخلاص للبيعة للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه.

وليس بغريب إذا كان الشيخ مصطاف من اللامعين في هذه الجهة، في كل أعمال الخير، فلقد خلد ذكره بما قام به من عمل صالح، ومن تتبع حياته بتمحيص يعلم أنه العالم المجاهد الغيور على وطنه، الوفي لملوكنا العلويين الأماجد، ولقد أوذي في سبيل الدفاع عن وحدة هذا الوطن، وما زاده ذلك إلا تمسكاً بالواجب.

تغمد الله الجميع برحمته، وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه إنه سميع مجيب.

العالم الشيخ محمد عبد الله بن تكرور

لا شك أن مواهب البشر متفاوتة وقدراته متفاضلة، ومن أغزر علماء الصحراء المغربية علماً، وأوفرهم مقدرة، العلامة الموهوب والمتصوف السني السلفي المحبوب، ذو القلم السيال، والإنتاج الرفيع في كل مجال فضيلة الشيخ محمد عبد الله بن تكرور من

خلد ذكره، بواسطة كتاباته الرفيعة، ومآثره الجميلة، فكان محل تقدير وتجلة واحترام، من طرف الجميع لعلمه وورعه وسمو تفكيره، وكتاباته الشيقة التي تشهد له بالتفوق في ميدان العلوم الإسلامية.

لقد أخلص للبيعة الشرعية للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه لعلمه بحكمها، والتزامه بما تدعو له من واجب.

فكان رضي الله عنه من أقمار صحرائنا المغربية المضيء بعلمه البناء، وعلمه المنتشر وجهاده الدءوب، وسلوكه المستقيم وكتاباته المفيدة.

ولا غرابة في ذلك، فهو من بيت العلم والاستقامة ونكران الذات، وصون الفضيلة.

تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته، إنه قريب مجيب لمن دعاه.

العالم الشيخ الطالب بوي بن الشيخ ماء العينين

كان هذا التقي المستجاب الدعاء المحبوب في قلوب الناس، فضيلة الشيخ المحترم الشيخ الطالب بوي من أعلام هذه الجهة الذين أعملوا وقتهم في الصالح العام، وبسلوكه وأخلاقه وشمائله المحمودة، كان محل تقدير واحترام عند الكل، ولقد التزم بواجبه

الشرعي حول وطنه وملكه وشعبه، الشعب المغربي الذي تفانا الشيخ الطالب بوي. تغمده الله برحمته في الوفاء المطلق، ولباقي المقدسات الوطنية، وأخلص للبيعة الشرعية للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه. ولقد أمد الله في عمره حتى تمتع بأن جدد البيعة لمحرر المغرب المجاهد الأكبر والمقاوم الأول جلالة المغفور له محمد الخامس، وعندما وفد الشيخ الطالب بوي على المغفور له بعد رجوعه من المنفى سنة 1956 أكرم جلالة المغفور له وفادة هذا الوطني الملتزم بالواجب عليه، فارتاح الشيخ الطالب بوي لهذا اللقاء الذي طالما اشتاق إليه، وبقي على الخط[1] المستقيم، والإخلاص لله، وللملك وللوطن حتى لقي الله رضي الله عنه وأرضاه، ناهجاً نهج والده الشيخ ماء العينين في الوفاء اللامحدود للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه تغمد الله الجميع برحمته، وأسكنه فسيح جنته، إنه قريب لمن دعاه.

العلامة عبد القادر بن محمد
ابن محمد سالم

إن الحديث عن العلماء المشهورين بالعلم، الذين تركوا أثر بصمات معارفهم في مؤلفاتهم، شاهدة على قوة العلم وشمولية المعرفة، أقول: إن الكتابة عن هذا الصنف من أعلام الأمة الإسلامية، لابد لمن يتناوله من أن يراعي حرمة المكان والمقام

الـرفيع، الذي يحتلـه المتحدث عنـه، الشيء الذي يفـرض على من تجاسر على تشخيص حيـاة علم نـادر مـن نـوعـه، أن يفكـر في العبـارة التي يصفه بها، لـذلك فإني أقدم رجـلاً وأؤخر أخـرى فيماذا عساني أن أقول عن علامة عصره، المؤلف البارز، الذي على شمائل الفضل حائز، فضيلـة الفقيه الكبير عبد القـادر بن محمد بن محمد سـالم، فهذا الموسـوعة العلميـة مفخرة عصره في العلم وتلقينه وتحصيلـه وتدوينـه، ومن تتبع إنتـاجه المتميـز في أنواع أساليب العلـوم الإسلاميـة، يصدق مـا أومأت إليه من شمـولية معرفتـه، وسمو مكانته عنـد من تعرف على ما حباه اللـه به من العلم، وخدمته وجمعه وبثه في صـدور المهتمين به، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن جزائه، ولقد عرف هو وأسرته بحب آل البيت والإخلاص للعـرش العلوي المجيد والوفـاء للبيعة الشرعية التي في أعناقنـا لهذا العرش العلـوي المنيف، وللجالس عليـه، أبد اللـه ملكه، وخلـد في الصالحات ذكـره، ولقـد تمسك هذا العـالم العامل عبد القـادر بالواجب عليه من الإخلاص والوفـاء لمقدسات وطننـا العزيـز حتى تـوفـاه الله، وهـو سـالك السبيل المستقيم والمنهج القـويم، رضي الله عنـه، وأسكنـه فسيح جنته مع الـذين أنعم اللـه عليهم من النبيئين والصـديقين والشهـداء والصـالحين وحسن أولئك رفيقاً، إنه سميع مجيب.

العالم الجليل محمد بن آبو

لقد عرف الفقيه المتضلع في شتى ميادين العلم، والمحدث الكبير علامة دهره شيخ الجماعة السيد محمد بن آبو بالحفظ والعلم، وقوة الذاكرة والاستقامة، والتشبث المطلق بما ينص عليه الكتاب وتهدي له السنة إذ لا تأخذه لومة لائم في التمسك بالجادة السليمة المسلمة الواضحة التي ليلها كنهارها، ولا يزيغ عنها إلا هالك، فكتاباته الرفيعة في أنواع الفنون المعرفة شدت إعجاب العلماء، وانتفع بها المهتمون بالعلوم الإسلامية والعربية، فزيادة على أنه محدث كبير وفقيه شهير، وكاتب ناشر وخطيب ماهر، فهو بالإضافة إلى ذلك شاعر مجيد، وقصائده الرائعة لكل مثقف وعالم تفيد، لا يجارى ولا يبارى في هذا الميدان، فلقد حاز فيه قصب السبق من بين أقرانه، وانتزع إعجاب أهل عصره وأوانه. ولقد سخر قلمه السيال وقصائده الجميلة لمدح العرش العلوي المجيد والجالس عليه جلالة المغفور له محمد الخامس، فله ديوان شعر شعر رفيع المستوى في الثناء على ملوكنا الأماجد.

ولقد جاهد بنفسه وإنتاجه الغزو الاستعماري فألهب مشاعر المجاهدين بشعره الذي كان صاعقة كاسحة على الغازي وأذنابه.

فالسيد محمد بن آبو من العلماء المجاهدين قولاً وعملاً، وأمد الله في حياته حتى عاش استقلال بلدنا الأمين الذي حققه المغفور له محمد الخامس، ووارث سره أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني. ولقد تفضل جلالة المغفور له وعينه في كلية ابن

يوسف بمراكش بعد استقلال المغرب سنة 1956، وكان يعطي مادة التفسير في هذه الكلية، فانتفع بعلمه الجم الغزير كثير من الطلبة الراغبين في تحصيل العلم واقتنائه من أهله الحاملين له بمعنى الكلمة.

وكان محمد بن آبو من الأوفياء المخلصين للبيعة الشرعية لملوكنا العلويين أبد الله ملكهم، وخلد في الصالحات ذكرهم.

لا يحيد هذا العالم العامل عن ما أوجب عليه الشرع قيد أنملة، عرف بالاستقامة والخشوع والمضي الدائم في السبيل المستقيم، يمثل المدرسة الصوفية السنية السلفية النقية، بعيد رضي الله عنه من كل تصنع، يعبد ربه عبادة المخلص الواعي بالواجب عليه، ولا يتعدى ما يدعو له الكتاب والسنة.

رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنة الفردوس مثواه. إنه مجيب لمن دعاه.

العالم محمد عبد الفتاح
ابن عبد الله بن أحمد

من العلماء العاملين والأوفياء المجاهدين والأبطال المخلصين صاحب المعارف الكثر، فضيلة العلامة محمد عبد الفتاح بن عبد الله بن أحمد، لقد شمر هذا العالم المجاهد عن ساعد الجد، وخدم العلم وجاهد عن الوطن، بكل ما أوتي من فهم ثاقب، ومعرفة

نادرة وذكاء خارق وشجاعة في الرأي، وصلابة في العمل ومشاركة فعالة في الدفاع عن وطنه، فلقد أبلى البلاء الحسن وناهض العدو بنفسه صحبة إخوته المجاهدين، فكم استشهد بجنبه في ساحة الوغى من أبطال استرخصوا نفوسهم ودماءهم ذبا عن وطنهم. فكان محمد عبد الفتاح العالم المجاهد من أقوى الرجال شكيمة، وأمضاهم عزيمة، ولم يترك السيف للقلم ولا القلم للسيف، بل دافع بهما معا عن وطنه إخلاصاً منه لمقدسات بلده، فكان من الأوفياء للبيعة للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، وأوذي في سبيل انعتاق وطنه أيما إيذاء ولم ينهه ذلك عن المضي في سبيل الحق والمشروعية، فكان مثالاً يحتذى به في قوة العزم وصلابة الإرادة، ونشر العلم وتلقينه وتحصيله. فقد اجتمع في هذا الندب من الصفات المحمودة ما افترق في غيره، ولا غرابة في ذلك فهو خريج مدرسة العلم والجهاد، والاستقامة والثبات على المبدأ، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثوانا ومثواه، إنه قريب مجيب لمن دعاه.

العلامة سيد عبدالا بن الأديب

كان العلامة الدراكة فضيلة الفقيه السيد: سيد عبدالا بن الأديب من أكثر علماء عصره علماً وأغزرهم مادة، وأقدرهم على الكتابة والفتوى لما أعطاه الله من شمولية معرفة، ولما اتسم به

هذا العبقري من قوة الذاكرة وسرعة الحفظ، والانصهار الكامل في طلب العلم واقتنائه، لا يشغله عن الحفظ والتحصيل أي شاغل، عرف بين أهله وذويه بالاهتمام المطلق بدراسة المعارف وتلقينها، فكم انتفع بما أعطاه الله من علوم جمة، فلهجت بذكر معارفه الركبان، وأعمل وقته الثمين فيما ينفع البلاد، وينير أفكار العباد، هذه الجهة الذين خدموا الوطن بمواهبهم الجمة، وأخلص للبيعة التي نعتز بها للعرش العلوي المجيد، وللجالس عليه، فكان هذا العالم من أساتذة مدرسة الصمارة اللامعين وأعلام رجالاتها المجاهدين. فترك أثر بصمات علومه النافعة في كتاباته المفيدة، وبصدور طلبته الذين تخرجوا على يده، فانتفعوا بعلمه وأفادوا بمعارفهم الجمة، لا غيب الله أجر هذا العمل الخالد عنه.

ولقد خدم فضيلة العلامة سيد عبدالا بن الأديب مقدساته الوطنية بكل إخلاص وتفان، عرف بورعه واستقامته وتمكنه من العلوم الإسلامية واستحضاره لما يتحدث عنه لقوة ذاكرته وحسن ضبطه وصرفه وقته في العلم وتحصيله.

رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

إنه مجيب لمن دعاه.

العالم المجاهد الشيخ محمد ماء العينين
ابن الشيخ الطالب

إن العالم التقي الشجاع المعتمد على الله في قوله وعمله ينتزع إعجاب من لاحظ فيه هذه النعوت التي أومأت إليها، ومن العلماء المجاهدين المتفانين في حب هذا الوطن الذين خدموه بالسيف والقلم، العالم العامل المجاهد الصامد والقوي في الله بإيمانه وإرادته الصلبة، فضيلة العلامة الشيخ محمد ماء العينين بن الشيخ الطالب أخيار، فلقد كان هذا الشهم النبيل رمزاً يحتذى به وبسلوكه في اقتناء العلم، وجمعه والعناية به وبأهله، ورمزاً يقتدى به في رفع السيف ضد الغازي المعتدى. فلقد شمر عن ساعد الجد وخاض معارك جهادية طاحنة في وجه الاستعمارين الإسباني والفرنسي، وأوذي في هذا المجال إيذاء المجاهدين الأبطال الذين لا تلومهم لومة لائم في الذب عن مقدسات هذا الوطن العزيز، فكان الشيخ محمد ماء العينين بن الشيخ الطالب أخيار من الأوفياء المخلصين للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، وفياً للبيعة الشرعية التي طوقنا الله بها لما يعرف من حكمها، ومن واجب الالتزام بما تدعو له، فكرس حياته المشرفة لنيل العلم وجهاد المعتدي، والإخلاص للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، فكان رضي الله عنه قدوة في سلوكه النقي، يحب لله ويبغض له، فقد أعطاه خالقه من الشجاعة الأدبية ما تكل العقول عن إدراك كنهه، وتعجز الألسن عن حقيقة وصفه.

خطيب مصقع، وشجاع نادر من نوعه، ووفي مخلص لوطنه وملكه وربه، ورع صالح مجاب الدعوة، يحب للجميع ما يحب لنفسه، حلو المعشر لا يزحزحه عن مبادئه النبيلة أيا كان، خصني الله بمعرفته فلاحظت فيه من السلوك المحمدي والأخلاق الرحمانية، ونعوت المجد والكمال، ما جعلني أن أكن له تقديراً واحتراماً كاملين أعجز عن وصفهما.

تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته بفضله وجوده وكرمه. إنه ولي التوفيق.

العلامة محمد المختار بن أباه

من العلماء البارزين والمؤلفين المشهورين والفضلاء المستقيمين والأتقياء الورعين فضيلة العلامة بمعنى الكلمة الفقيه محمد المختار بن أباه الكاتب المشهور الذي برز إنتاجه للمثقف المولع بالإفادة، والطالب المزيد من اقتناء العلم، برز إنتاجه في شتى أنواع العلوم الإسلامية على مختلف مواضيعها، ومن خصه بمطالعة كتبه وأبحاثه وعروضه وتدخلاته في المنتديات الثقافية والمؤتمرات يعلم علم اليقين أن هذا العلم النادر من نوعه من علماء الأمة الإسلامية القلائل نظرائهم، فخدم الإسلام بما كتب، وما يبث من دعوة إلى الله بالتي هي أحسن فهو العالم العامل المتثبت الحكيم في دعوته إلى الله، القدوة في سلوكه النقي الطاهر

في المظهر والمخبر يشد السامع بحديثه الشيق الذي يتفجر صاحبه علما وحكمة وتبصرا ورزانة.

والسيد العلامة محمد المختار من العلماء الأوفياء المخلصين لمقدسات وطننا العزيز، له نظرة حول بلده وأمته شمولية يحب الخير للجميع، ويعمل من أجل جمع الشمل، وتوحيد الصفوف ويقارب بين وجهات أنظار المسلمين، انصهر في سلوكه خلق الإسلام تقوى واستقامة وورعاً وترفعاً، يعلم حكم البيعة الشرعية ويلتزم بما يمليه عليه الواجب من الوفاء والإخلاص والطاعة لولي الأمر.

ولقد لاحظت فيه من العلم والعمل والتخلق بأخلاق السلف الصالح الشيء الكثير، والسيد محمد المختار من العلماء المخلصين والأوفياء الصادقين للبيعة للعرش العلوي المجيد، وللجالس عليه زاده الله توفيقاً وكثر من أمثاله، ولا غرابة إذا كان قدوة يحتذى به في سلوكه وعمله البناء فالدر من معدنه، حفظه الله وكل أعماله بالنجاح. إنه قريب مجيب.

العالم فضيلة محمد ماء العينين
ابن الشيخ أحمد الهيب

لقد كان هذا العالم الشاعر الملتزم الوطني الغيور على مصالح بلده وأمته، الفقيه محمد ماء العينين ابن الشيخ أحمد الهيب من العلماء النابهين، والصلحاء الورعين، والمجاهدين الوطنيين. فأخلص رضي الله عنه لمقدساتنا الوطنية، ولم ترده حواجز

الاستعمارين الفرنسي والإسباني على أن يبقى يجدد البيعة عندما تسمح له الظروف لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه. فينتقل من مدينة الصمارة حتى يصل لعاصمة المملكة الرباط للزيارة من سيدنا، تغمده الله برحمته. فزيادة على فنائه في الإخلاص ووطنيته الفائقة، كان من السباقين لمواجهة المستعمر الإسباني ومن العلماء الذين كثفوا نشاطهم في مناهضة الغازي عندما اعتدى المستعمر الظالم على رمز هذه الأمة، وتجاسر على نفي المغفور له، ووارث سره أمير المومنين الحسن الثاني والأسرة المالكة، فكان محمد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيب من العلماء الذين أظهروا ما لهم من شجاعة وإخلاص كاملين، ومناهضة للمستعمر وأذنابه، فلم يستقر له قرار رضي الله عنه حتى أنعم الله علينا برجوع المغفور له حاملاً معه وثيقة استقلال المغرب. فكان هذا العالم الوطني محمد ماء العينين من الأوائل الذين حضروا أكبر مؤتمر، انعقد الصدر الأعظم (بأم اشكاك) احتفاء برجوع المغفور له، ولئن كان هذا اللقاء التاريخي من نوعه الذي حضره علماء وأعيان هذه الجهة من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وأهل الحل والعقد منها، فإن من ألمع المشاركين في هذا الملتقى الوطني هو العالم العامل محمد ماء العينين.

وكان رضي الله عنه من ألمع المشاركين في هذه التظاهرة الوطنية النادرة من نوعها، والتي انبثق عنها وفد عظيم يمثل جميع شرائح هذه الجهة توجه للعاصمة الرباط لتجديد البيعة ومشاركة باقي الشعب المغربي في أفراحه، في هذا الحدث

التاريخي العظيم، ومن ضمن أعضاء هذا الوفد العلامة محمد ماء العينين بن الشيخ أحمد الهيب. ولقد لاحظت فيه حيث أنني كنت من أعضاء الوافدين لتجديد البيعة لاحظت في هذا العالم من الاستقامة والإخلاص وحب الوطن ما يحير الألباب، فمحمد ماء العينين عالم شاعر، وطني شجاع في مواقفه، لم تأخذه لومة لائم في تأدية الواجب عليه من الإخلاص للعرش العلوي، والجالس عليه، ومن الوفاء للبيعة الشرعية لهذا العرش دام عزه وعلاه.

رضي الله عن الجميع، وأسكنه فسيح جناته، إنه ولي التوفيق.

الولي الصالح والعالم الأنصاري
فضيلة الشيخ سيد أحمد بوغنبور رضي الله عنه

اشتهر العالم العامل والولي الكامل والفقيه الجليل الشيخ سيد أحمد بوغنبور بالورع والصلاح والعلم، وله صيت كبير وسمعة شائعة وذائعة، عاش رضي الله عنه في عهد الدولة السعدية، ولم أكتب عن عالم خارج عهد الدولة الشريفة العظيمة العلوية ما عدا عن ثلاثة، وهم : الشيخ سيد أحمد الركيبي (ض)، والشيخ سيد أحمد لعروصي (ض) والشيخ سيد أحمد بوغنبور المتحدث عنه لما في نشر فضيلة الكل من فائدة.

فالشيخ سيد أحمد بوغنبور ترك الأحدوثة الطيبة، والذكر الجميل، والكتابة عن هؤلاء الأعلام جميعا تحتاج للوقت الكافي للبحث عن انتاجهم، والتحدث عن حياتهم بدقة وتمحيص شاملين.

ولقد كان رضي الله عنه مخلصا لواجب البيعة، ومتشبثا بما يدعو له الكتاب والسنة رضي الله عنه وأرضاه، وجعل البركة في ذويه وأهله وذريته، إنه ولي التوفيق.

العلامة الجليل السيد أحمد باب بن الخرش

من اطلع على مالهذا العالم من أفكار نيرة حسب كتابته، وماله من علوم جمة وغيرة وطنية وروح جهادية، يعلم علم اليقين أن العلامة السيد أحمد باب بن الخرشي من الأعلام الذين يفخر بهم علما وبعد نظر، وحبا لهذا الوطن، ودفاعا عن شرفه وكرامته. ولا غرابة في ذلك ففضيلة العلامة والفقيه الدراكة أحمد باب بن الخرشي نبراس زمنه، وواسطة عقد عصره علما وشهامة وإخلاصا للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه لما يعلم من واجب التمسك بالطاعة لولي الأمر والالتزامه بالإخلاص للبيعة الشرعية التي طوقنا الله بها لهذه الدوحة العلوية الشريفة دام ملكها وخلد في الصالحات ذكرها.

والشيخ أحمد بـاب بن الخرشي من العلماء العاملين والأتقيـاء الملتزمين بما يـدعو لـه الكتاب والسنـة رضي الله عنـه وأرضاه، ورزقـه النظر في وجهـه الكـريم، وجعل البركـة في عقبه إلى يـوم الدين.

الفقيه العلامة محمد المختار بن الطالب عثمان

العالم الجليل والحافظ للنصوص والضابط للأحكام الإسلامية بصفة خارقة للعادة فضيلة محمد المختار بن الطالب عثمان، فلقد عرف هـذا العلامة بـورعه واستقامتـه والتزامه الكـامل بمشهور مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وعن جميع أئمة المسلمين.

وكان الفقيه الجليل لا يفوته في أطوار حياته التدريس لثلة من الطلبـة، ويعتني بهم غـايـة الاعتناء، ويحث الطلبـة على الـدرس والتحصيل، ويجد فيـه القارئ عليـه القدوة الحسنـة، وهو رضي الله عنه مـن علماء مدرسة الصمارة المشهورين، واتسم بـالوفاء للمقدســات الوطنية، متشبث بـواجب البيعة لملوكنـا العلويين دام عـزهم وارتقاؤهـم، وله مـواقف شجـاعة في الـدفـاع عن صلب الأحكام الشرعية، ولا تأخذه في قولة الحق لومة لائم.

تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه.

ملحق رقم : 1

من رسالة الشيخ المختار الكنتي إلى السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام

... إلى نخبة الأخيار، وخلاصة الأحرار، سلسلة السادات الأبرار، وخاتمة القادات ذوي الأقدار، منبع الفضل والوجود، والفرع سبب أصل الوجود. من ثبت أصل شجرته وفرعها في السماء وطاب ثمارها ودنت قطوفها للاجتناء، فكان أعرقها عرقا، وأرحبها عذقا... أمير المومنين سيدنا ومولانا عبد الرحمن، ابن أمير المومنين سيدنا ومولانا هشام...

.... فهو ـ لعمري ـ الأحرى الأحق، والأولى الأخلق، أن تخلص له المودة، وتوظف بنصره واستقامة أمره آناء إناء الليل وأطراف النهار ـ الدعوات الموجودة، وتبذل له النصائح وتهدي له التحايا المتتالية، وأن يفدى بالنفوس ونفائس الضنائن المخبئات.

هذا : وقد قدم علينا من ناحيتكم الميمونة الفاضل الأديب الفائق الأريب، السالك الناسك، الصادق الذائق: سيدي بابا أحمد ابن عبد الرحمن، في وفده المبارك غير خزايا ولا ندامى، فأثنوا عليك بما أنت أهله، ونشروا من فضائلك ما طوى البين... إلى أن يقول في ختام الرسالة : «ثم لتعلم ـ سيدي ـ أن هذا الوفد المبارك قد أبلغونا ـ من جملة ما أبلغونا عنك من الفضائل والمحامد ـ شدة تشوفك وتعطشك إلى تآليف

الشيخين: الوالد والجد، وقد قدمت ـ بين يدي نجوى كتابي إليك ـ شرح الشيخ الوالد المدعو بـ: «الروض الخصيب على نفح الطيب، في الصلاة على النبي الحبيب» للشيخ الجد الكبير هدية صغيرة الجرم، كثيرة العلم، قليلة العدد، كثيرة المدد، نافعة مفيدة...

...وإن تفضل سيدنا بأن يبعث إلينا شرح الكلاعي وشرح الإمام ابن حجر على البخاري بتمامه فقد أنعم وتمم، ومن منة هو لها أهل لا ينقضي شكرها، ولا ينفذ ذخرها، إذ لا يوجدان إلا عند مثلك، ولا يسمح بهما غيرك، وهو من باب إيصال الخير إلى الغير، المعدود من أفضل أعمال البر، وإن جعلتهما في يد حامل الكتاب إليك، فكأنهما جعلتهما في يدي.

وأوصيك ـ سيدنا بتلامذتنا المنتسبين إلينا، الكائنين تحت كنف ولايتك: خيرا وإحسانا، فالله يجازيك من خير خليفة وإمام، خير ما يجازي وليا عن رعيته.

والسلام على من بالحضرة الشريفة عموما، وخصوصا العلماء ورؤساء الأجناد، وأوصيهم بتقوى الله وطاعة أميرهم، ونصحه وتذكيره، وإعانته بالأنفس والأموال، والرغبة في الجهاد، وإخلاص النية فيه بقصد أن تكون كلمة الله هي العليا، والثقة بوعد الله عليه.

الملحق رقم 2

رسالة الشيخ أحمد البكاي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي أنزل الكتاب العجاب، ليبين الخطأ والصواب، وشرع الدين اللباب، ليفصل الثواب والعقاب، فهدى بكتابه من وفقه فآمن واستجاب، وأضل عنه من خذل فصد عنه فخاس وخاب.

والصلاة والسلام على عبده سيدنا محمد النبي الأواب، خاتمة أنبيائه وفاتحة أوليائه الأقطاب، مجمع بحري العلم والسيف في بر الحكمة وفصل الخطاب. وعلى صحبه وخلائقه خير الخلائف والأصحاب، وعلى آله وذريته أكرم آل وألذ أولي الألباب، وعلى خليفة عصرنا منهم في الصميم والصياب: مولانا عبد الرحمن في الطاب من أعراقهم الطاب، في سنام الأحساب منهم وسماء سناء الأنساب.

بارك الله عليه وعلى بنيه وبنيهم مرور الأحقاب، وأكرمه وإياهم بزلفى عنده وحسن مآب.

وبعد : فالسلام السني، والإكرام الآني الهني : من عبد ربه المنتمي لحبه: أحمد البكاي بن محمد بن المختار بن أحمد بن

أبي بكر: إلى إخواننا أهل الغرب، الظاهرين بالحق من العرب، نعم – عموما – من ثم من الناس، ثم نخص خصوصا أهل فاس ومكناس، مع الأكابر من أهل مراكش الأكياس بعد رؤساء عامة الأجناس.

هذا : وإني أحمد إليكم الله ربنا الذي لا إلاه إلا هو، الذي أكرمنا بنبيه ذي الكرم، وفضلنا به على جميع الأمم، ثم وفقنا لاتباع سنته وخصنا باتباع عترته، فنحن ببيعتهم في بيعته، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله جنى ثمرة غرسه، فقربه من حضرة قدسه، وأبعده من رهقه وبخسه، وسلم من تعسه ونحسه.

ثم أوصيكم بتقواه، فمن أتقاه وقاه، فإن ترقى فيها رقاه، وبالروح والريحان تلقاه.

ثم أعلمكم وأعلمكم، وأفهمكم وأفهمكم، وأذكركم وأذكركم، وأخبركم وأخبركم: أن الله ـ تعالى ـ من علينا ـ أهل المغرب عامة، وعليكم خاصة ـ بنعمتين، يجب علينا وعليكم شكرها:

أولاهما: أنه جعل بقاء الدين فينا، وبشرنا بذلك نبينا بقوله: لايزال أهل المغرب «وفي رواية» أهل الغرب إلى آخر الحديث المشهور الصحيح.

ثانيتهما: أن جعل البيعة الدينية، الشرعية النبوية، فينا ولنا، وأن جعل أولي أمرنا منا، ثم من خيرنا أما وأبا، وأشرفنا نسبا،

وأكرمنا حسبا، وأفضلنا منصبا، من بيت نبينا: سيدنا في الدنيا وفي الآخرة، ثم من أمرنا بالتمسك به بعد سنته فقال: «إني تارك فيكم الثقلين: لن تضلوا تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

فعصمنا الله بولايتهم، ونجانا ببيعتهم، أن نكون تحت ولاية العجم وبيعتهم، فإنه قل من بقي من العرب ليس في بيعة العجم، فضاع عزهم وفسد دينهم وطاحت دنياهم، إلا من كان منهم بالمغرب في بيعة أهل البيت: هؤلاء الشرفاء الإسماعيليين مد الله - تعالى - في مددهم ومددهم، وبارك في عددهم فاشكروا فيهم نعمة الله بهم يزدنا ويزدكم من فضله، ولا تكفروها فيتعدى إلينا ضرر كفركم، ويصل إلينا شرر عدم شكركم...

وقد علمتم، فإن لم تعلموا فاعلموا، أن صاحب هذه البيعة الشرعية، والخلافة النبوية: هو إمامنا وإمامكم الذي بين أظهركم: سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام، نصره الله بجنوده التي لا تراه وأيده بالجنود التي معه في القرى، فمن تمسك ببيعته تمسك بالبيعة النبوية الموروثة المشروعة، ومن أوفى بها وفي بالعهود الإلهية، المفروضة المتبوعة، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، ويحفر بظلفه عن تعسه.

ملحق رقم : 3

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أسعد الله أيام أمير المومنين الأجل، ونصر أعلام مولانا عبد العزيز المجيد، وأبد سعادة أيام دولته عامرة، وأيد سيادته على ما يرضي الله فأبره، محبنا وقرة أعيننا أمير المومنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما دام الكون وحركاته وسكناته.

هذا ولقد علمنا ما فعله جنابكم الشريف بجنابنا من إكرام الوافد عليكم من قبلنا، وليس عنده غير النسبة لنا وتلقي القبول لأورادنا وأدعيتنا، واعتمادكم في الأولاد على إذننا، وإرسال الصلة لنا وفق ما كتبت أناملكم اليمنى، اعتناء بشأننا وتعظيما لجانبنا، فصارت بذلك أسنى وأهنأ. فالله ينفعكم بذلك نفعا يدوم مدده ويتضاعف على مر الأيام عدده، ويجازيكم بملك لا ينبغي لأحد غيركم في دهركم مع العافية في رعيتكم ودوام نصركم نصرا على الأعداء برا وبحرا، يكون لأحبتكم وللمسلمين عزا وفخرا، لا ينقصه تعرض سرا ولا جهرا، ويجعلكم من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن قيل فيهم: «أولائك لهم الأمن وهم مهتدون».

والله يحفظنا معشر الأمة فيك، ويديم النفع بوجودك، ويبقيك وينيلنا وإياكم حسن الختام وعلى المحبة.

في 6 جمادى الأخيرة عام 1313 عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن عامين غفر الله لهم وللمسلمين آمين

ملحق رقم : 4
النص الكامل للبيعة الجكنية
إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن

الحمد لله الذي أولانا فضله العظيم، وهدانا صراطه المستقيم، وبعث إلينا نبيه الكريم، رسوله الرؤوف الرحيم : محمدا الذي أتى بالفضل العميم، وعلى آله وأصحابه الراغبين في إذهاب السيئات واقتناء الحسنات.

هذا، وإنه من كاتبه بالسلام الجامع للأدب، الموفي بغاية الأرب، إلى خليفتنا وأميرنا سيدي محمد السلطان ابن السلطان مولانا عبد الرحمن، والإعلام لك بعد حمد الله الذي لا إله إلا هو، والوصية لنفسي ولك بتقوى الله العظيم، واقتفاء آثار نبيه الكريم.

إنا متطفلون على موائد الحق، بالطلب لك لنفع المومنين من الخلق، بدوام النصر وتتابع الظفر نصرا كنصر الخلفاء، يقوم به بأمرك الكفاة الأتقياء، الناصرون لدين الله ودينك حتى ييأس منه العداة الأشقياء. عاملون بما قضى به الأئمة ومضى عليه الخلفاء، ومتمسكون بالعلم بخشية الله، **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**، ومسخرون لك، وأنت كذلك للمسلمين، وهم المجاهدون الأدلاء.

أعاننا وإياكم على الجهاد الأصغر، وحفظهم منه للجهاد الأكبر، ألا إنها نعمة عظمت وجلت ومنة لو بذلت المهج مكافأة لصغرت بإزالها، وقلت.

فبشرى لهم بسببك على علـــو اليـد، وسعـادة اليـــوم والغـد، والبلوغ بـالسعي الأدنى إلى الأمد الأبعد، ويا فـوز مناهم، وطيب غـرسهم وجنـاهم حين تبـادروا نحوه، ووردوا من خير الـدنيـا والدين معينـه وصفوه، فـازدحموا عليه، والمســار قد استخلفتهم، والشعود قد كالت لهم بصاعها ووفتهم.

وقد بـايعناك على السمـع والطاعـة، ولزوم السنـة والجماعة، والتمسك بالدعـوة ببقائها إلى قيام الســاعة، في الرضى والسخط، والمكره والمنشط، والعسر واليسر، والقل والكثـر، والشدة والـرخاء، والسراء والضراء وعلى مـا بويع عليـه رسـول الله ﷺ وخلفـاؤه الراشدون، والعهد قريب، والمهدي الإمام رضي الله عنه، والدين في زمنه غريب.

ومـا ثبطنا عن القـدوم إليك إلا خـوف نقض العهد من قتلـة الشرفاء، كما خبره لـديكم، وإلا المرض والكبر الملازمان للشخص والغير، لا وهات يدك يقبلها قرطاسي، نائبا عني وعن جميع ناسي، ويخبرك الطـالب محمـــد بجميع أحـوالهم من عـــدم احترام أهل الإسلام وما لهم، وحكم جهادهم أفضل من جهاد النصارى، كما هو منصوص عليه في المدونات الكبرى والصغرى.

وبه كتب عبيدكم محمد المختار بن باللعمش.

ملحق رقم : 5
رسالة الشيخ ماء العينين إلى السلطان مولاي عبد العزيز والقصد إلى الفقرة التي تشير للبيعات الصحراوية

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حمدا لمن جعل للمؤمنين مأوى يأوون إليه، هو من سلالة نبيه المختار ممن لديه.

وبعد، فإلى ظل الله في البلاد، ومن هو للمسلمين الذين يستندون إليه من أقوى عماد، أيده الله ونصره وأعزه في جميع العباد، ذلك الأمير الذي نحن قائلون عليه: الحمد لله بلاد تعداد، هذا وإنه سلام الله ورحمته وبركاته، ما دام الكون وحركاته وسكناته، إلى أمير المومنين مولانا عبد العزيز.

وبعد فمن موجبه أنا – منذ زمن – يبلغنا شيء من الخبر عن هذه النواحي الموالية لنا، ونتحير هل ننهيه لعلمكم الشريف أم لا. – إن تذكرنا ما في دراوة عندنا لمن نرجو في الله تنوير ضريحه والدكم مولانا الحسن : أنا لا يبلغنا شيء من الخبر إلا وأنهيناه للعلم الشريف : قلنا ننهيه وإن نظرنا في عدم التحقيق سكتنا، حتى أتانا من الخبر ما هو مكتوب لكم، وستجدونه – إن شاء الله – مع هذا، وجاءنا معه من التحقيق، مالا ينبغي معه إلا التصديق، فلذلك أنهيناه لكم.

ولما فتشنا عن حقيقة هذا الأمر : إذا حاصله أن هذه البلاد – التي هي بلاد الشناجطة – فيها من المسلمين الحاملين للسلاح وغيرهم مالا يحصيه إلا الله، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقد قال لي مولانا مولاي عبد الرحمان جدكم نور الله ضريحه : إنا متوسمون أن الإيمان الحقيقي اليوم ليس في تلك البلاد.

ولم يكن لهم فيما مضى من الزمن خبر بالنصارى ولا أنهم يريدون بلدا بالملك، بل إنما يظنونهم تجارا يبيعون اللباس ويريدون المعاملة مع الناس، ولم يعملوا بشيء إلا إذا هم طالبون ملك البلاد، والاستيلاء على العباد، فأراد البعض منهم أن يتلقى لهم بالحرب، فإذا هو لم يتيسر له ذلك من جهتين :

إحداهما : عدم أمير تنقاد له القبائل كلها.

والثانية : عدم السلاح الذي أتاهم به النصارى : وهو العدة المسماة بالوروار.

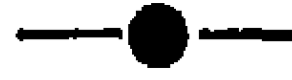
فلما نظروا في ذلك اجتمع رأيهم على أنهم لا حيلة لهم إلا رفع الأمر لكم، مع أنهم – أولا – قالوا لهم: إنهم في بيعتكم منذ عهد مولاي إسماعيل، وإنهم جددوها لمولاي الحسن، فقال لهم النصارى : إن كان ذلك حقا فأرونا طابعا واحدا لهم عندكم، وإذ ذاك أظهر رئيس آدرار طابع مولاي الحسن نور الله ضريحه، الذي عنده، مع طابعكم.

والحاصل أن النصارى أخذوا من بلاد المسلمين مواضع ثمانية. وهي نزر – ولله الحمد – بالنسبة لغيرها، وأرسلوا لكم

بما تـرون، فإن اقتضى النظـر الشريف أن يسـاعـدوا بما أرادوا فإني لا أظنه إلا فضـلا ساقه الله لكم، وأرجو اللـه أن يكون من أوائل إجـابة دعـائي : فإني أرجـو الله أن يعطيكم ملكـا لم يكن لغيركم.

والأمر سـهل – ولله الحمد – كإن أخذتم أحدا من خدمتكم – سواء من قربائكم وسـواء من غيرهم – يكون نائبنا عنكم، وشيئا من العدة التي طلبوا.

واللـه المرجـو أن ينيلكم من فضلـه ما لا تكفيـه العقـول ولا تحصره النقول، وغير ذلك لا نـرجوه، كما أنا لا نـرجو أن يخيب رجاء من رجاكم لنصر دينـه، بل نرجو أن ينصركم وينصر بكم، ويبلغ لكم ولمن رجاكم بـالخير ما تحبونه بـالتمام، وعلى المحبة، والسلام.



ملحق رقم : 6

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ظل الله على العالمين أمير المومنين أيدك الله بما أيد به المرسلين وأمدك بنصر ملائكته المقربين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما دام الكون وحركاته وسكناته.

هذا وإنا قدمنا على الأهل ولله الحمد، وظلكم علينا مسبول، لا زال نصركم يزداد، وعملكم مقبول، ووجدناهم سالمين ولله الحمد. والبابور قدم علينا ببعض ما تفضلتم به، والبعض منتظر بفضلكم، والله المرجو أن يجزيكم عنا بأحسن جزائه، ولم يطرأ في هذه الناحية من خبر يقص عليكم، حفظكم الله. غير أنا بلغنا أن بعض نصارى اندر قدموا على آدرار ووقع بينهم مع أهله من الخبر ما حصل أن المسلمين قتلوا منهم ثلاثة عشر، وهم قتلوا من المسلمين منهم ستة، أروهم الغضب وقالوا لهم إنا ما أرسلناكم لهذا، وأرسلوا لابن عيد أن يرسل لهم قومهم على أن يعطوه شيئا من المال وأرسلوا لابن عيد أن يرسل لهم قومهم على أن يعطوه شيئا من المال، وينكفوا عن بلاده، وإنه فعل، هكذا بلغنا، ولم ندر هل هو هكذا أم لا، والله المرجو أن يمد ظلكم حتى يعمر هذه المسلمين ونواحيها، ويجازيكم عنا بما يحبه وتحبونه بالتمام، وعلى المحبة والسلام.

عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد
فاضل بن مامين غفر الله لهم وللمسلمين آمين
في 2 من جمادى الأخيرة عام 1318هـ .

ملحق رقم : 7

الحمد لله وحده،وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ظل الله على الكائنين خليفة رب العالمين، مولانا أمير المومنين عبد العزيز، أدام الله عزكم بدوام الخافقين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما دام الكون وحركاته وسكناته.

وبعد فقد أشرقت علينا شمس كتابكم المبشر بالإذن في القدوم على الأعتاب الشريفة يوم السبت عند خديمكم بن خوبان، وها نحن نريد القدوم على تلك الطلعة المشرقة يوم الخميس إن شاء الله لا أحرمنا الله منه، ونضرع إلى الله بجاه نبيه وكتابه أن يجعله قدوم خير ويمن وبركة، ويجازيكم عنا بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من كل ما تحبونه بالتمام، وعلى المحبة والسلام.

في جمادى الأخيرة عام 1319 هـ
عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد
فاضل بن مامين غفر الله لهم وللمسلمين آمين

ملحق رقم : 8

الحمد لله، وحده والسلام على أفضل من عبده.

الحضرة العالية بالله تعالى حضرة أمير المومنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما دام الكون وحركاته وسكناته.

بعد قول وفعل ما يليق بذلك الجناب من التعظيم والدعاء والآداب، إنه قد وردت علينا مكاتيب من نحو المرساية السعيدة بجنابكم العالي بالله في شأن شيء من الخبر طرأ فيها وقالوا: إنهم لم يجدوا من يرسلونه بها من ناحيتهم، ونحن يجب علينا إنهاء ما يجب إخباركم به مما لم يجد عنا بدا من الأمر، وها هي مكاتيبهم التي أرسلوا لنا عند حامله بالتمام، وعلى أتم المحبة والمودة والسلام.

عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين غفر الله لهم وللمسلمين آمين سادس عشر شوال 1313.

ملحق رقم : 9

الحمد لله، وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

قرة أعين العالمين، وثمرة أفئدة الكائنين، أمير المومنين.

السلام من الله ورحمته وبركاته عليكم ما دام الكون وحركاته وسكناته. بعد الدعاء لسيدنا بما يحبه من ربنا. إعلامه بأنا وصلنا الأهل ولله الحمد، ونحن مغمورون بنعمكم أدامها عليكم وعلينا بكم، وجزاكم عنا وعن المسلمين بما تحبونه من في الدارين.

ثم ليكن في كريم علم أمير المومنين أنا لما قدمنا على الأهل وجدنا خبر شيخ آدرار، أنه مات عفا الله الله عنا وعنه. والذي كان مرسل إليه من جهتكم أعزكم الله، ها هو عندي وما اقتضى فيه نظركم فإنا نفعله إن شاء الله، ونرجو الله أن يديم حياتكم ويرزقكم ما تحبونه منه، وما نحبه لكم بالتمام، وعلى المحبة والسلام.

**عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين غفر الله لهم وللمسلمين آمين.
في 6 جمادى الأولى عام 1312هـ أرانا الله وإياكم خيره وخير ما بعده، ووقاني وإياكم ضيره وضير ما بعده، آمين.**

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الفقيه الرضى [illegible] الجليل البركة العلامة الفقيه سيدي [illegible]
التعبيسي سلام الله وسلامه عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فقد
بلغنا مرقومك على يد [illegible] الذي فيه [illegible] لي [illegible] من [illegible]
المغربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وسألتنا ان يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
بعد [illegible] حصول السكينة والاستقامة في [illegible] [illegible]
[illegible] بهم [illegible] وصيتهم على [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] السلامة [illegible] [illegible]
وقد [illegible] [illegible] ان يكون [illegible] على [illegible] [illegible]
امورها [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] والاستقامة [illegible] [illegible]
السلامة [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
تنبغي امورهم جارية على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ما يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
المقصود منه [illegible] [illegible] [illegible] كتبنا [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليهم [illegible]

[illegible]

ملحق رقم : 10

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ظل الله على العالمين، مأوى الضعفاء والمساكين والأغنياء والعارفين أمير المومنين، مولانا عبد العزيز، أيدك الله ونصرك، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما دامت رحمته توصف بها جناته، وتظهر على خلقه رحماته وصفاته.

هذا وإنا أتينا ثغركم المحروس بعناية الله بكم، لا زالت تلك العناية منسحبة عليكم، وبلغنا أمناءكم مكاتيبكم بمواهبه علينا فنفذوها كما أمروا، نفذ الله لكم مرادكم في السماء والأرض، وحفظكم من بأس ذوي الطول والعرض، ولا أنا لكم مكروها في الدينا ولا في يوم العرض. ولما نفذوا لنا الدار التي تكرم بها أمير المومنين نظرت فإذا هي لا تصلح عندي إلا لما قصد بها أمير المومنين، نظرت وهو وجهه تعالى والدار الأخرة، فأشهدت من حضر هنا لك من المسلمين أني جعلتها زاوية من زوايا أمير المومنين المتفضل بها علينا، وأخذت لها تلاميذ أهل دين وعلم، وأعطيتهم كتبا، وقلت لهم يعمرونها بطاعة الله ويجعلون فيها أمتعتهم، ويديمون فيها الدعاء لأمير المومنين بمراده بالتمام، وعلى المحبة والسلام.

عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد
فاضل بن مامين غفر الله لهم وللمسلمين آمين
في 20 رجب الفرد عام 1319هـ

ملحق رقم : 11
للشرفاء الرقيبات من السلطان مولاي احفيظ الظهير الشريف المؤرخ بـ 15 شعبان 1325 الموافق لسنة 1905، المتعلق بارتباط قبيلة الشرفاء الرقيبات بالعرش العلوي المجيد

الحمد الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الطابع السلطاني الكبير بداخله

(عبد الحفيظ بن الحسن، الله وليه ومولاه)

كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وخلد في الصالحات طيه ونشره، يستقر بيد ماسكيه المتمسكين بالله تعالى ثم به الشرفاء أهل زاوية الركيبات القاطنين في وادي نون والساقية الحمراء، ويتعرف منه بعون الله وإفضاله أننا جددنا لهم على ما بأيديهم من ظهائر سيدنا الوالد وغيره من أسلافنا الكرام قدس الله أرواحهم ونعم أشباحهم في دار السلام، وأقررناهم على ما تضمنته من التوقير والاحترام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والسعي الجميل المستدام، فلا سبيل لمن يريد خرق عادة عليهم أو يحدث زيادة أو نقصانا في جانبهم، تجديدا تام الرسم نافذ الحكم حسب الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل به ولا يحيد عن كريم مذهبه.

صدر به أمرنا المعتز بالله تعالى في 15 شعبان الأبرك عام 1325هـ.

ملحق رقم : 12

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

شيخنا وقرة أعيينا ومحل اعتقادنا العارف بالله والدال عليه، العلامة الجامع السيد ماء العينين. أيدك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد.

وصلنا كتاب الأعز لدينا وتيمنا بمقدمه علينا متشفعا في إمام التكنى، التماسا لتسريحه، لما له من التعلق واللواذ بحماكم وصار بالبال. أما المسجون فقد سرحناه قياما بالواجب من قبول شفاعتكم والعمل بإشارتكم، ومن اعتمر بحماكم فقد احتمى بحمانا، وقد قدمنا لجلالتكم الربانية كتابا باستقدامكم لحضرتنا الشريفة بعد إعلامكم بما طوقنا الله تعالى به من القيام بأمور المسلمين لاتفاقهم على عقد بيعتنا المؤسسة على الأسس الشرعية، وعليه فلتعجل القدوم علينا بالسلامة والعافية.

ونسألك صالح الدعاء بالإعانة والتوفيق، ونحن على عهد المحبة فوق ما تعمد إن شاء الله، والسلام

في رجب الحرام عام 1325هـ

ملحق رقم : 13

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خديمنا الأرضى القائد الرجراجي الشيظمي. وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فنأمرك أن تقوم بمئونة الشيخ البركة سيد ماء العينين ليلتي مبيته باماست وبثلاثا الحنشان، وتعجل بإنزال ما فيه كفاية له ولمن معه منها بالمحلين المذكورين ولا بد، والسلام.

في 23 رجب عام 1314هـ

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.



خديمنا الأرضى القائد الزهراء الشيظمي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله

وبعد فبحسب أمرنا هذا تقوم بشوفة الشيخ الكيسوما، العبير لبليتي ببينه

بما استند وبه لأنا لحنشا، ونجعل بالنزال ملاحيه كفاية له ولمن معه منها

بالعلية المذكورة والسلام في 23 رجب عام 1314

ملحق رقم : 14

الطابع الشريف

وبداخله عبد العزيز بن الحسن، الله وليه ومولاه

محبنا الأرضى الشيخ الجليل العلامة القدوة البركة سيد ماء العينين سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فإن بعض فساد الشاوية هجموا على الدار البيضاء وقتلوا عددا من النصارى بخارجها، وأثاروا الفتنة بها، وأزالوا السكة التي تقع الاستعانة بها على نقل إقامة البناء لإصلاح المرسى بسبب ما رأوه من جلوس المراقب الفرنصيصي مع أمنائنا بالمرسى للمراقبة على مال السلف الذي اقترضه منهم المخزن في بعض الضروريات على القاعدة الجارية في ذلك من قديم الأعصار، لأن جلوس هؤلاء المراقبين مع الأمناء تقدمت له نظائر في عهد كبير الجد وسيدنا الوالد رحمهما الله للمراقبة على مال السلف الذي كان اقترض منهم وقتئذ، ولما توصلوا به نهضوا لشأنهم، وهكذا هؤلاء بمجرد ما يستوفون مالهم ينصرفون لحالهم كذلك، وكذا السكة التي أزالوها كانت نظيرتها في الرباط حياة سيدنا المقدس للاستعانة بها على نقل إقامة بناء البرج الجديد ثمة وحمل مدافعه من المرسى وغيرها، ولا ضرر على أحد

من المسلمين في ذلك كله، وإنما علتهم الجرأة على ما يوقعون به أنفسهم وغيرهم في المهالك، وقد نتج عن فعلهم الخسيس ما بلغنا تحدث الفرنصيص والصبنيول به من العزم على إنزال عدد من عسكرهم بالدار البيضاء للمطالبة بحقوق قتلاهم وحراسة باقي رعيتهم وأمتعتهم، وفي ذلك إن صح من الضرر على الجميع ما لا يخفى، ولأجله أعلمناك بهذا الحادث الهائل لتكون على بال منه وتعرف بحقيقته أعيان القبائل التي تمر عليها في ورودك على حضرتنا الشريفة، وتشرح لهم ما جناه هؤلاء المفسدون على أنفسهم وعلى المسلمين، وبأنهم كانوا في مندوحة عنه حيث لا ضرر عليهم فيه، ولو كنا نعلمه لدافعناه عنهم بأي وجه أمكن. وعلى كل حال ها نحن جادون الآن في مباشرة هذه القضايا مع الأجانب بما يتعين فيها، سائلين من الله كفاية، فهو سبحانه المعين الكافي، ولا تقصر في تحذيرهم وإنذارهم وتبصيرهم بعواقب الأمور، وحضهم على الاستقامة والضرب على يد أهل الطيش من إخوانهم عسى أن تكون لهم هداية من الله على يدك فتحرز ثواب ما ورد فيها. وقد وجهنا لك بكتابنا هذا حامله يزيدك بالمشافهة تقريرا للمقصود حسبما شوفه به، والله يعينك ويسددك والسلام.

في 28 جمادى الثانية عام 1325هـ

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله



شيخنا وقرة أعيننا ومحل اعتقادنا العارف بالله والدال عليه العلامة
الجامع المصري أبا العباس أيده الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته
وبعد وصلنا كتابك المعرب عن بيعتنا وتيمنا بقدومنا علينا متشبعا واسماء
التكني التماسا للتبرك به لما بدر من التعلق والأولاد بجنابكم وصار
في الباب امتثالا للمحبين فقدر حفظه فينا ما يا الواجب من قبول شفاعتكم
والعمل باشارتكم ومن احتمى بجنابكم فقد احتمى بجنابنا وقد قدمنا
بحلول بيتكم آخرا بنية كتابنا باستقرارنا بحضرتنا الشريفة بعد اعلامكم
بما أوقفنا الله تعالى به من القيام بأمور المسلمين لا تبعاتهم على عقد
بيعتنا الموسسة على الاصول الشرعية وعليه فلتحمل الفرح
قلبنا بالشكر والعافية ونسألك صالح الدعاء بالاعانة والتوفيق
ونحن على عهد المحبة فوق ما تعهد ان شاء الله والسلام في الرجب
الحرام عام 1325 هـ

ملحق رقم : 15

الحمد الله وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا محمد وآله

الطابع الشريف وبداخله
عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد
الله وليه ومولاه

قطب رحى الاعتقاد وكعبة كل محبة ووداد شيخنا ووسلتنا إلى ربنا، الصادق الرباني الواصل الصمداني القرباني النافع، العلامة الجامع سيدي ماء العينين، بعد أداء ما يجب لجانب السيادة الجليلة والتبرك بمناجاته الجميلة وصلني كتاب السيادة العرفانية جوابا عما كتبناه له، إعلاما بما من الله به على المسلمين من نصر راية الإسلام وشرحتم أبقى الله فضلكم وبركتكم ما حصل لكم من الفرح والسرور، وبذلك وفق ما كنت ترجوه وتأمله لنا وأعلمتم بتوجيهكم المقدم لسيد محمد بن امبارك للمشافهة معنا، بما لا يسعه القرطاس، ودعوتم لنا بما هو ببركتكم محقق الإجابة إن شاء الله تعالى ووصل المقدم المذكور وسمعنا منه سائر ما حملته، وصرنا من الجميع على بال.

ولتعلم سددك الله انه وضع سيادة الدولة الإسلامية ما أشرفت به على أن تصير خبرا بعد عين ساهرة الجفن والعين حتى صارت في الوهن للغاية القصوى التي لا مزيد عليها ولا من يرق

للمسلمين ولا من يرعى حرمة الإسلام فيهم ولا حقوق التكليف بهم ولا غيرة الوطنية ولا وجها من الوجوه، وذلك أن العدو استولى على مدينة وجدة ودخلها بأعماله الرومية وتمدناته العجمية، وأصبحت كأنما هي قطعة من برار الأجانب، وتأثر المسلمون لذلك واغتاظوا اغتياظا كبيرا، وما وجدوا من يكون في عونهم ولا من يذب عنهم صولة الكافر، وبقي الناس معلقين بشعرة الانتظار رجاء استخلاص وجدة من استيلاء أولائك الفجار وخوفا من البقاء على السكوت حتى تأتي يد العدو على كافة بلاد المغرب محلا محلا ويتعذر الخلاص والاستخلاص ويعظم الداء، وبينما المسلمون في ذلك الرجاء بين طمع وإياس إذ عمد العدو لإنشاء سكة الحديد بالدار البيضاء فأذهلت الناس برؤية ذلك وسماعه، وازداد همهم وغمهم واشتد جزعهم وفزعهم وتزايد كربهم وتضاعف حزنهم، وتوالى واستنكفوا من ذلك غاية واشمأزت نفوسهم لمشاهدتهم ما لم يشاهدوه قط ولا خطر وقوعه في بالهم ببلاد المسلمين من أجزاء أثار الكفر مجرى مئاثر الإسلام وتأسيس الأجانب هناك أمورا تؤذن بتسليم البلاد لهم، فحملتهم الغيرة الإسلامية والفطرة الإيمانية على الإنكار عليهم مما يفعلون إنكارا أدى إلى قتل بعض الأجانب وعن قريب ضبط بعض عسكرهم لمحاربة المسلمين، فنصر الله الإسلام، وقتلوا منهم ما قتلوا بعمد العدوان في المدينة، ودخلها استطالة وقهرا وقوة .وقتل منهم ألوفا عديدة من المسلمين، وضاعت سائر الأموال والمتمولات التي بها وانهدت سائر بلاءاتها وأركانها،

وصارت قفرا وخرابا بعد عمارة، وما تحركت نفس من كان بأمور المسلمين لذلك ولا انزعج ولا قام لإزالة هذا الضغط عن الإسلام والحرج، واستغاث المسلمون وتجرعوا كؤوس المرارات والأواء ثم شرهت نفس العدو والكافر للاستيلاء على بقية الثغور ومراكش وفاس، وعظم الحال على المسلمين أكثر مما كان كأنما انقضت عليهم السماوات من شدة ما أصابهم من الكرب والهول، وعظم الفجع، فما جوافي بعضهم بعضا ولم تقلهم من أرضهم أرض، فاجتمع سائر أعيان هذه الحاضرة المراكشية المصوتة بالله وكبراؤها وولاتها وعلماؤها وقضاتها وأهل الحل والعقد منها، وتفاوضوا في القضية وتراءوا فيها وردوا الأمر والنظر في علاجها إلى العلماء منهم، حيث لم يقم ذاك الذي كان مقلدا بالواجب من الدفع والذب عن المسلمين لكل ما يؤثر خرقا في نظام استقلالهم وانحلال استبدادهم ولو بالمحاققة مع الجنس المترات عند غيره من الأجناس على مقتضى الشروط المقررة المعروفة، وذلك أضعف الإيمان، وحيث وقع السكوت له على ذلك كله دل على أنه مأمور فيما يفعل، فأفتى العلماء بوجوب خلع ذلك المقلد لعدم كفايته وبلزوم نبذ طاعته، ما دام هذا الرمق باقيا بالمغرب، واتفق هؤلاء المسلمون على عقد بيعتنا وجمع كلمتهم علينا وأجبنا دعوتهم قياما لما يجب، ولا زالت القبائل والوفود تتوارد على حضرتنا العالية بالله دخولا في أمر الجماعة وأداء الواجب الطاعة، ونحب أن تعجل بالقدوم علينا، إذ أنت الصدر المتقدم والعمدة والقدوة للاتباع، وإياك والتأخير فإن هديك يقتدى، وما نحن وجهنا لك

كاتبا من أعيان كتاب حضرتنا العالية بالله وقائد رحى ومن معهما من الخيل للإتيان صحبتك ومرافقتهما بالطريق تعظيما لمقدار جلالتك المباركة الميمونة التي يتشوق للاهتداء بمنارها كل مومن عاقل ونبيه فاضل. وتعلم سيدي أن تأخرك عن القدوم مع هذا كله هو علامة كبيرة في جمع المسلمين، لكونك والحمد لله كعبة اقتداء ومحجة اهتداء لا يناسب جلالتك الجليلة إلا التقدم وعدم التأخر لئلا يقتدى بها الغير، ويختل نظام الاجتماع، وذلك هو منى العدو وأمنيته. وظن المسلمين بك والحمد لله هو أن تعين على جمع كلمتهم بسائر ما يمكنك قولا وفعلا وحالا وكلها منكم لله المنة دلالة وإرشاد وهدي لسواء السبيل، واستبداد ونسألكم صالح الدعاء في حركاتكم وسكناتكم، ونحن بحول الله على عهدكم لا نزول وعن اعتقادكم لا نلتفت ولا نحول سائلين منه سبحانه الثبات على ذلك وعلى العهد والكمال به وكمال الود، والسلام.

في 17 رجب الحرام والفرد عام 1325هـ

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله



[illegible] ورده وشيعتنا ونسلتنا الى محبنا العارف الرباني
الواصل [illegible] العلامة [illegible]
[illegible] السيادة الجليلة [illegible] الجميلة [illegible]
[illegible] على المسلمين من نصر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible]
[illegible]
[illegible]

ملحق رقم : 16

الحمد الله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا

حفظ الله جناب سيدنا وسندنا قطب الثقلين الشيخ الأكبر شيخنا سيدي ماء العينين، وسلام على رفيه مقامك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد :

فإن أهم ما نرجو من فضلك وامتنانك هو أن تشرفنا بقدومك السعيد علينا للتيمن بطلعتك المباركة والتوثق بعرى حبك المديد، إذ لا يعزب على بصيرتك النورانية الصافية ما ينبني على قدومك السعيد من المصالح العمومية العائد نجاحها علينا وعلى المسلمين ببركتك إن شاء الله، بخلاف ما إذا لم تعرف وجهة العناية لنا حينما فلا يخفاك ما ينبني عليه من التأسي بسيادتك في ذلك، لاسيما بعض المتعصبين، والمقصود هو جمع كلمة الإسلام على مافيه صلاحهم، ولمثل هذا أعددناك عدة وكهفا حصينا وركنا شديدا متينا، ولا محالة أنه تعالى يكمل رجاءنا في سيادتك ويبلغنا ببركتك المأمول من القيام بأعمال مصالح المسلمين، وهانحن في انتظار طلوع محياك السعيد علينا.

فدارك دارك يا شيخاه وعلى صميم المحبة والخدمة طالبا رضاكم وصالح أدعيتكم، والسلام.

في 19 رجب عام 1325هـ

عبد الحفيظ خديمكم

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

حضرة الجناب الفخيم وسندنا قطب الكمالات السني الأكبر سيدنا [illegible]
وسلام على رفيع مقامكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فإن أهم ما نرجوا من فضلكم
والامتنان هو ان تشرفونا بقدومكم السعيد علينا للتيمن بطلعتكم المباركة
والتوثق بعرى حبلكم المتين إذ لا يعزب على بصيرتكم النورانية الفائقة
ما ينبني على قدومكم السعيد من المصالح العمومية العائد نفعها علينا
وعلى المسلمين ببركتكم ان شاء الله تعالى خلاف ما إذا لم تشرفوا وجهة [illegible]
لنا حينئذ فلا يخفاكم ما ينبني عليه من التأنيس بسيادتكم في زوال الشبهة
بعض المتعصبين والمقصود هو جمع كلمة الإسلام على [illegible] والمسلمين
هذا الغرض [illegible] وكيفما حصلنا [illegible] مستقبلا والأحوال الآن
انه نعلن [illegible] بسيادتكم ويلتقي [illegible] من
بالعلماء [illegible] المسلمين [illegible] انتظار [illegible] الشعر [illegible]
[illegible] وعلى [illegible] والخير [illegible] وصلى الله [illegible]
والسلام في ١٠ رجب سنة 1325 عمر المختار [illegible]

ملحق رقم : 17

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الطابع الشريف، وبداخله
عبد العزيز بن الحسن، الله وليه ومولاه

محبنا الأرض الشيخ الجليل البركة العلامة القدوة سيد ماء العينين سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد.

فقد بلغنا قدومك على حضرتنا الشريفة وقصدك أياما على عوائدك المحبوبة عندنا فابتهجنا لذلك وحصل لنا سرور بورودك، وأملنا أن يكون كفيلا بكل خير، ودافعا لكل ضير، ومصحوبا بكل مراد من حصول السكينة والاستقامة في القبائل الذين هاجمت بهم الفتنة وماجت وصيرتهم على خطر أو كادت، فمرحبا بك وأهلا تصاحبك السلامة وتنادمك الكرامة، وقد اقتضى نظرنا الشريف أن يكون مرورك على مراكش أولا لتفقد أحوالها وتقاس أمور القبائل المجاورين لها لتعلم ما هم فيه وتتخللهم بمواعظك المفيدة ونصائحك النافعة وتحضهم على مزيد التمسك بحبل الصلاح والاستقامة لتدوم عليهم نعمة السلامة وتشافههم بما يسكن اضطرابهم ويجمع على المراد منهم

اختلافهم ويوقظ أعينهم لرد البال لأهل الطيش من إخوانهم لتبقى أحوالهم جارية على النهج القويم والسبل المستقيم، ولا يحدثوا في بلادهم ما يكون لتحريك الفتنة سببا طبق ما قررنا لك المقصود منه في غيرك، والله المستعان. وها نحن كتبنا لأخينا مولاي عبد الحفيظ والأمناء تنفيذ عوائدك في النزول والمؤونة والعلف، وأكدنا عليهم في مزيد الاعتناء والبرور، وها مكاتبنا الشريفة لهم بما ذكر تصلك صحبته، والله يصحبك بالحفظ والتيسير في المقام والمسير، والسلام.

في فاتح رجب الفرد الحرام عام 1325هـ.

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا [illegible] الجليل [illegible] العلامة [illegible]

[illegible] وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد

بلغنا [illegible] على [illegible]

المحبوبة [illegible] وحفظنا [illegible]

وأملنا ان يكون [illegible]

[illegible] حصول السكينة والاستقامة في القبائل [illegible]

[illegible] العيشة [illegible]

[illegible] السلامة [illegible]

[illegible] ان يكون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والاستقامة [illegible]

السلامة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

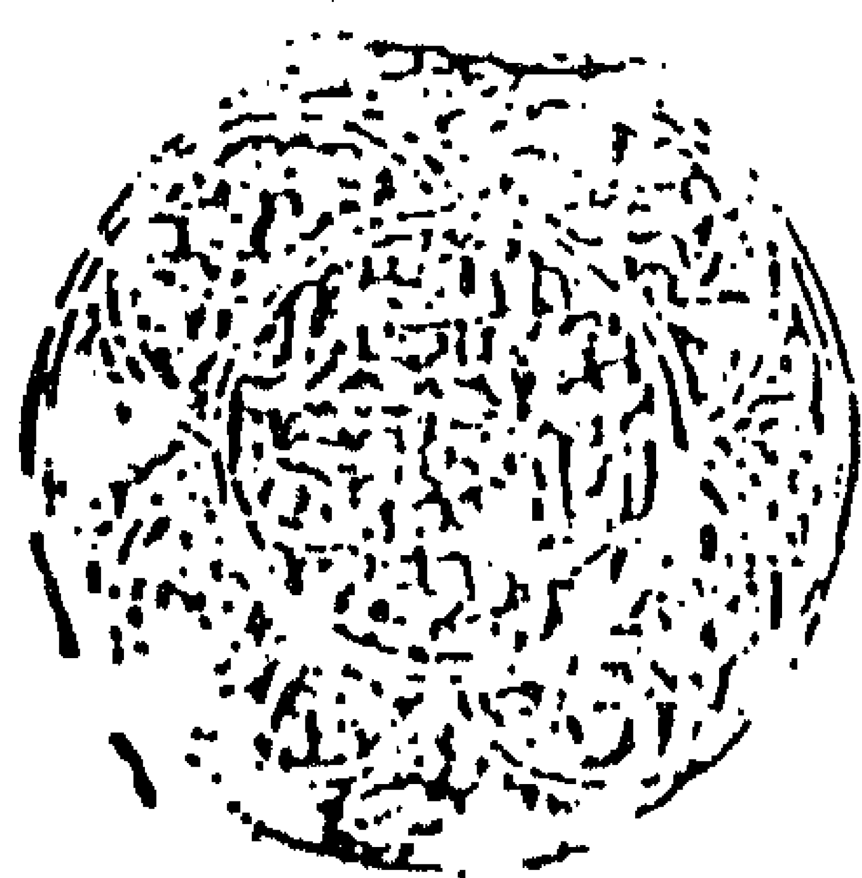
المقصود [illegible]

[illegible]

ملحق رقم : 18

الظهير الشريف المؤرخ بـ 15 شعبان 1325هـ الموافق لسنة 1905م، المتعلق بارتباط قبيلة الشرفاء الرقيبات بالعرش العلوي المجيد

[illegible] وصلى الله [illegible]



كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وخلد في الصالحات ذكره يستقر بيد حملته

ما بعد المتمسكين بالله تعالى ثم بجاه الشرفاء أهل زاوية الركيبات الفاكيين

بوادي نون والساقية الحمراء ويتعرف منه بعون الله وإمداده أننا جددنا لهم ما

بأيديهم من ظهائر أجدادنا الأمراء وغيرهم من أسلافنا الكرام قدس الله أرواحهم ونعمتهم

بإباحتهم في دار السلام وأقررناهم على ما تضمنته من التوقير والاحترام والحمل على كاهل

المبرة والإكرام والرعي الجميل والاحترام بالسبيل الذي بيدهم [illegible]

زيادة أو نقص في جانبهم تجديدا تاما [illegible] بحسب الواقف عليه من [illegible]

[illegible] المعمر بالله تعالى

في 15 شعبان الأبرك عام 1225

إسماعيل

نماذج من رسائل بعض قادة الصحراء ونماذج كذلك من بعض الظهائر المعين بها البعض من مسؤولي الصحراء المغربية

1 – رسالة من القائد إبراهيم الثكني إلى السلطان مولاي عبد الرحمان مؤرخة في 1 ذي القعدة 1263 (11/10/1847).

2 – رسالة من السلطان مولاي الحسن الأول إلى القائد محمد ابن الطاهر الدليمي مؤرخة في 7/4/1886 – هكذا الاسم الموجود بالوثيقة.

يأمر بالبحث عن نصارى قذف البحر بسفينتهم في الشواطىء الصحراوية وعندما يعثر عليهم يسلمهم حالا لخليفة السلطان، الصفحة 116 من كتاب السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية لمؤلفه محمد بن عزوز.

وقد أرسل إلى القائد دحمان بن بيروك رسالة سلطانية تماثل تلك الرسالة شكلا وجوهرا.

3 – رسالة إلى السلطان مولاي الحسن الأول إلى الباشا حم ابن الجيلاني مؤرخة في 17/7/1882هـ.

4 – ظهير السلطان مولاي الحسن الأول يسدل به أردية التوقير والاحترام على مجاط بالساقية الحمراء مؤرخ 24/6/1875 الصفحة 89 من نفس الكتاب.

5 – ظهير السلطان مولاي الحسن الأول يسدل به أردية التوقير والاحترام على أهل بن الأعمش من تجاكنت مؤرخ 1886/5/26.

6 – ظهير السلطان مولاي الحسن يسدل به أردية التوقير والاحترام على الطالب إبراهيم بن امبارك الزركي مؤرخ في 1886/5/28هـ.

7 – ظهير السلطان مولاي الحسن الأول يرتب به أجرة شهرية للشيخ ماء العينين إعانة له على ما يقوم به من بث العلم ونشره مؤرخ في 29 أبريل 1887هـ.

8 – ظهير السلطان مولاي الحسن الأول يولي به محمد بن لحبيب التيدراريني قائدا على قبيلة أولاد تيدرارين مؤرخ في 1890/12/5.

9 – رسالة الشيخ ماء العينين بتاريخ 19 جمادى الأولى 1323هـ (1905/7/22).

نشرت لأول مرة بمجلة العالم الإسلامي الفرنسية بباريس مجلة سنتي 1915 – 1916. صفحة 210 ثم نشرت بمجلة صحراء المغرب عدد 54 صفحة 16.

10 – ظهائر السلطان مولاي عبد العزيز عين بمقتضاها ثلاثة عشر قائدا على قبائل الصحراء المغربية في الأقاليم الصحراوية صفحة 221 لمؤرخه محمد بن عزوز.

11 – رسالة من الشيخ ماء العينين إلى السلطان مولاي عبد العزيز ألحقت صورتها مع الترجمة الفرنسية بالملف، المغربي أمام

محكمة العدل الدولية تحت عدد 82 تتناول طرد السكان بإقليم واد الذهب للإسبان امتثالا للأوامر السلطانية الصادرة لهم بذلك من مولاي عبد العزيز بتاريخ 2 رمضان 1321هـ، 1903/11/22.

12 - رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز إلى قبيلة ازركَيين أولاد دليم بتاريخ 1903/3/25 نشرت لأول مرة صفحة 205 من كتاب السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية لمؤلفه محمد بن عزوز.13 - ظهير السلدان مولاي عبد العزيز يكلف بمقتضاه القائد محمد الأمين بن امبارك ومحمد الأمين بن اعل بن عبد الله بحراسة بعض الشواطيء الصحراوية مؤرخ في 14 رمضان 1314هـ (1897/2/16).

14 - ظهير السلطان مولاي عبد العزيز يولي به محمد الأمين ابن أعل التكني قائد على أولاد موسى ولعبيات وولاد اعل من قبيلة أولاد تيدرارين بالصحراء المسترجعة مؤرخ في 3 رمضان 1316هـ (1899/1/15).

15 - ظهير السلطان مولاي عبد العزيز عين بمقتضاه إبراهيم بن امبارك الزرقي اشتوكي قائد في الصحراء المسترجعة مؤرخ في 23 ربيع الأول 1317هـ (1899/8/1).

16 - رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز إلى القائد محمد الأمين بن عبد الله التكني الحسني مؤرخة في 1900/9/24.

17 – ظهير السلطان مولاي عبد العزيز يكلف بمقتضاه القائد إبراهيم بن امبارك اشتوكي التكني من قبيلة ازرقيين بحراسة الشاطىء الصحراوي الممتد من طرفاية إلى رأس بوجدور.

مؤرخ في 20/4/1901.

18 – ظهير السلطان مولاي عبد العزيز يعين بمقتضاه القائد بابا أحمد بن سيد يوسف الزرقي التكني ناظرا على قواد قبائل إزرقيين مؤرخ في 7 شعبان 1319هـ موافق 19/11/1901.

19 – رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز إلى القائد محمد الشيعة التكني مؤرخة 1/6/1908.

20 – ظهير شريف مؤرخ بـ 15 شعبان 1325 موافق 1905 يجدد فيه السلطان مولاي احفيظ للشرفاء الرقيبات ما بأيدهم من ظهائر سيدنا السلطان مولاي الحسن الأول وغيره من أسلافه الملوك العلويين الكرام قدس الله أرواحهم ونعم أشباحهم في دار السلام.

خاتمة أسأل الله حسنها

البيعة في الإسلام لأولياء الأمر هي أقوى رابطة تشد أفراد الأمة بالخليفة على اختلاف طبقاتها. فالمسلم الحق يخلص لمن ولاه الله أمره.

ومن المعلوم أن المبايع من المفروض فيه أن يرعى مصالح الرعية ويحفظ كرامتها ويدافع عن حياض عزها ويصون قيمها ويبني حاضرها ويعمل على ازدهار مستقبلها ويذب عنها وينشر العدل بين أفرادها، لا فرق عنده في تطبيق العدالة بين شريفها ومشروفها غنيها وفقيرها، كل همه الذي يشغل باله هو أن يسود العدل ويعم الإنصاف وتشوى آصرة الإخاء حتى يطمئن الكل على حاله تغمره الثقة ببناء أمته ويسود مشاعره الإيمان بصلاح أجيالها الصاعدة لما يلمسه ويشاهده من السهر الدؤوب على القيام بما يقدم ولي الأمر للأمة من أعمال بناءة.

وبالمقابل فإن الشعب عليه أن يسوده الامتثال وتعمه روح الطاعة، ويتحلى بالوفاء وحب ولي الأمر بظاهره، ويخلص له بباطنه، يرى أن في طاعته طاعة الله ورسوله فلا يعصي له أمرا ولا يرد له طلبا. ويصهر جميع حركاته وسكناته في الامتثال المطلق لمن ولاه الله شؤونه مقتنعا أن الانصياع لتوجيهات قائد أمته يخدم مصلحة الشعب، وفي الوفاء له وعدم التردد في الامتثال لما يصدر عنه طاعة لله. لقوله عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم :

من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني، زيادة على ما في عدم الاعتراض من المحافظة على النظام الذي به تصلح الأمم وتصل إلى مدارج الرقي ومقامات الكمال.

كما يجب على المسلم عدم الاعتراض على قائد الأمة وولاته الممثلين لأمره المخلصين لتوجيهاته.

فبالاستجابة لما يصدر عنه ينتظم شمل الأمة وتتحد صفوفها وتتضافر جهودها سواء في ذلك كبيرها وصغيرها.

فعلى الجميع الوفاء لمقتضيات البيعة سواى في ذلك الكبير والصغير الذي لم يبلغ سن الرشد، فالرسول ﷺ قبل بيعة عبد الله بن الزبير، وكان ابن سبع سنين، وفي ذلك كناية على أن الكل يجب عليه أن ينخرط في سلك النظام، فكما أن له حق فعليه واجبات، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

فعلينا أن نعض بالنواجذ لما يدعو له الإسلام ويرشدنا للأخذ به، فقد اخترنا هذا الدين عقيدة والتزمناه سلوكا عن طواعية وبدون إكراه فلنتحلى بما يدعو له.

قال جلالة الملك الحسن الثاني معتزا دام علاه بسلوك الشعب المغربي الإسلامي : (المغرب منذ زمان وقرون قد اختار معسكره وهو التشبث بالدين، فمن المستحيل أن نكون ملحدين أو ماركسيين، وإنما اخترنا أن نكون ونبقى ونموت مسلمين إلى أن تقوم الساعة).

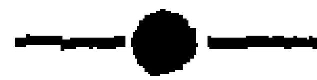
﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مومنين﴾، سورة الأنفال.

وعن ابن عباس وهو حديث متفق عليه : «من رأى من أميره شيئا فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، مات ميتة جاهلية.

وفي الصحيح : أطيعوا السلطان وإن كان عبدا حبشيا رأسه زبيبة.

وفقنا الله لما يرضيه في الدنيا والآخرة، إنه ولي التوفيق.

الشيخ ماء العينين لا رباس





البحث الحادي عشر

بيعة العقبة

لفضيلة الأستاذ محمد المختار ولد اباه

العيون

10. 11. 12 صفر الخير 1415هـ ● 20. 21. 22 يوليوز 1994م

البحث الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بيعة العقبة

لفضيلة الأستاذ محمد المختار ولد اباه

عرف الإسلام على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام عدة بيعات اشتهرت منها ثلاث. بيعة المومنين تحت الشجرة في الحديبية، وهي التي رضي الله عن أهلها وأثابهم عليها فتحا قريبا. فكانت تتويجا للهجرة والجهاد، وبشارة باستكمال دين الإسلام، وإتمام النعمة على أهله.

وقبل بيعة الرضوان بيعتان أخريان كان لهما بالغ الأثر في تاريخ الإسلام، إنهما بيعتا العقبة، اللتان قدم فيها الأنصار ميثاق العهد الإسلامي.

وسنرى مضامين هذا الميثاق الإسلامي الأول، فهو الدستور الذي صودق عليه في مرحلتين : إحداهما بيعة العقبة الأولى وقد شبهت ببيعة النساء المذكورة في القرآن الكريم، وأخراهما بيعة العقبة الثانية التي تأسست فيها أصول الدولة الإسلامية، ورست قواعدها الخالدة.

ولنلق نظرة سريعة على هذه الأسس، بالمقارنة مع نظريات الملك عند بعض مفكري المسلمين.

يقول الماوردي : إن قواعد الملك مستقرة على أمرين : سياسية وتأسيس. فأما تأسيس الملك فيكون في تثبيت أوائله ومبادئه وإرشاد قواعده ومبادئه وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

تأسيس دين، تأسيس قوة، وتأسيس مال وثروة.

فأما تأسيس الدين فهو أثبتها قاعدة، وأدومها مدة، وأخلصها طاعة. وأما التأسيس بالقوة فقد يتحول بالعدل والسيرة الجميلة إلى ملك طاعة وتفويض، وأما تأسيس المال فهو أوهى هذه الأسس لأنه من ودك لأمر ولى مع إنقضائه.

أما سياسة الملك بعد تأسيسه فإنها تشتمل على أربعة قواعد وهي : عمارة البلدان، وحراسة الرعية، وتدبير الجند، وتقدير الأموال.

غير أن نجاح السياسة يتوقف على صحة قواعد التأسيس.

ولقد كان لابن خلدون تصور معروف في نشأة الدولة وتطورها، فكان يرى أنها تبتدئ بقوة العصبية معتمدة على البسالة في الحرب، والحرص على الاشتراك في المجد. لكنها لا تلبث في طورها الثاني أن تستقر أركانها فيقع الميل إلى الترف والدعة، والتفرد بالحكم، ثم يدب فيها الهرم بحسب التراخي في الأمور والإسراف في التبذير، ثم يلحقها الضعف والهوان بعد فترة لا تتجاوز نحوه مائة وعشرين سنة.

لكن الذي يبدو أن التحليل الخلدوني هنا ينطبق على الدولة التي أقيمت على أساس القوة والمال، ولذلك فإنه استدرك قائلا :

«إن الدولة العامة الإستيلاء، العظيمة الملك، أصلها الدين، إما من نبوة أو دعوة حق، لأنه الملك إما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة، وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه، قال تعالى: ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم**﴾.

وإذا انصرفت القلوب إلى الحق، وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف، وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة لذلك فَعَظُمَتْ الدولة». فالدعوة الدينية عنده تزيد الدولة قوة في العصبية التي تعد من قبيل حمية الجاهلية، والدعوة الدينية اتحاد وتضامن، وجهاد لإعلاء كلمة الحق فحينما مرت كتائب جيش النبي ﷺ أمام أبي سفيان يوم فتح مكة، قال للعباس، لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما، فرد عليه أبو الفضل قائلا : ويحك، إنها النبوءة.

- أسس الدولة الإسلامية :

وهكذا، فإن الدولة الإسلامية تستمد شرعيتها من مراد الله من عبيده ليكونوا أمة التصديق والإيمان.

ومنطلق نظام الأمة هو الإيمان برسالة من يختاره الله، والله أعلم حيث يجعل رسالاته. وقد اختار جلَّ وعلا محمدا عليه الصلاة والسلام رسولا من أنفسهم، حريصا عليهم، بالمومنين رؤوف رحيم، فجعله شاهدا عليهم، ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله

بإذنه وسراجا منيرا، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وعلمه مالم يعلم وكان فضل الله عليه عظيما، فجعل الإيمان أساس دولته، الشريعة نظامها السياسي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس.

ثم جعل الباري تعالى الخلافة في الدولة أمانة في أعناق الأمة فاستخلفهم في الأرض وكلفهم بطاعته، وبطاعة رسوله وأولي الأمر منهم، وأمرهم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي.

أمرهم أن يكونوا رحماء بينهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعظمون شعائر الله.

ولقد لخص جعفر ابن أبي طالب هذه التعاليم في مناظرة مع عمرو بن العاص أمام النجاشي حينما قال :

«كنا قوما على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسيء الجوار، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئا ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام، وحسن الجوار والكف عن المحارم، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

ولكي تستمر الرسالة، وتنتظم الخلافة، أوجب الله سبحانه بيعة إمام يتحمل أمانة قيادة الأمة ويسهر على سياسة الدولة، وفقا للمبادىء التي أقرتها الإرداة الإلهية والتعاليم النبوية. ثم أوجب على الأمة طاعته في كل معروف، وبذل النصيحة، التعامل معه بالصدق والأمانة.

ولنعد إلى مضامين بيعتي العقبة لنرى أنهما أرستا هذه القواعد.

لقد تضمنتا عشرة بنود، ستة منها في البيعة الأولى، فيقول راوي البيعة الأولى : بايعنا الرسول ﷺ :

- أن لا نشرك بالله شيئا.
- وأن لا نسرق.
- وأن لا نزني.
- وأن لا نقتل الأولاد.
- وأن لا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا.
- وأن لانعصيه في معروف.

أما البيعة الثانية فإن بنودها أربعة: وهي البيعة على :

1) السمع والطاعة في النشاط والكسل.

2) النفقة في العسر واليسر.

3) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

4) نصر الرسول ومنعه إذا هاجر مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم. ونلاحظ التكامل بين مضامين البيعتين، فالأولى كلها اجتناب ما نهى عنه والثانية امتثال كل ما أمر به.

ففي الأولى انسلاخ من أعمال الجاهلية الأولى من عبادة الأوثان وأخذ الأموال بغير حق، وارتكاب الفواحش ووأد البنات، والافتراء على الله وعلى الناس ومخالفة التعاليم النبوية.

وفي الثانية امتثال أوامر الشريعة في جميع الحالات، وبذل الصدقات، والقيام بتنظيم المجتمع المسلم بالدعوة والإرشاد إلى ما هو معروف وخير، والابتعاد عما هو منكر وشر.

وأخيرا القيام بواجب الجهاد وحماية الرسول عليه الصلاة والسلام حتى يبلغ رسالة ربه إلى أمته.

إن أهميته هذا الدستور الذي أوحى الله به إلى نبيه يدعونا إلى محاولة التعرف ولو بإختصار على أولئك الذين قيضهم الله ليكونوا أول من صادق عليه.

إن أهل هذه البيعة بمثابة أول جمعية تأسيسية في الإسلام. وقد قام أعضاء هذه الهيئة بأدوار تاريخية في فجر الإسلام، فكان منهم نقباء يرأس كل منهم فريقه ويضمنهم جميعا، وعددهم نيف وسبعون، من بينهم امرأتان ممن ترضون من المبايعات. وهما المجاهدة أم عمارة، نسيبة بنت كعب بن عمرو ابن عوف المازنية وهي والدة حبيب الذي استشهد على يد مسيلمة الكذاب، وأم منيع، أسماء بنت عمرو بن عدي السلمية.

أما النقباء الإثنا عشر، فهم قادة الهيئة وحماتها، انتخبهم ذووهم بترشيح من الرسول عليه الصلاة والسلام وتزكية من روح القدس عليه السلام، وكان من أولهم مبايعة أسعد بن زرارة النجاري، صاحب رسول الله ﷺ الذي شهد اللقاء الأول والعقبة

الأولى، تـوفي قبل بدر بقليل، وكـانﷺ وصيـا على بنات وراعيـا لأهله، ومع أسعد هذا ثلاثة سعود، وهم : سعد بن الربيع شهيد أحد، وسعد بن عبـادة الساعدي الذي أسرته قـريش بعد البيعة، وكـاد أن يقتل، وهـو الذي بـويع أبـو بكر الصـديق في سقيفتـه المشهورة، وثالثهم سعد بن خيثمـة القوفلي، ومن النقباء عبد الله بن رواحة شاعر الجهاد وشهيد مؤتة..

وعبد اللـه بن عمرو بن حـرام أبو جـابر شهيـد أحد، ومنهم عبادة ابن الصامت وهـو من أجل رواة حديث النبي ﷺ، ومنهم البراء بن معرور الذي صلى إلى الكعبة قبـل نزول ءايات تحويلها من الشام، ومنهم المنـذرين عمرو الذي أعنق ليموت شهيـدا يوم بئر معـونة. ومنهم المضيـاف أبو الهيثم ابـن التيهان وأسيد بن حضير، الذي كان نوره يمشي بين يديـه في الدنيا، ورافع بن مالك الذي كان من أوائل المبايعين.

ومن مشاهير أعضاء هذه البيعة المبـاركة من غير النقباء نذكر أربعة اختصوا بأنهم كـانوا من المهاجرين والأنصـار أيضا. ومن هـؤلاء عقبة بن وهب بن كلـدة، والعبـاس بن عبادة من نضلـة، وذكوان بن عبـد قيس، وزياد بن لبيد، كما نذكـر من أهل البيعة أبا أيـوب الذي نزل النبي ﷺ في بيته في المدينـة، وزيد بن سهل المعروف بأبي طلحة الذي أنفق مـالا رابحا في بيرحاء، وقيس بن أبي صعصعة أمير الساقـة يوم بدر، وأبو بـردة صاحب العناق، وعبـد اللـه بن جبير أمير الـرماة يـوم أحـد، والمطهـر عـويم بن ساعدة، وبشر بن البراء بن معرور الـذي أكل الشاة المسمومة في

خيبر مع النبي عليه الصلاة والسلام، وعبد الله بن زيد الذي رأى الأذان في النوم، وخلاد بن سويد صاحب أجر الشهيدين، والشاعر كعب بن مالك الذي نزلت توبته في القرآن الكريم مع الذين خلفوا.

هاهم هؤلاء بعض أقطاب هذه البيعة التي أقرت مواثيق دولة الإسلام الخالدة، وشروا أنفسهم لحمايتها في مهدها، ثم تتوالى وقائع النصر لدولة الإسلام في غزوات الرسولﷺ وسراياه، وينجز الله له عهده، ويهزم أحزابه وحده.

وعندما التحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى كانت هذه الدولة بسطت ظلها على الجزيرة العربية، وحمل الخلفاء والأئمة بعده عهد الأمانة، فتلاحقت الفتوح، وانتشر نور الإسلام إلى جل المعمور في الأرض، واستمر عقد البيعة في ذلك العهد إلى اليوم أساسا لبناء النظام الإسلامي، ويستمر خلوده متمثلا في ميثاق البيعة في المملكة المغربية، مصداقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم» ولقد سعد حظها اليوم ببيعة أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله الذي حرص هو وشعبه المسلم أن يكون دستور دولته امتدادا لهذه البيعات، فهو أحق بوصف البحتري لبيعة المتوكل حيث يقول :

اليوم أطلع للخلافة سعدها
وأضاء فيه بدرها المتهلل

حتى أتتـه يقـودهـا استحقـاقـه
ويســوقهـا حـق إليـه مقبل
عن بيعــة إن لم تكن عقيبــه
فهي التي رضي الكتــاب المنــزل
لم تنصرف عنها النفوس ولم تزغ
فيهـا القلـوب ولم تـزل الأرجل

ذلك أن النموذج المغـربي يقدم لنا اليـوم أصدق مثال للـدولة الإسـلامية في مفهـومها الـديني الأصيل، فاستمـراريتها، ونظـام البيعة فيهـا، ومضامين دستـورها، كل هـذه براهين سـاطعة على استيفائها لشروط دولة الإسلام.

فمنـذ أكثـر من اثني عشر قـرنا تعـاقبت على عـرش المملكـة المغـربية دول تأسست كلهـا على دعوات الحق ونصرة الإسـلام. بدأت بأشراف الأدارسة حماة الحق النبوي في الإمامة، وتجددت في عهد الجهاد والـرباط، وعنـد دعـاة الوحـدة والتوحيـد، وتجلت حضـارتها الإسلامية أيام بني مرين، والسعديين.

وحين تقلد الشرفاء العلويون أمانتهـا وحملوا مشعلها ولواءها ثبتوا قواعـد الملك على هدي الإسلام، وأصوله ومبـادئه، فحافظوا على إعـلاء كلمة اللـه وحماية دار الإسـلام، فـرابطوا في الثغـور، وكـافحوا قـوة الغـزاة وهجمات الاستعمار إلى أن أعادوا للمغـرب سيادته الكاملة على أرضه الطاهرة، ولا يزال المغرب يكتب بأسطر من نـور، جهاد بطل التحـرير محمـد الخامس قدس اللـه روحه، وجهاد خليفته ووارث سره جلالة الحسن الثاني أيده الله ونصره.

وبعد الاستقلال قام المغرب بتجربة فريدة من نوعها، وهي الملاءمة التامة بين التمسك بثوابت الدولة الإسلامية، والأخذ بمقتضيات العصر الحديث، فالسعي إلى امتلاك الوسائل التكنولوجية، وإشراك النساء بصفتهن شقائق الرجال، في ميادين العمل التنموي، لم يحل دون التشبث بمقومات دولة الإسلام.

فالمغرب هو البلد الوحيد اليوم الذي يحمل فيه رئيس الدولة صفة أمير المؤمنين، ومواثيق الدستور المغربي جعلت هذا التشبث من ثوابت نصوصها الإسلامية.

فالتصدير الوارد في دستور 1962 نص على أن المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، لغتها الرسمية هي اللغة العربية، وهي جزء من المغرب الكبير، ولقد أُثبت هذا النص حرفيا في دستور 1970 و 1972 و 1992، كما أن الفصلين السادس والتاسع عشر بقيا ثابتين في النصوص الثلاثة. ففي السادس منها نرى أن الإسلام دين الدولة، وفي التاسع عشر، أن الملك هو أمير المؤمنين وحامي حمى الدين، والساهر على احترام الدستور، وفي الفصل الثامن بعد المائة من دستور 1962 يقول في معرض مراجعة الدستور : «النظام الملكي للدولة، كذلك النصوص المتعلقة بالدين الإسلامي لا يمكن أن تتناولها المراجعة». ولقد أثبت هذا النص في الفصل المائة من دستور 1970 والواحد بعد المائة من دستور 1972 والفصل المائة من دستور 1992.

وكل هذه الثـوابت المؤكدة تبرهن على عقـد العزيمـة على كون الإسـلام هو قـاعـدة الملك في المغرب، وتعني هـذه العـزيمة نيـة صادقـة وتعبيرا صريحا، مصداقهما الممارسة الفعليـة من طرف الأمة وقائدها لسلطات الحكم، وفقا للأصول الشرعية.

وإن لهذه الممارسة أوجهـا تطبيقية بارزة، منها اختيـار الأمة لنظام البيعة، إمتثالا منها للحديث الصحيح الذي يقول : «إن من مات وليـس في عنقه بيعة مـات ميتة جـاهلية، وإن من حـاد عن الجماعة خلع ربقة الإسلام».

ومنها أن وقع اختيـار أهل الحل والعقد في المغـرب منذ ثـلاثة قـرون على أسرة العلـويين الشرفــاء المنتمين إلى عترة الـرســول الأكرم، احتيـاطا في أمور دينهم، واتبـاعا لنصوص الإمامـة، وما ورد فيها من الالتزام بالنسب القرشي.

ومنها التـزامهم بفـروض الطاعة، والـولاء في أسمى تعـابيرها العصرية والتقليدية، فالمصادقـة على الدسـاتير المعروضة على الأمة كانت دائما بمثابـة الاستجابة الأكيدة لميثـاق البيعة، لأن منطوق الـدستور يـؤكد دور الملك في مهـام أمير المؤمنين، ولأن مفهومـه يلزم الأمة بالتقيد بصلاحيات إمرة المؤمنين الشرعية، ثم إن تقديم مراسيم البيعة والولاء في المناسبات الوطنية من قبل المسؤولين في الـدولة، لتعبير يـؤكد الحفـاظ على قدسيـة البيعة الشرعيـة لأمير المؤمنين.

وأما الممارسة من طرف الإمام فهي تتجلى وفقا لما في الدستور المغـربي في اضطلاعـه بأعباء المسـؤولية العظمى في حمايـة دين

الأمة وحفظ حقوقها ورعاية حرياتها، وضمان سيادتها وكرامتها. فعليه مسؤولية تدبير الدفاع الوطني، ونظام القضاء لنشر العدل بين المواطنين. وتنظيم دواليب الحكم لتكون الإدارة في خدمة الأمة، وتوجيه العلاقات الدولية لتعزيز مكانة الأمة في عالم العصر.

وأعتقد صادقا أنه من نافلة القول أن نستعرض كيف يقوم اليوم إمام الأمة المغربية جلالة الحسن الثاني بكل هذه المسؤوليات الجسام.

فلقد استعاد المغرب في العهد الحسني إشعاعه الديني والعلمي، فعلت منارة معلمة المساجد على البر والبحر، وتناقلت الأقمار الصناعية، الدروس الحسنية، ولهج العلماء بالثناء على الإنجازات الرائعة في هذا المجال، وحفظت حقوق المواطنين، واستحدثت المؤسسات المختصة للسهر على حرياتهم وكرامتهم، واستتب الأمن في ربوع المملكة، فشمل ظله جميع أقاليمها حتى استحكمت الطمأنينة في القلوب والسكينة في النفوس.

ثم كان ولله الحمد، النصر حليفه في جهاده الأكبر، فتحقق استرجاع الصحراء المغربية التي لم تزل تقدم بيعتها وولاءها، وتجدد عهدها، وتعرب عن إخلاصها ووفائها لملوك الدولة العلوية الميامين.

وقد عمل ـ حفظه الله ـ على ازدهارها وتنمية أقاليمها لتنافس الأقاليم الشمالية في مجالات التقدم والازدهار والرقي.

فتميز العهد الحسني بوحدة البلاد ورفعة شأنها، مما شهدته وشهدت عليه جموع المحافل الدولية التي اتخذت من المغرب

أرض التلاقي، ومنبر الحوار سلم السلام. والتجربة المغربية فريدة من نوعها، لأنها جاءت نتيجة لقاء تاريخي بين شعب الإبداع وحرية التفكير والتعبئة الدائمة وبين قائده الفذ: قائد الحكمة والأناة والتحدي والإقدام. لكن لا يمكن أن نستبعد أن مرد كل نجاح بلغ ما بلغ. إنما يعود إلى ذلك المعين الذي انفجر من لقاء العقبة ومد دولة الإسلام بأسرار تنظيم أمة الإيمان، لتكون خير أمة، مصداقا لقوله تعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتومنون بالله**﴾.

الأستاذ محمد المختار ولد اباه



فهرس
الجزء الأول من الكتاب

فهرس الجزء الأول من الكتاب

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الأول

رقم الإيداع القانوني : 914 / 1994

مطبعة فضالة

3 زنقة ابن زيدون المحمدية (المغرب)
الهاتف : 32.46.43 / 32.46.45 (03)
فاكس : 32.46.44 (03)

